تنبيه أولي الأبصار
إلى
أسباب فوز المرأة المسلمة بالجنة ونجاتها من النار

تأليف
الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

تنبيه أولي الأبصار
إلى
أسباب فوز المرأة المسلمة بالجنة ونجاتها من النار

تأليف
الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

تنبيه أولي الأبصار



ISBN 2-7451-4416-2
9 782745 144164 90000

http://www.al-ilmiyah.com/
email: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

حكى لي أحد المهاويس مهزلة رابعة العدوية وزاد في تخريفه أنها كانت تعبد الله تعالى لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته.

حيث روى المجرم بن المجرم أن رابعة العدوية قالت: يا رب أنا أعبدك لا خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، وقالوا: إنها عشيقة الحب الإلهي، إن هذا إجرام وجهل وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عزيزي القارئ: كلنا نعلم أن المرأة عماد الأمة بل هي مدرسة، ويجب علينا أن نعد هذه المدرسة لكي تخرج لنا أجيالاً صالحة من البنين والبنات.

وكان قد صدر لي كتاب في مصر بعنوان أسباب فوز المرأة المسلمة بالجنة ونجاتها من النار، فعرضته على الصديق الحميم الحاج محمد علي بيضون فوافق

مشكوراً على نشره بعد زيادته فاستعنت بالله تعالى وجعلته في أربعة فصول:

الفصل الأول: ويشمل التمهيد.

الفصل الثاني: ويشمل أحوال أهل الجنة جعلنا الله تعالى وإياك من سكانها وأهلها.

الفصل الثالث: ويشمل أحوال أهل النار أعاذنا الله تعالى وإياك منها.

الفصل الرابع: ويشمل أصل الكتاب الذي صدر في مصر وأقدمه لك بنفس العنوان [**أسباب فوز المرأة المسلمة بالجنة ونجاتها من النار**].

لذلك أختي المسلمة أنصحك ونفسي قراءة هذه الأسباب قراءة جيدة بتدبر وعلميها أولادك وبناتك، ثم قدميه هدية لجيرانك لكي تعم الفائدة. ولله الحمد والمنة.

الشيخ/ علي أحمد عبد العال الطهطاوي

رئيس جمعية أهل الكتاب والسنة

الفصل الأول

تمهيد

ذكر لفظ الفوز بالقرآن الكريم

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١]، ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الأنعام: ١٦]، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢]، ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٩].

فوز: الفوز النجاة والظفر بالأمنية والخير، فاز به فوزا ومفازا ومفازة وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴾ [النبأ: ٣١، ٣٢] إنما أراد موجبات مفاوز ولا يحوز أن يكون المفاز هنا اسم الموضع، لأن الحدائق والأعناب لسن مواضع، «الليث» الفوز: الظفر بالخير والنجاة من الشر، يقال: فاز بالخير، وفاز من العذاب وأفازه الله بكذا ففاز به أي ذهب به، وفي

التنزيل العزيز: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]؛ قال الفراء: معناه ببعيد من العذاب، وقال أبو إسحاق: بمنجاة من العذاب، قال: وأصل المفازة مهلكة فتفاءلوا بالسلامة والفوز، ويقال: فاز إذا لقي ما يغتبط، وتأويله التباعد من المكروه، والمفازة أيضا: واحدة المفاوز، وسميت بذلك لأنها مهلكة من فوز أي هلك، وقيل: سميت تفاؤلا من الفوز النجاة، وفاز القدح فوزا أصاب، وقيل: خرج قبل صاحبه، قال الطرماح:

وابــن سـبيل قـريته أصـلا مـن فـوز قـدح منسـوبة تلده

وإذا تساهم القوم على الميسر فكلما خرج قدح رجل قيل: قد فاز فوزا، والفوز أيضا: الهلاك، فاز يفوز وفوزا أي مات؛ ومنه قول كعب بن زهير:

فمـن للقـوافي شأنها من يحوكها إذا مـا توى كعب، وفوز جرول؟

يقـول، فـلا يعـيا بشيء يقوله، ومـن قائلـيها مـن يسيء ويعمل

قوله شأنها أي جاء بها شائنة أي معيبة، وتوي: مات وكذا فوز، قال ابن بري: وقد قيل إنه لا يقال فوز فلان حتى يتقدم الكلام كلام فيقال: مات فلان وفوز فلان بعده، يشبه بالمصلي من الخيل بعد المجلي وجرول: يعني به الحطيئة وقال الكميت:

ومـا ضـرها أن كعـبا تـوى وفـوز مـن بعـده جـرول

قال ابن الأعرابي: فوز الرجل إذا مات؛ وأنشد[1]:

---

(١) قوله «فوز إلخ» الذي في ياقوت.

لله در رافـع أنى اهـتدى فـوز مـن قراقـر إلى سـوى

خمسـا إذا مـا سـارها الجـبس بكى مـا سـارها مـن قـبله أنـس يـرى

ورواها في قراقر على غير هذا الترتيب فقدم وأخر وجعل بدل «الجبس» الجيش، ولعله روي بهما إذ المعنى على كل صحيح، ثم إن المؤلف استشهد بالبيت على أن فوز بمعنى هلك وعبارة ياقوت: «قراقر» رواه نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام وفيه قيل لله در ... إلخ اهـ، ففوز فيه بمعنى مضى فالأنسب ما ذكره المؤلف بعد وهو الذي اقتصر عليه الجوهري.

فوز من قراقر إلى سوى خمسا، إذا ما ركب الجبس بكى

ويقال للرجل إذا مات: قد فوز أي صار في مفازة ما بين الدنيا والآخرة من البرزخ الممدود؛ وفي حديث سطيح:

أم فاز فازلم به شاو العنن

أي مات: قال ابن الأثير: ويروى بالدال، وقد تقدم.

ويقال: فوز الرجل بإبله إذا ركب بها المفازة، ومنه قول الراجز:

فوز من قراقر إلى سوى

وهما ماءان لكلب، وفي حديث كعب بن مالك، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا؛ المفاز والمفازة البرية القفر، وتجمع المفاوز، ويقال: فاوزت بين القوم وفارضت بمعنى واحد، والمفازة المهلكة على التطير وكل قعر مفازة، وقيل: المفازة والفلاة إذا كان بين الماءين ربع من ورد الإبل وغب من سائر الماشية، وقيل: هي من الأرضين ما بين الربع من ورد الإبل والغب من ورد غيرها من سائر الماشية، وهي الفيفاه، ولم يعرف أبو زيد الفيف، ابن الأعرابي: سميت الصحراء مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز، وقال ابن شميل: المفازة التي لا ماء فيها، وإذا كانت ليلتين لا ماء فيها فهي مفازة، وما زاد على ذلك كذلك، وأما الليلة واليوم فلا يعد مفازة، قال ابن الأعرابي: سميت المفازة من فوز الرجل إذا مات، ويقال : فوز إذا مضى، وفوز تفويزا: صار إلى المفازة، وقيل: ركبها ومضى فيها، وقيل: فوز خرج من أرض إلى أرض، كهاجر، وتفوز: كفوز؛ قال النابغة الجعدي:

ضلال خوي إذا تفوز عن حمى، ليشرب غبا بالنباج ونبتلا[١]

وفاز الرجل وفوز: هلك؛ وقيل: إن المفازة مشتقة من هذا، والأول أشهر، وإن كان الآخر أقيس.

والفازة: بناء من خرق وغيرها تبنى في العساكر، والجمع فاز، وألفها

---

(١) قوله «بالنباج ونبتلا» هما اسما موضعين كما في ياقوت.

مجهولة الانقلاب، قال ابن سيده: ولكن أحملها على الواو لأن بدلها من الواو أكثر من الياء، وكذلك إذا حقر سيبويه شيئا من هذا النحو أو كسره حمله على الواو أخذا بالأغلب، قال الجوهري: والفازة مظلة تمد بعمود، عربي فيما أرى.

ذكر المرأة في القرآن الكريم

١ - ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣].

٢ - ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٢].

٣ - ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

٤ - ﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود: ٨١].

٥ - ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات: ٢٩].

٦ - ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٣].

٧ - ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الحجر: ٦٠].

٨ - ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [النمل: ٥٧].

٩- ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٢].

ذكر الإسلام في القرآن الكريم

١- ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

٢- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الصف: ٧].

٣- ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

٤- ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

٥- ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢].

٦- ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣١].

٧- ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٨].

٨- ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٤٢].

٩- ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٣].

١٠- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٩].

١١- ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

١٢- ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

١٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

١٤- ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٤].

١٥- ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

١٦- ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل: ٨١].

١٧- ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٥٣].

١٨- ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٩٢].

١٩- ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

٢٠- ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم: ٥].

بحث في لفظ الإسلام(١)

وأسلم إليه الشيء: دفعه، وأسلم الرجل، خذله، وقوله تعالى: ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٩١]؛ قال: إنما وقعت سلامتهم من أجلك، وقال الزجاج: ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾، وقد بين ما لأصحاب اليمين في أول السورة، ومعنى فسلام لك أي أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء.

والسلم: لدغ الحية، والسليم، اللديغ فعيل من السلم، والجمع سلمى، وقد قيل: هو من السلامة، وإنما ذلك على التفاؤل له بها خلافا لما يحذر عليه منه، والملدوغ مسلوم وسليم، ورجل سليم: بمعنى سالم، وإنما سمي اللديغ سليما لأنهم تطيروا من اللديغ فقبلوا المعنى، كما قالوا للحبشي أبو البيضاء، وكما قالوا للفلاة مفازة، تفاءلوا بالفوز وهي مهلكة، فتفاءلوا له بالسلامة، وقيل: إنما سمي اللديغ سليما لأنه مسلم لما به أو أسلم لما به؛ عن ابن الأعرابي؛ قال الأزهري: قال الليث السلم اللدغ، قال: وهو من غدده وما قاله غيره، وقول ابن الأعرابي: سليم بمعنى مسلم، كما قالوا منقع ونقيع وموتم ويتيم ومسخن وسخين، وقد يستعار السليم للجريح؛ أنشد ابن الأعرابي:

وطـيري بمخـراق أشـم كأنه ... سـليم رمـاح، لم تـنله الزعانف

و قيل: السليم الجريح المشفي على الهلكة؛ أنشد ابن الأعرابي:

يشـكو، إذا شـد لـه حـزامه، ... شـكوى سـليم ذربـت كلامه

قال: وقد يكون السليم هنا اللديغ، وسمى موضع نهش الحية منه كلما، على الاستعارة، وفي الحديث: أنهم مروا بماء فيه سليم فقالوا: هل فيكم من راق؟ السليم: اللديغ، يقال: سلمته الحية أي لدغته، والسلم والسلم: الصلح، يفتح ويكسر ويذكر ويؤنث فأما قول الأعشى:

(١) لسان العرب

أذاقــــتهم الحــــرب أنفاســــها، وقــد تكــره الحــرب بعد السلم

قال ابن سيده: إنما هو على أنه وقف فألقى حركة الميم على اللام، وقد يجوز أن يكون أتبع الكسر الكسر، ولا يكون من باب إبل عند سيبويه، لأنه لم يأت منه عنده غير إبل، والسلم والسلام: كالسلم؛ وقد سالمه مسالمة وسلاما؛ قال أبو كبير الهذلي:

هاجــوا لقــومهم الســـلام كأنهم لمـــا أصـــيبوا أهـــل ديـــن محتر

والسلم: المسالم، تقول: أنا سلم لمن سالمني، وقوم سلم وسلم، مسالمون، وكذلك امرأة سلم وسلم، وتسالموا: تصالحوا، وفلان كذاب لا تساير خيلاه فلا تسالم خيلاه أي لا يصدق فيقبل منه، والخيل إذا تسالمت تسايرت لا يهيج بعضها بعضا؛ وقال رجل من محارب:

ولا تســـاير خـــيلاه، إذا التقـــيا، ولا يقـــدع عـــن بـــاب إذا وردا

ويقال: لا يصدق أثره يكذب من أين جاز، وقال الفراء: فلان لا يرد عن باب ولا يعوج عنه، والسلم: الاستسلام والتسالم: التصالح والمسالمة: المصالحة، وفي حديث الحديبية: أنه أخذ ثمانين من أهل مكة سلما؛ قال ابن الأثير: يروى بكسر السين و فتحها، وهما لغتان للصلح، وهو المراد في الحديث على ما فسره الحميدي في غريبه؛ وقال الخطابي: إنه السلم، بفتح السين واللام، يريد الاستسلام والإذعان كقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ [النساء: ٩٠] ، أي الانقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع؛ قال: وهذا هو الأشبه بالقضية، فإنهم لم يؤخذوا عن صلح، وإنما أخذوا قهرا وأسلموا أنفسهم عجزا، وللأول وجه، وذلك أنهم لم يجر معهم حرب، إنما كما عجزوا عن دفعهم أو النجاة منهم رضوا أن يؤخذوا أسرى ولا يقتلوا، فكأنهم قد صولحوا على ذلك، فسمي الانقياد صلحا، وهو السلم؛ ومنه كتابه بين قريش والأنصار: وإن سلم المؤمنين واحد لا يسالم مؤمن دون مؤمن أي لا يصالح واحد دون أصحابه، وإنما يقع الصلح بينهم وبين عدوهم باجتماع ملئهم على ذلك؛ قال:

ومن الأول حديث أبي قتادة[1]: لآتينك برجل سلم أي أسير لأنه استسلم وانقاد، واستسلم أي انقاد[2]، ومنه الحديث: أسلم سالمها الله، هو من المسالمة وترك الحرب، ويحتمل أن يكون دعاء وإخبارا، إما دعاء لها أن يسالمها الله ولا يأمر بحربها، أو أخبر أن الله قد سالمها ومنع من حربها، والسلام: الاستسلام، وحكي السلم والسلم الاستسلام وضد الحرب أيضا؛ قال:

أنائـــــل، إنـــــني ســــــلم لأهلـــــك، فاقبلـــــي ســــــلمي!

وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ [الزمر: ٢٩]، وقلب سليم أي سالم.

والإسلام والاستسلام: الانقياد والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه، وما أحسن ما اختصر ثعلب ذلك فقال: الإسلام باللسان والإيمان بالقلب، «التهذيب»: وأما الإسلام فإن أبا بكر محمد بن بشار قال: يقال فلان مسلم وفيه قولان: أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص لله العبادة، من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلصه، وسلم له الشيء أي خلصه له، وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»؛ قال الأزهري: فمعناه أنه دخل في باب السلامة حتى يسلم المؤمنون من بوائقه، وفي الحديث: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»، قال ابن الأثير: يقال أسلم فلان فلانا إذا ألقاه في الهلكة ولم يحمه من عدوه، وهو عام في كل من أسلم إلى شيء، لكن دخله التخصيص وغلب عليه الإلقاء في الهلكة؛ ومنه الحديث: إني وهبت لخالتي غلاما فقلت لها: لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا أي لا تعطيه لمن يعلمه إحدى هذه الصنائع؛ قال ابن الأثير: إنما كره الحجام والقصاب لأجل النجاسة التي يباشرانها مع تعذر الاحتراز، وأما الصائغ

---

(١) قوله ومن الأول حديث أبي قتادة إلخ «كذا هو بالأصل والنهاية وبهذا الضبط».

(٢) قوله «واستسلم أي انقاد» كذا بالأصل وهو ساقط من عبارة النهاية، قوله «ومنه الحديث أسلم الخ» كذا بالأصل، وعبارة النهاية: وفيه أسلم إلخ.

فيما يدخل صنعته من الغش، ولأنه يصوغ الذهب والفضة، وربما كان عنده آنية أو حلي للرجال؛ وهو حرام، ولكثرة الوعد والكذب في نجاز ما يستعمل عنده، وفي الحديث: «ما من آدمي إلا ومعه شيطان»، قيل: ومعك؟ قال: «نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم»، وفي رواية: حتى أسلم أي انقاد وكف عن وسوستي، وقيل: دخل في الإسلام فسلمت من شره، وقيل: إنما هو فأسلمُ، بضم الميم، على أنه فعل مستقبل أي أسلم أنا منه ومن شره، ويشهد للأول الحديث الآخر: كان شيطان آدم كافرا وشيطاني مسلما، وأما قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤].

وقال الأزهري: فإن هذا يحتاج الناس إلى تفهمه ليعلموا أين ينفصل المؤمن من المسلم وأين يستويان، فالإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به سيدنا رسول الله ﷺ، وبه يحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي هذه صفته، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق، فذلك الذي يقول أسلمت، لأن الإيمان لابد من أن يكون صاحبه صديقا، لأن الإيمان التصديق، فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر، والمسلم التام الإسلام مظهر للطاعة مؤمن بها، والمسلم الذي أظهر الإسلام تعوذا غير مؤمن في الحقيقة إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلم، قال: وإنما قلت إن المؤمن معناه المصدق لأن الإيمان مأخوذ من الأمانة، لأن الله تعالى تولى علم السرائر وثبات العقد، وجعل ذلك أمانة ائتمن كل مسلم على تلك الأمانة، فمن صدق بقلبه ما أظهره لسانه فقد أدى الأمانة واستوجب كريم المآب إذا مات عليه، ومن كان قلبه على خلاف ما أظهر بلسانه فقد حمل وزر الخيانة والله حسبه، وإنما قيل للمصدق مؤمن وقد آمن لأنه دخل في حد الأمانة التي ائتمنه الله عليها، وبالنية تنفصل الأعمال الزاكية من الأعمال البائرة ألا ترى أن النبي ﷺ، جعل الصلاة إيمانا والوضوء إيمانا؟ وفي حديث ابن مسعود: أنا أول من أسلم، يعني من قومه، كقوله تعالى عن موسى ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعني

مؤمني زمانه، فإن ابن مسعود لم يكن أول من أسلم وإن كان من السابقين، وفي الحديث، كان يقول إذا دخل شهر رمضان: اللهم سلمني من رمضان وسلم رمضان لي وسلمه مني قوله سلمني منه أي لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه من مرض أو غيره، قال: وقوله وسلمه لي هو أن لا يغم عليه الهلال في أوله وآخره فيلتبس عليه الصوم والفطر، وقوله وسلمه مني أي بالعصمة من المعاصي فيه، وفي حديث الإفك، وكان علي مسلما في شأنها أي سالما لم يبد بشيء منها، ويروى: مسلما، بكسر اللام، قال والفتح أشبه لأنه لم يقل فيها سوءا، وقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ [المائدة: ٤٤]، فسره ثعلب فقال: كل نبي بعث بالإسلام غير أن الشرائع تختلف، وقوله عز وجل: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، أراد مخلصين لك فعداه باللام إذا كان في معناه، وكان فلان كافرا ثم تسلم أي أسلم، وكان كافرا ثم هو اليوم مسلما يا هذا، وقوله عز وجل: ﴿ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، قال: عني به الإسلام وشرائعه كلها؛ وقرأ أبو عمرو: ادخلوا في السلم كافة، يذهب بمعناها إلى الإسلام والسلم الإسلام[1]، قال الأحوص:

فذادوا عدو السلم عن عقر   وأرسوا عمود الدين بعد التمايل

ومثله قول امرئ القيس بن عامر:

فلست مبدلا بالله ربا   ولا مستبدلا بالسلم دينا

ومثله قول أخي كندة:

دعوت عشيرتي للسلم لما   رأيتهم تولوا مدبرينا

والسلم الإسلام، والسلم: الاستخذاء والانقياد والاستسلام وقوله تعالى" ﴿ **ولا تقولا لمن ألقى إليكم السَلَم لست مؤمنًا**﴾[النساء: ٩٤]، وقرئت:

(١) قوله «والسلم الإسلام» أي بالفتح والكسر، كما في البيضاوي، فالذي تحصل أنه بهما بمعنى الاستسلام والصلح والإسلام.

السلام بالألف، فأما السلام فيجوز أن يكون من التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى السلم، وهو الاستسلام وإلقاء المقادة إلى إرادة المسلمين، وأخذه سلما: أسره من غير حرب، وحكى ابن الأعرابي: أخذه سلما أي جاء به منقادا لم يمتنع، وإن كان جريحا، وتسلمه مني: قبضه، وسلمت إليه الشيء فتسلمه أي أخذه والتسليم بذل الرضا بالحكم، والتسليم السلام والسلم، بالتحريك السلف، وأسلم في الشيء وسلم وأسلف بمعنى واحد، والاسم السلم وكان راعي غنم ثم أسلم أي تركها، كذا جاء أسلم هنا غير متعد.

وفي حديث خزيمة، من تسلم في شيء فلا يصرفه إلى غيره، يقال: أسلم وسلم إذا أسلف وهو أن تعطي ذهبا وفضة في سلعة معلومة إلى أمد معلوم، فكأنك قد أسلمت الثمن إلى صاحب السلعة، وسلمته إليه، ومعنى الحديث أن يسلف مثلا في بر فيعطيه المستلف غيره من جنس آخر، فلا يجوز له أن يأخذه؛ قال القتيبي لم أسمع تفعل من السلم، إذا دفع، إلا في هذا، وفي حديث ابن عمر: كان يكره أن يقال السلم بمعنى السلف، ويقول الإسلام لله عز وجل، كأنه ضن بالاسم[1]، الذي هو موضع الطاعة والانقياد لله عز وجل عن أن يسمى به غيره، وأن يستعمل في غير طاعة ويذهب به إلى معنى السلف؛ قال ابن الأثير: وهذا من الإخلاص باب لطيف المسلك «الجوهري»: أسلم الرجل في الطعام أي أسلف فيه، وأسلم أمره لله أي سلم، وأسلم أي دخل في السلم وهو الاستسلام وأسلم من الإسلام وأسلمه أي خذله، والسلم: الدلو التي لها عروة واحدة، مذكر نحو دلو السقائين؛ قال ابن بري: صوابه لها عرقوة واحدة كدلو السقائين، وليس ثم دلو لها عروة واحدة، والجمع أسلم وسلام؛ قال كثير عزة:

---

(١) قوله «كأنه ضن بالاسم» أي هي السلم وقوله الذي هو موضع الطاعة والانقياد لأن السلم اسم من الإسلام بمعنى الإذعان والانقياد فكره أن يستعمل في غير طاعة الله وإن كان يذهب به مستعمله إلى معنى السلف الذي ليس من الاستسلام.

تكفكــف أعدادا من الدمع ركبت   ســوانيها، ثم انــدفعن بأســلم[١]

وأنشد ثعلب في صفة إبل سقيت:

قابلــة مــا جــاء في ســلامها   برشــف الــذناب والــتهامها

وقال الطرماح:

أخــو قــنص يهفــو، كأن سراته   ورجلــيه ســلم بين حبلي مشاطن

وفي التهذيب: له عروة واحدة يمشي بها الساقي مثل دلاء أصحاب الروايا، وحكى اللحياني في جمعها أسالم؛ قال ابن سيده: وهذا نادر، وسلم الدلو يسلمها سلما، فرغ من عملها وأحكمها؛ قال لبيد:

بمقابــل ســرب المخــارز عله   قلــق المحالــة جــارن مســلوم

والمسلوم من الدلاء الذي قد فرغ من عمله، ويقال: سلمته أسلمه فهو مسلوم، وسلمت الجلد أسلمه، بالكسر، إذا دبغته بالسلم.

والسلم: نوع من العضاه وقال أبو حنيفة: السلم سلب العيدان طولا، شبه القضبان، وليس له خشب وإن عظم، وله شوك دقاق طوال حاد إذا أصاب رجل الإنسان؛ قال: وللسلم برمة صفراء فيها حبة خضراء[٢]، طيبة الريح، وفيها شيء من مرارة وتجد بها الظباء وجدا شديدا، واحدته سلمة بفتح اللام، وقد يجمع السلم على أسلام، قال رؤبة.

كأنمــا هــيج، حــين أطلقــا   مــن ذات أســلام، عصــيا شققا

وفي حديث جرير: بين سلم وأراك؛ السلم، شجر من العضاه وورقها القرظ الذي يدبغ به الأديم، وبه سمي الرجل سلمة، ويجمع على سلمات، وفي حديث ابن عمر: أنه كان يصلي عند سلمات في طريق مكة؛ قال: ويجوز أن

(١) قوله «سوانيها» هكذا في الأصل، والوزن مختل، إلا إذا شددت الياء، ولعل هذا من الجوازات الشعرية.

(٢) قوله «وللسلم برمة صفراء فيها حبة خضراء إلخ» هكذا في الأصل، وعبارة المحكم، وللسلم برمة صفراء وهو أطيب البرم ريحا ويدبغ بورقه، وعن ابن الأعرابي: السلمة زهرة صفراء فيها حبة إلخ.

يكون بكسر اللام جمع سلمة، وهي الحجر.

أبو عمرو: السلام ضرب من الشجر، الواحدة سلامة، والسلام أيضا: شجر؛ قال بشر:

تعرض جأبة المدري خذول ... بصاحة، في أسرتها السلام

وواحدته سلامة، وأرض مسلوماء: كثيرة السلم وأديم مسلوم: مدبوغ بالسلم والجلد المسلوم المدبوغ بالسلم «شمر»: السلمة شجرة ذات شوك يدغ بورقها وقشرها، ويسمى ورقها القرظ، لها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح تؤكل في الشتاء، وهي في الصيف تخضر؛ وقال:

كلي سلم الجرداء في كل صيفة، ... فإن سألوني عنك كل غريم

إذا ما نجا منها غريم بخيبة، ... أتى معك بالدين غير سئوم

الجرداء بلد دون الفلج ببلاد بني جعدة، وإذا دبغ الأديم بورق السلم فهو مقروظ، وإذا دبغ بقشر السلم فهو مسلوم، وقال:

إنك لن ترويها، فاذهب ونم، ... إن لها ريا كمعصال السلم

والسلام: شجر؛ قال أبو حنيفة: زعموا أن السلام أبدا أخضر لا يأكله شيء والظباء تلزمه تستظل به ولا تستكن فيه، وليس من عظام الشجر ولا عضاها؛ قال الطرماح يصف ظبية:

حذرا والسرب أكنافها ... مستظل في أصول السلام

واحدته سلامة «ابن بري»: السلم شجر، وجمعه سلام؛ وروى بيت بشر:

بصاحة في أسرتها السلام

قال: من رواه السلام، بالكسر، فهو جمع سلمة كأكمة وإكام، ومن رواه السلام، بفتح السين، فهو جمع سلامة، وهو نبت آخر غير السلمة، وأنشد بيت الطرماح، قال: وقال امرؤ القيس:

حور يعللن العبير روادعا ... كمها الشقائق، أو ظباء سلام

والسلامان: شجر سهلي واحدته سلامانه، «ابن دريد»: سلامان ضرب من الشجر، والسلام والسلم: الحجارة، واحدتها سلمة وقال ابن شميل: السلام جماعة الحجارة الصغير منها والكبير لا يوحدونها، وقال أبو خيرة: السلام اسم جمع، وقال غيره: هو اسم لكل حجر عريض، وقال: سليمة وسليم مثل سلام، قال رؤبة.

سالمه فوقك السليما (١)

التهذيب: ومن السلام الشجر فهو شجر عظيم. قال: أحسبه سمي سلاما لسلامته من الآفات: والسِلام، بكسر السين: الحجارة الصلبة، سميت بهذا سلاما لسلامتها من الرخاوة.

قال الشاعر:

تداعين باسم الشيب في متثلم، جوانبه من بصرة وسلام

الواحدة سلمة، قال لبيد:

خلقا كما ضمن الوحي سلامها(٢)

والسلمة واحدة السلم، وهي الحجارة؛ قال: وأنشد أبو عبيد في السلمة:

ذاك خليلي وذو يعاتبني يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

أرد والسلمة، وهي من لغات حمير؛ قال ابن بري: هو لبجير بن عنمة الطائي؛ قال وصوابه:

وإن مولاي ذو يعاتبني، لا إحنة عنده ولا جرمه

---

(١) قوله «سالمه إلخ» كذا هو بالأصل.

(٢) قوله «خلقا كما الخ» صدره:

فمدافع الريان عرى رسمها

المدافع جمع مدفع: أماكن يندفع عنها الماء من الربى، والريان: جبل، والوحي: الكتاب والجمع الوحي: وخلقا منصوب على الحال والعامل فيه عرى، والضمير في سلامها للوحي، يعني: غيرت رسوم هذه الديار بالسيول ولم تتمح بطول الزمان فكأنه كتاب ضمن حجرا؛ شبه بقاء الآثار لقدم الأيام، ببقاء الكتاب في الحجر، أفاده الزوزني.

ينصرني منك غير معتذر، يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

واستلم الحجر واستلامه، قبله أو اعتنقه، وليس أصله الهمز، وله نظائر، قال سيبويه: استلم من السلام لا يدل على معنى الاتخاذ؛ وقول العجاج:

بين الصفا والكعبة المسلم

قيل في تفسيره أراد المستلم كأنه بنى فعله على فعل، «ابن السكيت»: استلأمت الحجر، وإنما هو من السلام، وهي الحجارة، وكأن الأصل استلمت، وقال غيره: استلأم الحجر افتعال في التقدير مأخوذ من السلام، وهي الحجارة، تقول: استلمت الحجر إذا لمسته من السلام كما تقول اكتحلت من الكحل؛ وقال الأزهري، وهذا قول القتيبي، قال والذي عندي في استلام الحجر أنه افتعال من السلام وهو التحية، واستلامه لمسه باليد تحريا لقبول السلام منه تبركا به، وهذا كما يقال: اقترأت منه السلام، قال: وقد أملى على أعرابي كتابا إلى بعض أهاليه فقال في آخره: اقترئ مني السلام، قال: وهذا يدل على صحة هذا القول أن أهل اليمن يسمون الركن الأسود المحيا، معناه أن الناس يحيونه بالسلام، فافهمه، وفي حديث ابن عمر قال: استقبل رسول الله ﷺ الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا فالتفت فإذا هو بعمر يبكي، فقال: يا عمر، ههنا تسكب العبرات، وروى أبو الطفيل قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف على راحلته يستلم بمحجنه ويقبل المحجن، قال الليث، استلام الحجر تناوله باليد وبالقبلة ومسحه بالكف، قال الأزهري: وهذا صحيح، «الجوهري» استلم الحجر لمسه إما بالقبلة أو باليد، لا يهمز لأنه مأخوذ من السلام، وهو الحجر، كما تقول استنوق الجمل، وبعضهم يهمزه.

والسلامى: عظام الأصابع في اليد والقدم، وسلامى البعير: عظام فرسنه، قال ابن الأعرابي: السلامى عظام صغار على طول الإصبع أو قريب منها، في كل يد ورجل أربع سلاميات أو ثلاث، وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: على كل سلامى من أحدكم صدقة، ويجزئ في ذلك ركعتان يصليهما من الضحى؛ قال ابن الأثير: السلامى جمع سلاميه وهي الأنملة من الأصابع، وقيل: واحده وجمعه

سواء، وتجمع على سلاميات، وهي التي بين كل مفصلين من أصابع الإنسان، وقيل: السلامى كل عظم مجوف من صغار العظام، وفي حديث خزيمة في ذكر السنة، حتى آل السلامى أي رجع إليه المخ؛ قال أبو عبيد: السلامي في الأصل عظم يكون في فرسن البعير، ويقال إن آخر ما يبقى فيه المخ من البعير إذا عجف في السلامى وفي العين، فإذا ذهب منهما لم يكن له بقية بعد؛ وأنشد لأبي ميمون النضر بن سلمة العجلي:

لا يشتكين عملا ما أنقين، ما دام مخ في سلامى أو عين

قال: وكأن معنى قوله «على كل سلامى من أحدكم صدقة» أن على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة، والركعتان تجزيان من تلك الصدقة، وقال الليث: السلامى عظام الأصابع والأشاجع والأكارع، وهي كعاب كأنها كعاب، والجمع سلاميات؛ قال ابن شميل: في القدم قصبها وسلامياتها، وقال: عظام القدم كلها سلاميات، وقصب عظام الأصابع أيضا سلاميات الواحدة سلامى، وفي كل فرسن ست سلاميات ومنسمان وأظل.

الجوهري: ويقال للجلدة التي بين العين والأنف سالم؛ وقال عبد الله بن عمر في ابنه سالم:

يديرونني عن سالم وأربعة، وجلدة بين العين والأنف سالم

قال: وهذا المعنى أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج أنه عندي كسالم والسلام؛ قال ابن بري: هذا وهم قبيح أي جعله سالما اسما للجلدة التي بين العين والأنف، وإنما سالم ابن ابن عمر، فجعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنفه.

والسليم من الفرس: ما بين الأشعر[1]، وبين الصحن من حافره، والأسيلم: عرق في اليد، لم يأت إلا مصغرا، وفي التهذيب عرق في الجسد، الجوهري: الأسيلم عرق بين الخنصر والبنصر، والسلم: واحد السلاليم التي

(١) قوله «الأشعر» كذا بالأصل، والذي في خط الصاغاني: والسليم من الحافر بين الأمعر والصحن من باطنه.

يرتقي عليها، وفي المحكم، السلم الدرجة والمرقاة، يذكر ويؤنث؛ قال ابن مقبل:

لا تحـــرز المرء أحجاء البلاد، ولا يـــبنى لـــه في السموات السلاليم

احتاج فزاد الياء، قال الزجاج، سمى السلم سلما لأنه يسلمك إلى حيث تريد. والسلم: السبب إلى الشيء سمى بهذا الاسم لأنه يؤدي إلى غيره كما يؤدي السلم الذي يرتقى عليه؛ قال الجوهري: وربما سمي الغرز بذلك؛ قال أبو الريش التغلبي:

مطـــارة قلـــب إن ثنى الرجل ربها بســـلم غـــرز في مـــناخ يعاجلـــه

وقال أبو بكر بن الأنباري: سميت بغداد مدينة السلام لقربها من دجلة، وكانت دجلة تسمى نهر السلام، وسلمى: أحد جبلي طيئ والسلامى: الجنوب من الرياح؛ قال ابن هرمة:

مـــرته السلامى فاستهل ولم تكن لتـــنهض إلا بالنعامـــى حـــوامله

وأبو سلمان: ضرب من الوزغ والجعلان، وقال ابن الأعرابي: أبو سلمان كنية الجعل، وقيل: هو أعظم الجعلان، وقيل: هو دويبة مثل الجعل له جناحان، وقال كراع: كنيته أبو جعران، بفتح الجيم، وسلمان: اسم جبل واسم رجل، وسالم، اسم رجل وسلامان: ماء لبني شيبان، وسلامان، بطنان بطن في قضاعة وبطن في الأزد.

ذكر الجنة في القرآن الكريم

١- ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ [المعارج:٣٨]

٢- ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٢].

٣- ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٥].

٤- ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٥].

٥- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

٦- ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥].

٧- ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

٨- ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٢].

٩- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ [الكهف: ٣٢].

١٠- ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبأ: ١٦].

١١- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [المائدة: ٦٥].

١٢- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

١٣- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [يونس: ٩].

١٤- ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم: ٦١].

١٥- ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الحج: ٥٦].

١٦- ﴿ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الصافات: ٤٣].

١٧- ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٨].

بحث في لفظ الجنة[(١)]

وجن الشباب: أوله، وقيل جدته ونشاطه ويقال: كان ذلك في جن صباه أي في حداثته، وكذلك، جن كل شيء أول شداته، وجن المرح كذلك؛ فأما قوله:

لا ينفخ التقريب منه الأبهرا   إذا عرته جنة وأبطرا

قد يجوز أن يكون جنون مرحه، وقد يكون الجن هنا هذا النوع المستتر عن العين أي كأن الجن تستحثه ويقويه قوله عرته لأن جن المرح لا يؤنث إنما هو كجنونه، وتقول: افعل ذلك الأمر بجن ذلك وحدثانه وجده؛ بجنه أي بحدثانه؛ قال المتنخل الهذلي:

كالسحل البيض جلا لونها   سح نجاء الحمل الأسول

أروي بجن العهد سلمى ولا   ينصبك عهد الملق الحول

يريد الغيث الذي ذكره قبل هذا البيت، يقول: سقى هذا الغيث سلمى بحدثان نزوله من السحاب قبل تغيره، ثم نهى نفسه أن ينصبه حب من هو ملق، يقول: من كان ملقا ذا تحول فصرمك فلا ينصبك صرمه، ويقال: خذ الأمر بجنة وانق الناقة فإنها بجن ضراسها أي بحدثان نتاجها وجن النبت: زهره ونوره، وقد تجننت الأرض وجنت جنونا؛ قال:

كوم تظاهر نيّها لما رعت   روضا بعيهم والحمى مجنونا

وقيل: جن النبت جنونا غلظ واكتهل، وقال أبو حنيفة: نخلة مجنونة إذا طالت؛ وأنشد.

يا رب أرسل خارف المساكين

عجاجة ساطعة العثانين

تنفض ما في السحق المجانين

---

(١) لسان العرب.

قال ابن بري: يعني بخارق المساكين الريح الشديدة التي تنفض لهم التمر من رءوس النخل؛ ومثله قول الآخر:

أنـــا بارح الجوزاء ما لك لا ترى عـــيالك قد أمسوا مراميل جوعا؟

الفراء: جنت الأرض إذا قاءت بشيء معجب؛ وقال الهذلي:

ألمـــا يســـلم الجـــيران مـــنهم وقـــد جـــن العضـــاه من العميم

ومررت على أرض هادرة متجننة: وهي التي تهال من عشبها وقد ذهب عشبها كل مذهب، ويقال: جنت الأرض جنونا إذا اغتم نبتها؛ قال ابن أحمر:

تفقـــأ فـــوقه القلـــع الســـواري وجـــن الخازبـــاز بـــه جـــنونا

جنونه: كثرة ترنمه في طيرانه؛ وقال بعضهم الخازباز نبت، وقيل: هو ذباب، وجنون الذباب: كثرة ترنمه، وجن الذباب أي كثر صوته، وجنون النبت: التفافه؛ قال أبو النجم:

وطال جن السنام الأميل

أراد تموك السنام وطوله، وجن النبت جنونا أي طال والتف وخرج زهره؛ وقوله:

وجن الخازباز به جنونا

يحتمل هذين الوجهين، «أبو خيرة»، أرض مجنونة معشبة لم يرعها أحد. وفي التهذيب: شمر عن ابن الأعرابي: يقال للنخل المرتفع طولا مجنون، وللنبت الملتف الكثيف الذي قد تأزر بعضه في بعض مجنون والجنة: البستان ومنه الجنات، والعرب تسمي النخيل جنة؛ قال زهير:

كـــأن عـــيني في غـــربي مقـــتلة مـــن النواضـــح تسقي جنة سحقا

والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها، وقال أبو علي في التذكرة، لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة، وقد ورد ذكر الجنة في القرآن العزيز والحديث الكريم في غير

موضع، والجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة، من الاجتنان، وهي الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها، قال: وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنه جنًا إذا ستره، فكأنها سترة واحدة لشدة التفافها وإطلالها؛ وقوله أنشده ابن الأعرابي وزعم أنه للبيد:

دري باليسـاري جـنة عبقـرية مسـطعة الأعـناق بلـق القوادم

قال: يعني بالجنة إبلا كالبستان، ومسطعة: من السطاع وهي سمة في العنق، وقد تقدم، قال ابن سيده: وعندي أنه جنة، بالكسر، لأنه قد وصف بعبقرية أي إبلا مثل الجنة في حدتها ونفارها، على أنه لا يبعد الأول، وإن وصفها بالعبقرية، لأنه لما جعلها جنة استجاز أن يصفها بالعبقرية.

قال: وقد يجوز أن يعني بها ما أخرج الربيع من ألوانها وأوبارها وجميل شارتها، وقد قيل: كل جيد عبقري، فإذا كان ذلك فجائز أن يوصف به الجنة وأن يوصف به الجنة، والجنية: ثياب معروفة[1]، والجنية: مطرف مدور على خلقة الطيلسان تلبسها النساء.

ومجنة: موضع؛ قال في الصحاح: المجنة اسم موضع على أميال من مكة؛ وكان بلال يتمثل بقول الشاعر:

ألا لـيت شـعري! هل أبيتن ليلة بمكـة حـولي إذخـر وجلـيل؟

وهـل أردن يـوما مـياه مجـنة؟ وهـل يـبدون لي شـامة وطفيل؟

وكذلك مجنة؛ وقال أبو ذؤيب:

فـوافى بهـا عسـفان ثم أتى بها مجـنة تصـفو في القلال ولا تغلي

قال ابن جني: يحتمل مجنة وزنين: أحدهما أن يكون مفعلة من الجنون كأنها سميت بذلك لشيء يتصل بالجن أو بالجنة أعني البستان أو ما هذا سبيله، والآخران يكون فعله منمجن يمجن، كأنها سميت بذلك لأن ضربا من المجون

---

(١) قوله «والجنية ثياب معروفة» كذا في التهذيب، وقوله: «والجنية مطرف إلخ» كذا في المحكم بهذا الضبط فيهما، وفي القاموس: والجنينة مطرف كالطيلسان، أي لسفينة كما في شرح القاموس.

كان بها، هذا ما توجبه صنعة علم العرب، قال: فأما لأي الأمرين وقعت التسمية فذلك أمر طريقه الخبر، وكذلك الجنينة؛ قال:

مما يضم إلى عمران حاطبه من الجنينة جزالا غير موزون

وقال ابن عباس ﷺ: كانت مجنة وذو المجاز وعكاظ أسواقا في الجاهلية، والاستجنان: الاستطراب، والجناجن، عظام الصدر، وقيل: رءوس الأضلاع، يكون ذلك للناس وغيرهم؛ قال الأسعر الجعفي:

لكن قعيدة بيتنا مجفوة باد جناجن صدرها ولها غنا

وقال الأعشي:

أثرت في جناجن كإران الـ ميت عولين فوق عوج رسال

واحدها جنجن وجنجن، وحكاه الفارسي بالهاء وغير الهاء: جنجن وجنجنة؛ قال الجوهري: وقد يفتح؛ قال رؤبة:

ومن عجاريهن كل جنجن

وقيل: واحدها جنجون، وقيل: الجناجن أطراف الأضلاع مما يلي قص الصدر وعظم الصلب، والمنجنون: الدولاب التي يستقى عليها، نذكره في منجن فإن الجوهري ذكره هنا، ورده عليه ابن الأعرابي وقال: حقه أن يذكر في منجن لأنه رباعي، وسنذكره هناك.

جنه: الجنهي: الخيزران؛ حكاه أبو العباس عن ابن الأعرابي، وأنشد للحزين الليثي، ويقال هو للفرزدق يمدح علي بن الحسين زين العابدين.

في كفه جنى ريحه عبق من كف أروع في عرنينه شمم

ويروي: في كفه خيزران؛ قال: وهو العسطوس أيضا.

جنى: جنى الذنب عليه جناية: جره؛ قال أبو حية النميري:

وإن دما لو تعلمين جنيته على الحي جاني مثله غير سالم

ورجل جان من قوم جناة وجناء؛ الأخيرة عن سيبويه، فأما قولهم في المثل: أبناؤها أجناؤها، فزعم أبو عبيد أن أبناء جمع بان وأجناء جمع جان

كشاهد وأشهاد وصاحب وأصحاب، قال ابن سيده: وأراهم لم يكسروا بانيا على أبناء ولا جانبا على أجناء إلا في هذا المثل؛ المعنى أن الذي جنى وهدم هذه الدار هو الذي كان بناها بغير تدبير فاحتاج إلى نقض ما عمل وإفساده؛ قال الجوهري: وأنا أظن أن أصل المثل جناتها بناتها، لأن فاعلا لا يجمع على أفعال، وأما الأشهاد والأصحاب فإنما هما جمع شهد وصحب، إلا أن يكون هذا من النوادر لأنه يجيء في الأمثال ما لا يجيء في غيرها؛ قال ابن بري: ليس المثل كما ظنه الجوهري من قوله جناتها بناتها، بل المثل كما نقل، لا خلاف بين أحد من أهل اللغة فيه، قال: وقوله أن أشهادا وأصحابا جمع شهد وصحب سهو منه لأن فعلا لا يجمع على أفعال إلا شاذا، قال: ومذهب البصريين أن أشهادا وأصحابا وأطيارا جمع شاهد وصاحب وطائر، فإن قيل: فإن فعلا إذا كانت عينه واوا أو ياء جاز جمعه على أفعال نحو شيخ وأشياخ وحوض وأحواض، فهلا كان أطيار جمعا لطير؟ فالجواب في ذلك أن طيرا للكثير وأطيارا للقليل، ألا تراك تقول ثلاثة أطيار؟ ولو كان أطيار في هذا جمعا لطير الذي هو جمع لكان المعنى ثلاثة جموع من الطير، ولم يرد ذلك؛ قال: وهذا المثل يضرب لمن عمل شيئا بغير روية فأخطأ فيه ثم استدركه فنقض ما عمله، وأصله أن بعض ملوك اليمن غزا واستخلف ابنته فبنت بمشورة قوم بنيانا كرهه أبوها، فلما قدم أمر المشيرين ببنائه أن يهدموه، والمعنى أن الذين جنوا على هذه الدار بالهدم هم الذين كانوا بنوها، فالذي جنى تلافى ما جنى، والمدينة التي هدمت اسمها براقش، وقد ذكرناها في فصل برقش، وفي الحديث: لا يجني جان إلا على نفسه؛ الجناية: الذنب والجرم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا والآخرة، والمعنى أنه لا يطالب بجناية غيره من أقاربه وأباعده، فإذا جنى أحدهم جناية لا يطالب بها الآخر لقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر: ١٨] وجنى فلان على نفسه إذا جر جريرة يجني جناية على قومه، وتجنى فلان على فلان ذنبا إذا تقوله عليه وهو بريء، وتجنى عليه وجانى: ادعى عليه جناية:

شمر: جنيت لك وعليك؛ ومنه قوله:

جانيك من يجني عليك وقد　　تعدى الصحاح فتجرب الجرب

أبو عبيد: قولهم جانيك من يجني عليك يضرب مثلا للرجل يعاقب بجناية ولا يؤخذ غيره بذنبه، إنما يجنيك من جنايته راجعة إليك، وذلك أن الإخوة يجنون على الرجل، يدل على ذلك قوله: وقد تعدى الصحاح الجرب، وقال أبو الهيثم في قولهم جانيك من يجني عليك: يراد به الجاني لك الخير من يجني عليك الشر؛ وأنشد:

جانيك من يجني عليك وقد　　تعدى الصحاح مبارك الجرب

والتجني: مثل التجرم وهو أن يدعي عليك ذنبا لم تفعله.

وجنيت الثمرة أجنيها حتى واجتنيتها بمعنى؛ ابن سيده: جنى الثمرة ونحوها وتجناها كل ذلك تناولها من شجرتها.

قال الشاعر:

إذا دعيت بما في البيت قالت　　تجن من الجذال وما جنيت

قال أبو حنيفة: هذا شاعر نزل بقوم فقروه صمغا ولم يأتوه به، ولكن دلوه على موضعه وقالوا اذهب فاجنه فقال هذا البيت يذم به أم مثواه؛ واستعاره أبو ذؤيب للشرف فقال:

وكلاهما قد عاش عيشة ماجد　　وجنى الغلاء لو أن شيئا ينفع

ويروى: وجنى العلى لو أن، وجناها له وجناه إياها، أبو عبيد: جنيت فلانا جنى، أي جنيت له؛ قال:

ولقد جنيتك أكموا وعساقلا　　ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

وفي الحديث: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، دخل بيت المال فقال يا حمراء ويا بيضاء احمري وابيضي وغري غيري:

هذا جناي وخياره فيه

إذ كل جان يده إلى فيه

قال أبو عبيد: يضرب هذا مثلا للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده، قال أبو عبيد: وذكر ابن الكلبي أن المثل لعمرو بن عدي اللخمي ابن أخت جذيمة، وهو أول من قاله، وأن جذيمة نزل منزلا وأمر الناس أن يجتنوا له الكمأة فكان بعضهم يستأثر بخير ما يجد ويأكل طيبها، وعمرو يأتيه بخير ما يجد ولا يأكل منها شيئا فلما أتى بها خاله جذيمة قال:

هـــذا جـــناي وخـــياره فـــيه

إذ كـــل جـــان يـــده إلى فـــيه

وأراد علي، رضوان الله عليه، بقول ذلك أنه لم يتلطخ بشيء من فيء المسلمين بل وضعه مواضعه، والجنى: ما يجنى من الشجر؛ ويروي:

هـــذا جـــناي وهجانـــه فـــيه

أي: خياره ويقال: أتانا بجناة طيبة لكل ما يجتنى، ويجمع الجني على أجن مثل عصا وأعص، وفي الحديث: أهدي له أجن زغب؛ يريد القثاء الغض، هكذا جاء في بعض الروايات، والمشهور أجر، بالراء، وهو مذكور في موضعه، ابن سيده: والجني كل ما جني حتى القطن والكمأة، واحدته جناة، وقيل: الجناة كالجني، قال: فهو على هذا من باب حق وحقه، وقد يجمع الجني على أجناء؛ قالت امرأة من العرب:

لأجـــناء العضـــاه أقـــل عـــارا ... مـــن الجـــوفان يلفحـــه الســـعير

وقال حسان بن ثابت:

كـــأن جنـــية مـــن بـــيت رأس ... يكـــون مـــزاجها عســـل ومـــاء

علـــى أنـــيابها أو طعـــم غـــض ... مـــن الـــتفاح عصـــرها الجـــناء

قال: وقد يجمع على أجن مثل جبل وأجبل، والجني: الكلأ، والجني الكمأة وأجنت الأرض: كثر جناها، وهو الكلأ والكمأة ونحو ذلك، وأجني الثمر أي أدرك ثمره، وأجنت الشجرة إذا صار لها جني يجنى فيؤكل؛ قال الشاعر:

أجنى له باللوى شري وتنوم

وقيل في قوله أجنى: صار له التنوم والآء جني يأكله، قال: وهو أصح، والجنى: الثمر المجتنى ما دام طريا، وفي التنزيل العزيز: ﴿ تُسَقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥]، والجني: الرطب والعسل؛ وأنشد الفراء:

هزي إليك الجذع يجنيك الجنى

ويقال للعسل إذا اشتير جني، وكل ثمر يجتنى فهو جنى، مقصور، والاجتناء: أخذك إياه، وهو جنى ما دام رطبا، ويقال لكل شيء أخذ من شجره: قد جنى؛ قال الراجز يذكر الكمأة:

جنيته من مجتنى عويص

وقال الآخر:

إنك لا تجني من الشوك العنب

ويقال للتمر إذا صرم: جني، وتمر جني على فعيل حين جني؛ وفي ترجمة جني:

حب الجني من شرع نزول

قال: الجني العنب، وشرع نزول، يريد به ما شرع من الكرم في الماء «ابن سيده»: واجتنينا ماء مطر؛ حكاه ابن الأعرابي، قال: وهو من جيد كلام العرب، و لم يفسره، وعندي أنه أراد: وردناه فشربناه أو سقيناه ركابنا، قال: ووجه استجادة ابن الأعرابي له أنه من فصيح كلام العرب، والجني: الودع كأنه جنى من البحر، والجني: الذهب وقد جناه؛ قال في صفة ذهب:

صبيحة ديمة يجنيه جاني

أي يجمعه من معدنه. «ابن الأعرابي» ، الجاني اللقاح؛ قال أبو منصور: يعني يلقح النخيل، والجاني الكاسب، ورجل أجنى كأجنأ بين الجني والأنثى

جنوى، والهمز أعرف، وفي حديث أبي بكر، ﷺ: أنه رأى أبا ذر، ﷺ، فدعاه فجنى عليه فساره؛ جنى عليه: أكب عليه، وقيل: هو مهموز، والأصل فيه الهمز من جنأ يجنأ إذا مال عليه وعطف ثم خفف، وهو لغة في أجنأ، وقد تقدم، قال ابن الأثير، ولو رويت بالحاء المهملة بمعنى أكب عليه لكان أشبه.

ذكر لفظ النجاة في القرآن

١- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف: ٤٥].

٢- ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥].

٣- ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧].

٤- ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود: ٥٨].

٥- ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦].

٦- ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [هود: ٩٤].

٧- ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [الدخان: ٣٠].

٨- ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٤٩].

٩- ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٤].

١٠- ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ [القمر: ٣٤].

١١- ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢].

١٢- ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣].

١٣- ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢].

١٤- ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

١٥- ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

١٦- ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ١١٦].

١٧- ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٤١].

١٨- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢].

١٩- ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٢٣].

٢٠- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٦].

٢١- ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٣].

بحث في لفظة النجاة (١)

ونجوت من كذا، والصدق منجاة، وأنجيت غيري ونجيه وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس: ٩٢]، المعنى ننجيك لا بفعل بل نهلكهم، فأضمر قوله لا بفعل؛ قال ابن بري: قوله لا بفعل يريد أنه إذا نجا الإنسان ببدنه على الماء بلا فعل فإنه هالك، لأنه لم يفعل طفوه على الماء، وإنما يطفو على الماء حيا بفعله إذا كان حاذقا بالعوم، ونجاه الله وأنجاه وفي التنزيل العزيز ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وأما قراءة من قرأ: (وكذلك نجي المؤمنين)، فليس على إقامة المصدر موضع الفاعل ونصب المفعول الصريح، لأنه على حذف أحد نوني المضارعة في قول الله عز وجل: ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي تتذكرون، ويشهد بذلك أيضا سكون لام نجي، ولو كان ماضيا لانفتحت اللام إلا في الضرورة؛ وعليه قول المثقب:

لمـــن ظعـــن تطالـــع من صنيب؟ فمـــا خرجت من الوادي لحين (٢)

أي تتطالع، فحذف الثانية على ما مضى، ونجوت به نجوته؛ وقال الهذلي:

نجـــا عامـــر والنفس منه بشدقه ولم يـــنج إلا جفـــن سيف ومئزرا

أراد: إلا بجفن سيف، فحذف وأوصل، أبو العباس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، أي نخلصك من العذاب وأهلك واستنجى منه حاجته: تخلصها؛ عن ابن الأعرابي، وانتجى متاعه، تخلصه وسلبه؛ عن تعلب. ومعنى نجوت الشيء في اللغة: خلصته وألقيته.

والنجوة والنجاة ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل فظننته نجاءك، والجمع نجاء وقوله تعالى:﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أي نجعلك فوق نجوة من

---

(١) لسان العرب.

(٢) قوله «صنيب» هو هكذا في الأصل والمحكم مضبوطًا.

الأرض، فنظهرك أو نلقيك عليها لتعرف، لأنه قال ببدنك ولم يقل بروحك؛ قال الزجاج معناه نلقيك عريانا لتكون لمن خلفك عبرة. أبو زيد: والنجوة المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك. ابن شميل: يقال للوادي نجوة وللجبل نجوة، فأما نجوة الوادي فسنداه جميعا مستقيما ومستلقيا كل سند نجوة، وكذلك هو من الأكمة، وكل سند مشرف لا يعلوه السيل فهو نجوة لأنه لا يكون فيه سيل أبدا، ونجوة الجبل منبت البقل، والنجاة هي النجوة من الأرض لا يعلوها السيل؛ قال الشاعر:

فأصون عرضي أن ينال بنجوة، إن البري من الهناة سعيد

وقال زهير بن أبي سلمى:

ألم تريا النعمان كان بنجوة من الشر، لو أن امرأ كان ناجيا

ويقال: نجى فلان أرضه تنجيه إذا كتبها مخافة الغرق. ابن الأعرابي: انجي عرق، وأنجي إذا شلح، يقال للص مشلح لأنه يعري الإنسان من ثيابه، وأنجى، كشف الجل عن ظهر فرسه. أبو حنيفة: المنجى الموضع الذي لا يبلغه السيل، والنجاة السرعة في السير، وقد نجا نجاء ممدود، وهو ينجو في السرعة نجاء وهو ناج سريع، ونجوت نجاء أي أشرعت وسبقت، وقالوا: النجاء النجاء والنجا النجا، فمدوا وقصروا؛ قال الشاعر:

إذا أخذت النهب فالنجا النجا

وقالوا: النجاك فأدخلوا الكاف للتخصيص بالخطاب، ولا موضع لها من الإعراب لأن الألف واللام معاقبة للإضافة، فثبت أنها ككاف ذلك ورأيتك زيد أبو من هو، وفي الحديث:« وأنا النذير العريان فالنجاء النجاء» أي انجوا بأنفسكم، وهو مصدر منصوب بفعل مضمر أي انجوا النجاء، والنجاء السرعة، وفي الحديث: «إنما يأخذ الذئب القاصية والشاذة الناجية» أي السريعة؛ قال ابن الأثير، هكذا روي عن الحربي بالجيم، وفي الحديث: «أتوك على قلص نواح» أي مسرعات، وناقة ناجية ونجاة سريعة، وقيل: تقطع الأرض بسيرها، ولا يوصف بذلك البعير: «الجوهري»: الناجية والنجاة الناقة السريعة تنجو بمن

ركبها؛ وقال العير ناج؛ وقال:

أي قلـــــوس راكـــــب تــــــراها

ناجــــــية وناجـــــيا أباهــــــا

وقول الأعشى:

تقطــع الأمعــز المكوكب وخدا بـــــنواج ســــريعة الإيغــــال

أي بقوائم سراع، واستنجى أي أسرع، وفي الحديث: «إذا سافرتم لجدب فاستنجوا»، معناه أسرعوا السير وانجوا، ويقال للقوم إذا انهزموا: قد استنجوا؛ ومنه قول لقمان بن عاد: أولنا إذا نجونا وآجرنا إذا استنجينا أي هو حاميتنا إذا انهزمنا يدفع عنا.

والنجو: السحاب الذي قد هراق ماءه ثم مضى، وقيل: هو السحاب أول ما ينشأ والجمع نجاء ونجوا استنجوا؛ قال جميل:

ألـــيس مـــن الشـــقاء وجيب قلبي

وإيضـــاعي الهمـــوم مـــع الـــنجو

فأحـــزن أن تكـــون علـــى صديق

وأفـــرح أن تكـــون علـــى عـــدو

يقول: نحن ننتجع الغيث، فإذا كانت على صديق حزنت لأني لا أصيب ثَمَّ بثينة دعا لها بالسقيا، وأنجت السحابه، ولت، وحكي عن أبي عبيد: أين أنجتك السماء أي أين أمطرتك، وأنجيناها بمكان كذا وكذا أي أمطرناها، ونحو السبع- جعره، والنجو: ما يخرج من البطن من ريح وغائط، وقد نجا الإنسان والكلب نجوا، والاستنجاء: الاغتسال بالماء من النجو والتمسح بالحجارة منه؛ وقال كراع: هو قطع الأذى بأيهما كان، واستنجيت بالماء والحجارة أي تطهرت بها، الكسائي، جلست على الغائط فما أنجيت. الزجاج: يقال ما أنجى فلان شيئا، وما نجا منذ أيام أي لم يأت الغائط، والاستنجاء التنظف بمدر أو ماء، واستنجى أي مسح موضع النجو أو غسله، ويقال: أنجى أي أحدث،

وشرب دواء فما أنجاه أي ما أقامه، الأصمعي: أنجى فلان إذا جلس على الغائط يتغوط، ويقال: أنجى الغائط نفسه ينجو، وفي الصحاح: نجا الغائط نفسه، وقال بعض العرب: أقل الطعام نجو اللحم، والنجو، العذرة نفسه، واستنجيت النخلة إذا ألقطتها؛ وفي الصحاح: إذا لقطت رطبها.

وفي حديث ابن سلام: وإني لفي عذق أنجي منه رطبا أي ألتقط، وفي رواية: استنجي منه بمعناه. وأنجيت قضيبا من الشجرة فقطعته، واستنجيت الشجرة: قطعتها من أصلها ونجا غصون الشجرة نجوًا واستنجاها، قعطها، قال شمر: وأرى الاستنجاء في الوضوء من هذا لقطعه العذرة بالماء؛ وأنجيت غيري، واستنجيت الشجر، قطعته من أصوله، وأنجيت قضيبا من الشجر أي قطعت.

وشجرة جيدة النجا أي العود، والنجا: العصا، وكله من القطع، وقال أبو حنيفة: النجا الغصون، واحدته نجاة، وفلان في أرض نجاة، يستنجي من شجرها العصي والقسي، وأنجني غصنا من هذه الشجرة أي اقطع لي منها غصنا، والنجا عيدان الهودج، ونجوت الوتر واستنجيته إذا خلته، واستنجى الجازر وتر المتن، قطعه؛ قال عبد الرحمن بن حسان:

فتبازخت فتبازخت لها

جلسة الجازر يستنجي الوتر

ويروى: جلسة الأعسر، الجوهري: استنجى الوتر أي مد القوس، وأنشد بيت عبد الرحمن بن حسان، قال: وأصله الذي يتخذ أوتار القسي لأنه يخرج ما في المصارين من النجو، وفي حديث بئر بضاعة: تلقى فيها المحايض وما ينجي الناس أي يلقونه من العذرة؛ قال ابن الأثير: يقال منه أنجى ينجي إذا ألقى نجوه، ونجا وأنجى إذا قضى حاجته منه، والاستنجاء، استخراج النجو من البطن، وقيل: هو إزالته عن بدنه بالغسل والمسح، وقيل: هو من نجوت الشجرة وأنجيتها إذا قطعتها، كأنه قطع الأذى عن نفسه، وقيل: هو من النجوة، وهو ما ارتفع من الأرض كأنه يطلبها ليجلس تحتها، ومنه حديث عمرو بن العاص: قيل له في مرضه كيف تجدك؟ قال: أجد نجوي أكثر من رزئي أي ما

يخرج مني أكثر مما يدخل، والنجا، مقصور: من قولك نجوت جلد البعير عنه وأنجيته إذا سلخته، ونجا جلد البعير والناقة نجوا ونجا وأنجاه: كشطه عنه، والنجو والنجا: اسم المنجو؛ قال يخاطب ضيفين طرقاه:

فقلـــت: انجوا عنها نجا الجلد إنه سيرضـــيكما مـــنها ســـنام وغاربه

قال الفراء: أضاف النجا إلى الجلد لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كقوله تعالى: (حق اليقين) (ولدار الآخرة) والجلد نجا، مقصور أيضا؛ قال ابن بري: ومثله ليزيد بن الحكم:

تفاوض من أطوى طوى الكشح دونه ومـــن دون من صافيته أنت منطوي

قال: ويقوي قول الفراء بعد البيت قولهم عرق النسا وحبل الوريد وثابت قطنة وسعيد كرز، وقال علي بن حمزة: يقال نجوت جلد البعير، ولا يقال سلخته، وكذلك قال أبو زيد؛ قال: ولا يقال سلخته، وكذلك قال أبو زيد؛ قال: ولا سلخته إلا في عنقه خاصة دون سائر جسده، وقال ابن السكيت في آخر كتابه إصلاح المنطق: جلد جزوره ولا يقال سلخه الزجاجي: النجا ما سلخ عن الشاة أو البعير، والنجا أيضا ما ألقى عن الرجل من اللباس، التهذيب: يقال نجوت الجلد إذا ألقيته عن البعير وغيره، وقيل: أصل هذا كله من النجوة وهو ما ارتفع من الأرض، وقيل: إن الاستنجاء من الحدث مأخوذ من هذا لأنه إذا أراد قضاء الحاجة استتر بنجوة من الأرض؛ قال عبيد:

فمـــن بـــنجوته كمـــن بعقـــوته والمســـتكن كمـــن يمشي بقرواح

ابن الأعرابي: بيني وبين فلان نجاوة من الأرض أي سعة، الفراء: نجوت الدواء شربته، وقال: إنما كنت أسمع من الدواء ما أنجيته، ونجوت الجلد وأنجيته ابن الأعرابي: أنجاني الدواء أقعدني.

ونجا فلان ينجو إذا أحدث ذنبا أو غير ذلك، ونجاه نجوا ونجوى: سارَّه، والنَّجْوى والنَجِيُّ: السر والنجو: السر بين اثنين، يقال: نجوته نجوا أي ساررته، وكذلك ناجيه والاسم النجوى؛ وقال:

فبت أنجو بها نفسا تكلفني   ما لا يهم به الجثامة الورع

وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٤٧]، فجعلهم هم النجوى، وإنما النجوى فعلهم، كما تقول قوم رضا، وإنما رضا فعلهم، والنجي، على فعيل الذي شازه، والجمع الأنجية، قال الأخفش: وقد يكون نجي جماعة مثل الصديق قال الله تعالى: ﴿ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ قال الفراء: وقد يكون النَّجي والنجوى اسما مصدرا، وفي حديث الدعاء: «**اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك**»، هو المناجي المخاطب للإنسان والمحدث له، وقد تناجيا مناجاة وانتجاء، وفي الحديث: «**لا يتناجى اثنان دون الثالث**»، وفي رواية «**لا يتنجى اثنان دون صاحبهما**» أي لا يتسارر منفردين عنه لأن ذلك يسوءه، وفي حديث علي، كرم الله وجهه: «**دعا رسول الله ﷺ يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه! فقال: ما انتجيته ولكن الله انتجاه**»! أي امرأني أن أناجيه، وفي حديث ابن عمر، رضي الله عنهما: قيل له ما سمعت من رسول الله ﷺ في النجوى؟ يريد مناجاة الله تعالى لعبد يوم القيامة، وفي حديث الشعبي: إذا عظمت الحلقة فهي بذاء ونجاء أي مناجاة، يعني يكثر فيها ذلك، والنجوى والنجي: المتسارون، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ قال: هذا في معنى المصدر، وإذ هم ذوو نجوى، والنجوى اسم للمصدر، وقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المجادلة: ٧]، يكون على الصفة والإضافة، وناجى الرجل مناجاة ونجاء ساره، وانتجى القوم وتناجوا، تساروا؛ وأنشد ابن بري:

قال جواري الحي لما جينا

وهن يلعبن وينتجينا

ما لمطايا القوم قد وجينا

والنجي: المتناجون، وفلان نُجيٌّ فلان أي يناجيه دون من سواه، وفي

التنزيل العزيز: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ [يوسف: ٨٠]، أي اعتزلوا متناجين، والجمع أنجية، قال:

ومــــا نطقـــوا بأنجـــــية الخصـــــوم

وقال سحيم بن وثيل اليربوعي:

إني إذا مـــــا القــــوم كانــــوا أنجـــــيه

واضـــطرب القـــوم اضـــطراب الأرشـــيه

هــــناك أوصـــيني ولا توصـــي بـــيه

قال ابن بري: حكى القاضي الجرجاني عن الأصمعي وغيره: أنه يصف قوما أتعبهم السير والسفر، فرقدوا على ركابهم واضطربوا عليها وشد بعضهم على ناقته حذار سقوطه من عليها، وقيل: إنما ضربه مثلا لنزول الأمر المهم، وبخط علي بن حمزة، هناك، بكسر الكاف، وبخطه أيضا: أوصيني ولا توصي، بإثبات الياء، لأنه يخاطب مؤنثا؛ وروي عن أبي العباس أنه يرويه:

واخـــتلف القـــوم اخـــتلاف الأرشـــيه

قال: وهو الأشهر في الرواية وروي أيضا:

والتـــبس القـــوم اخـــتلاف الأرشـــيه

ورواه الزجاج: واختلف القول؛ وأنشد ابن بري لسحيم أيضا:

قالـــت نســـاؤهم والقـــوم أنجية ... يعدى عليها كما يعدي على النعم

قال أبو إسحاق: نجي لفظ واحد في معنى جميع، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ ويجوز: قوم نجي وقوم أنجية وقوم نجوى، وانتجاه إذا اختصه بمناجاته، ونجوت الرجل أنجوه إذا ناجيته، وفي التنزيل العزيز: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ [النساء: ١١٤]، قال أبو إسحاق: معنى النجوى في الكلام ما ينفرد به الجماعة والاثنان سرا كان أو ظاهرا؛ وقوله أنشده ثعلب:

يخـــــرجن مـــــن نجـــــيه للشـــــاطي

فسره فقال: نجيه هنا صوته، وإنما يصف حاديا سواقا مصونا، ونجاة نكهه، ونجوت فلانا إذا استنكهته؛ قال:

نجوت مجالدا فوجدت منه ... كريح الكلب مات حديث عهد

فقلت له متى استحدثت هذا ... فقال أصابني في جوف مهدي

وروى الفراء أن الكسائي أنشده:

أقول لصاحبي وقد بدالي ... معالم منهما، وهما نجيا

أراد نجيان فحذف النون، قال الفراء: أي هما بموضع نجوى، فنصب نجيا على مذهب الصفة، وأنجت النخلة فأجنت؛ حكاه أبو حنيفة. واستنجى الناس في كل وجه: أصابوا الرطب، وقيل: أكلوا الرطب، قال: وقال غير الأصمعي كل اجتناء استنجاء، يقال: نجوتك إياه؛ وأنشد:

ولقد نجوتك أكمؤا وعساقلا، ... ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

والرواية المعروفة نجيتك، وهو مذكور في موضعه: والنجواء: التمطي مثل المطواء؛ وقال شبيب بن البرصاء:

وهم تأخذ النجواء منه ... يعل بصالب أو بالملال

قال ابن بري: صوابه النحواء، بحاء غير معجمة، وهي الرعدة، قال: وكذلك ذكره ابن السكيت عن أبي عمرو بن العلاء وابن ولاد وأبو عمرو الشيباني وغيره، والملال: حرارة الحمى التي ليست بصالب، وقال المهلبي: يروى **يعك** بصالب.

وناجية: اسم، وبنو ناجية، قبيلة؛ حكاها سيبويه، الجوهري: بنو ناجية قوم من العرب، والنسبة إليهم ناجي، حذف منه الهاء والياء والله أعلم.

ذكر جهنم في القرآن الكريم

١- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

٢- ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

٣- ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

٤- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧].

٥- ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء: ١٢١].

٦- ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

٧- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

٨- ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٩٥].

٩- ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [الرعد: ١٨].

١٠- ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ١٦].

ذكر النار في القرآن الكريم

١- ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠].

٢- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٤].

٣- ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥١].

٤- ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

٥- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

٦- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

٧- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٩].

٨- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ

شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠].

٩- ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّاۖ قَالُواْ نَعَمْۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤].

١٠- ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧].

١١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠].

١٢- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦].

١٣- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

١٤- ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٦].

١٥- ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤].

١٦- ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية: ٤].

امرأتان في النار

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

امرأتان في الجنة

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١١، ١٢].

المرأة الوحيدة التي ذكرت في القرآن

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١٢].

تمهيد

وضع المرأة في نظر الإسلام[1]

عناية الإسلام بالأسرة فرع من عنايته بشأن المرأة كله:

عرضنا فيما مضى لأهم المبادئ التي أرشد إليها الإسلام عند إرادة تكوين الأسرة، وعرضنا فيها كذلك للأساس الذي قرره الإسلام أصلاً في سعادة الأسرة وهنائتها. ثم عرضنا لما قد يطرأ على الحياة الزوجية من مظهر النشوز والشقاق، وما اتخذه الإسلام علاجاً لتلك الحالة الطارئة.

وبينا أن الطلاق -مهما تعددت صوره- في واقعه نوع من محاولة العلاج لمرض الشقاق حينما يقوى ويتفاقم أمره، وأنه لا يوجد في الإسلام طلاقاً ما يحرم على الرجل أن تعود إليه زوجته، فهو إما طلاق رجعي له أن يراجعها منفرداً عنها، وبدون عقد عليها، وإما طلاق يتوقف رجع الزوجة فيه إلى الزوج، على إجراء عقد جديد بمهر جديد.

وإما طلاق بلغت التجربة فيه أقصاها، فشدد الإسلام في سبيل رجوع الزوجة إلى زوجها، واشترط أن تتزوج غيره زواجاً شرعياً لا يقصد منه تحليل، ثم تطلق من زوجها الثاني وتمضي عدتها منه، وهنا يجوز لزوجها الأول أن يستأنف معها حياة زوجية جديدة.

عرضنا لهذا ولغيره، ونريد الآن أن نلفت الأنظار إلى أن عناية الإسلام بالحياة الزوجية ليست إلا فرعاً من فروع العناية بشأن المرأة كله.

المرأة في القرآن:

١- وقد عرض القرآن لكثير من شئون المرأة في أكثر من عشر سور،منها سورتان، عرفت إحداهما بسورة النساء الكبرى، وعرفت الأخرى بسورة النساء الصغرى، وهما سورتا: النساء والطلاق.

وعرض لها في سور: البقرة، والمائدة، والنور، والأحزاب، والمجادلة، والممتحنة، والتحريم.

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت صـ ١٨٨.

وقد دلت هذه العناية على المكانة التي ينبغي أن توضع فيها المرأة في نظر الإسلام، وأنها مكانة لم تحظ المرأة بمثلها في شرع سماوي سابق، ولا في اجتماع إنساني، تواضع عليه الناس فيما بينهم، واتخذوا له القوانين والأحكام، وعلى الرغم من هذا فقد كثر كلام الناس حول وضع المرأة في الإسلام، وزعم زاعمون أن الإسلام اهتضم حقها، وأسقط منزلتها، وجعلها متاعاً في يد الرجل، يتصرف فيها كلما شاء بما شاء، يزعمون هذا، والقرآن هو الذي يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٢٨].

والحقيقة أن المسألة لا ترجع إلى حق يريدون تقريره، أو باطل يريدون تزييفه، وإنما هي العصبية الدينية، أو الفتنة بالتقليد الأجنبي عن طريق استحسان ما يستحسنه القوي ولو كان قبيحاً منكراً، واستقباح ما يستحسنه الضعيف ولو كان حسناً معروفاً، وهذا شأن درج عليه الناس في استحسان ما يستحسنون، واستقباح ما يستقبحون.

١ - الأحوال الشخصية:

وقد كان من الثمرات المرة لاحتلال الأجانب لبلادنا، وغزوهم المنظم لعقائدنا، وتقاليدنا أن حملونا على نبذ أحكام الجنايات وأحكام المدنيات ولم يبق لنا من شرعنا سوى بضعة أحكام تتعلق بجانب الأسرة، وعمادها (المرأة) ومع هذا لم يطيقوا صبراً على التزام هذه البقية الضئيلة من شريعة الإسلام؛ فولوا وجهتهم نحو هذا الجانب، وأخذوا يغرون المرأة بأساليبهم الخداعة وطرقهم الملتوية المغرضة بحجة الدفاع عنها.

وأخذوا يرددون في هذا السبيل شبهاً واهية، وصوراً مكذوبة عن مكانة المرأة في الإسلام.

٢ - المرأة الغربية:

والحق أن الإسلام منح المرأة كل خير وصانها عن كل شر، ولم يأب عليها سوى ما دفعتها إليه هذه المدنية الكاذبة من حرية جعلت المرأة الغربية إذا ما خلت إلى ضميرها الإنساني، تبكي دماً على الكرامة المفقودة والعرض

المبتذل والسعادة الضائعة.

ستعلم المرأة متى ثابت إلى رشدها، أن لا منقذ لها، ولا حافظ لكرامتها وحقوقها سوى هذه التعاليم الإلهية التي يحاول خصوم الدين والسائرون في طريقهم من أبناء المسلمين أن يصوروها بصورة الأغلال التي تطوق الأعناق، وتحول بينها وبين ما لها من حق في الحياة.

وفي هذا الفصل صورة للخطوط الأولى التي رسمها القرآن الكريم، في سبيل الإرشاد إلى حقوق المرأة وأحكامها ومنزلتها في حياة الأسرة التي تعتبر بحق اللبنات الأولى في بناء الأمة والتي تخلع عليها ما لها من كيان قوي أو ضعيف. وسيكون ذلك بإذن الله على أساس من تتبع السور القرآنية التي عرضت للمرأة، وبيان ما لها من مكانة بجانب مكانة أخيها الرجل.

٣ - الأصل الذي خلق منه الإنسان:

أول ما يطالعنا من تلك الخطوط، أن القرآن الكريم حينما تحدث عن الأصل الذي تفرع منه الإنسان، جعل المرأة شريكة فيه للرجل، ومن مجموعها تعددت القبائل والشعوب، وانتسبت الأفراد بالبنوة لكل من الرجل والمرأة، وبذلك كان الرجل أبًا وكانت المرأة أماً، ويعتبر القرآن الكريم ذلك نعمة على الإنسان، توجب عليه الشكر، وتوجب عليه تقوى الله ومراقبته، وتوجب عليه النظرة المستقيمة إلى أخيه الإنسان الذي يشاركه في معنى الإنسانية، وفي نسبته إلى أصله الذي تكونا منه.

ومعنى هذا أنه لا تفاضل بينهما من جانب الإنسانية، وأن التفاضل إنما يكون بما يكتسبه الإنسان من الخلال التي ترقى بالإنسانية إلى المستوى الفاضل، ولعلنا نجد هذا في مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١] وفي مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات: ١٣].

وقد كان من فروع الاشتراك في تلك العنصرية الإنسانية، أن سمي الرجل

والداً، والمرأة والدة، وجاءت التعاليم القرآنية بوضعهما معاً موضع التكريم والإجلال، وما كانت الوصايا الكثيرة التي حثت على الإحسان بالوالدين إلا أثراً لهذا الأصل الذي قرره القرآن في أصل الإنسان وتكوينه ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

والقرآن لا يقف في هذا المقام عند حد التسوية بين الوالدين في واجب الإحسان والإجلال، بل يخطو خطوة ثانية فيرشد إلى ما للوالدة من جهود مضنية في تربية الأبناء، ليس شيء منها للوالد، وترى ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤].

وفي قول الرسول عليه السلام جواباً عن سؤال رجل: من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ قال: **أمك**. قال الرجل: ثم من؟ قال: **أمك**. قال: ثم من؟ قال: **أمك**. قال: ثم من؟ قال: **ثم أبوك**.

٤ - التنظيم لمقتضى الفطرة:

والذي أحب أن أنبه إليه من هذه الفقرات الماضية، أن القرآن حينما جاء بوصايا احترام الوالدين معاً، وتخصيص الأم بنوع من العناية جاء منظماً لما تقتضيه فطرة الخلق والتكوين، وما تقتضيه عاطفة الحنو والشفقة التي أودعها الله في قلب المرأة لولدها وبها احتملت ما احتملت في الحمل والإرضاع والتربية الأولى والسهر على حفظ صحته وسلامته بما يخطو به مراحل الحياة الشاقة.

ولم يكن بناء الإسلام وصاياه بالوالدين على ما تقتضيه الفطرة، خاصاً بتشريعه ووصاياه في دائرة الوالدين فقط! بل إذا امتد بنا النظر، وتعرفنا مقتضى الطبيعة والفطرة في كل نواحي الحياة، ثم طابقنا بين مقتضيات الطبيعة وبين تشريع الإسلام في هذه النواحي، وجدنا أن الشأن العام الذي لم يشذ ولم ينحرف هو أن التشريع الإسلامي في كل ناحية من واحي الحياة، ليس إلا تنظيماً لما تقتضيه الفطرة والطبيعة، فتنظيمه في الأسرة، وأن الأم هي المربية الأولى، وهي المرضعة، وهي الساهرة والرجل هو المربي الثاني، وهو العامل

الكادح، وهو المنفق والمهيمن، تنظيماً لمقتضى الفطرة.

وتنظيمه في المال تحصيلاً من طرقه المشروعة، وإنفاقاً في وجوهه المعقولة، دون قبض أو تبذير تنظيماً لمقتضى الفطرة.

وتنظيمه في علاقات الناس بعضهم مع بعض، على أساس من المحبة والتعاون، دون استغلال لحاجة محتاج ودون استعباد لضعف ضعيف، تنظيماً لمقتضى الفطرة وتلبية لنداء الحياة.

وهكذا لا يستطيع أحد أن يظفر بتشريع الإسلام ينبو عن هذه المكانة، مكانة التلبية لمقتضى الفطرة وتنظيمها، ومن هنا كان الإسلام عند الفاقهين لتشريعه، الواقفين في تفسيره وشرحه، عند الحدود التي تبينها مصادره الأولى في الأمر والنهي، والحل والحرمة، دين الحياة.

وما وضع التشريع الإسلامي على بساط النقد، وتسلطت عليه الأحكام ببعده عن مسايرة الحياة، إلا عند أحد رجلين.

رجل تلقى أحكام الإسلام عن ميراث قديم زاغ فيه المفسرون عن اللب والحقيقة، وتعلقوا بصور وأشكال، زعموها الشرع والدين.

ورجل لم يكن له من سبيل إلى معرفة حقيقة الإسلام، وإنما نشأ خصماً للإسلام بعصبية موروثة. فأخذ يضفي على الإسلام ما شاء له هواه. وشاءت له عصبيته ألوان المجافاة لسنن الجماعة، وسنن الحياة.

وجدير بأرباب الغيرة على الإسلام أن يستقبلوا ما استدبروا، وأن يبسطوا للناس هذه النظرية التي لا تعوزهم حججها، ولا ينقطع عنهم سبيلها متي تجردوا عن عصبية الميراث الثقيل التي دفعتهم إليها عصور التقليد، وزعموا بها أن الأول لم يترك للآخر مجالاً ينظر به في كتاب الله في سنة رسوله، وأن الشأن قد انتقل من التلقي عن كتاب الله وسنة الرسول، إلى التلقي عن الأفهام والآراء وإن كانت سقيمة لا تلتقي مع الأصل التشريعي، ولا مع حكمة التشريع في قليل أو كثير.

د – المرأة ذات مسئولية:

وإذا كان ما أسلفنا تلبية لمقتضى الفطرة في الأصل الذي تكون منه

الإنسان، فإن الإسلام يقرر أيضاً في تلبية الفطرة التي خلقت عليها المرأة، وهي: «الإنسانية ذات العقل والإدراك والفهم» أن المرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل، مسئولة عن نفسها، وعن عبادتها، وعن بيتها، وعن جماعتها.

وهي لا تقل في مطلق المسئولية عن مسئولية أخيها الرجل، وأن منزلتها في المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة، وطاعة الرجل لا تنفعها وهي طالحة منحرفة، ومعصيته لا تضرها، وهي صالحة مستقيمة ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤] ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وليقف المتأمل عند هذا التعبير الإلهي ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ ليعرف كيف سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل، وكيف حد من طغيان الرجل فجعله بعضاً من المرأة، وليس في الإمكان ما يؤدي به معنى للمساواة أوضح ولا أسهل من هذه الكلمة التي تفيض بها طبيعة الرجل والمرأة، والتي تتجلي في حياتهما المشتركة، دون تفاضل وسلطان: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء: ٣٢].

وهذا هو شرع الله القديم: تسأل المرأة عن نفسها، لا يتحمل الرجل من خطيئتها شيئاً، ويسأل الرجل عن نفسه ولا تتحمل المرأة من خطيئته شيئاً، ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[التحريم: ١٠، ١١].

٦ - مسئولية المرأة العامة:

وإذا كانت المرأة مسئولة مسئولية خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها فهي في نظر الإسلام أيضاً مسئولة مسئولية عامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، والإرشاد إلى الفضائل، والتحذير من الرذائل.

وقد صرح القرآن بمسئوليتها في ذلك الجانب وقرن بينها وبين أخيها الرجل في تلك المسئولية كما قرن بينها وبينه في مسئولية الانحراف عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٧١]

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة ٦٧، ٦٨].

إن مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي أكبر مسئولية في نظر الإسلام، وقد سوى الإسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة.

وإذاً فليس من الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اعتماداً على ظن أو وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء.

وليس من الإسلام أن تلقي المرأة حظها من تلك المسئولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليها، أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب، فللرجل دائرته، وللمرأة دائرتها، والحياة لا تستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم، فليعلم ذلك نساؤنا وليفقهن حكم الله فيهن.

٧ - رأي المرأة في نظر الإسلام:

لم يقف الإسلام بالمرأة عند حد اشتراكها مع أخيها الرجل في المسئوليات جميعها -خاصها وعامها- بل رفع من شأنها وقرر -تلقاء تحملها هذه المسئوليات- احترام رأيها فيما تبدو وجاهته، شأنه في رأي الرجل تماماً سواءً بسواء، وإذا كان الإسلام جاء باختيار آراء بعض الرجال، فقد جاء أيضاً باختيار رأي بعض النساء.

وقد بدأت سورة المجادلة بأربع آيات نزلت في حادثة أوس بن الصامت وزوجه خولة بنت ثعلبة، قال أوس لزوجه: أنت عليَّ كظهر أمي - وكان الرجل في الجاهلية إذا قال مثل هذا لزوجته حرمت عليه-، ثم دعاها فأبت، وقالت: والذي نفس خولة بيده، لا تصل إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله.

ثم أتت رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب في، فلما خلا سني، ونثرت بطني جعلني عليه كأمه وتركني إلى غير أحد، فإن كنت تجد لي رخصة يا رسول الله تنعشني بها وإياه فحدثني بها، فقال عليه السلام: «**ما أمرت في شأنك بشيء حتى الآن، وما أراك إلا قد حرمت عليه**» فقالت: ما ذكر طلاقاً يا رسول الله؟ وأخذت تجادله عليه السلام وتكرر عليه القول إلىَّ أن قالت: إن لي صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك، وما برحت حتى نزلت الآيات الأربع: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١]

نزلت الآيات تشنع على الذين يقولون لزوجاتهم: أنت علي كظهر أمي. وتضع طريقاً للخلاص من هذا الكذب والافتراء، وتجاوز حدود الله، وتبين أن (الظهار) وهو تشبيه الزوجة بالأم أو غيرها من المحارم، ليس طلاقاً ولا موجباً للفرقة بين الزوجين ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾

[الأحزاب: ٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ﴾[المجادلة: ٢].

وانظر بعد ذلك كيف رفع الله شأن المرأة، وكيف احترم رأيها، وجعلها مجادلة ومحاورة للرسول وجمعها وإياه في خطاب واحد ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾[المجادلة: ١].

وكيف قرر رأيها وجعله تشريعاً عاماً خالداً، لتعلم أن آيات الظهار وأحكامه في الشريعة الإسلامية، وفي القرآن الكريم، وأن سورة المجادلة لم تكن إلا أثراً من آثار الفكر النسائي، وصفحة إلهية خالدة تلمح فيها على مر الدهور صورة احترام الإسلام لرأي المرأة، وأن الإسلام لا يرى المرأة مجرد زهرة، ينعم الرجل بشم رائحتها، وإنما هي مخلوق عاقل مفكر، له رأي وللرأي قيمته ووزنه.

٨ – تعليم المرأة:

وليس من شك في أن تحميلها المسئوليات، يجعل لها أو عليها الحق في أن تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسئولية على الوجه الذي حددت به وطلبت منها عليه، وهو تحري الخير والصلاح، والبعد عن الشر والفساد.

ومن هنا أوجب الإسلام عليها – كما أوجب على الرجل – معرفة العقائد والعبادات، ومعرفة الحلال والحرام في المأكول والمشروب. وسائر التصرفات.

ولا نعرف بينها وبين الرجل فارقاً دينياً في التكليف وأهليته، سوى أن التكليف يلحقها قبل أن يلحق الرجل، وذلك لوصولها بطبيعتها إلى مناط التكليف وهو البلوغ قبل أن يصل الرجل إليه.

نعم رفع الإسلام عنها الإلزام ببعض التكليف لا لأنها غير أهل لها، لو فعلتها لم تقبل منها ولم تثب عليها، ولكن أبيح لها تركها تخفيفاً عنها، وترخيصاً لها، وبعداً بها عن مزاحمة الرجال، وتفريغاً لها في خدمة البيت والإشراف عليه،

ورعاية الأبناء.

وذلك كما في صلاة الجماعة والجهاد، ولو أنها آثرت حضور الصلاة الجامعة، أو دخلت الصفوف المحاربة، لما كان عليها من حرج في الدين.

٩ - غزو النساء وقتالهن:

وهذا عنوان وضعه البخاري في كتابه: (باب خروج النساء مع الغزاة في سبيل الله) وروى فيه عن إحدى الصحابيات قالت: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ، نسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة.

وعن أخرى قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، وأضع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على الزمنى.

وعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة معها من الأنصار، يسقين الماء، ويداوين الجراح.

وقد كان تمريض المرضى، ومداواة الجرحى، وخدمة الجيش سهلاً يسيراً على النساء في عصر النبي ﷺ ، ولكنه الآن صار متوقفاً على فنون متعددة تطلب تعليماً خاصاً، وتربية خاصة.

وإذاً، فما أحوج المرأة لقيامها بهذا الواجب إلى أن تتعلم كل ما يحتاجه التمريض وخدمة الجيش، والإشراف على مهام الشئون التي تلائم طبيعتها، وتحسن القيام بأعبائها.

وقد قال الفقهاء: إن الجهاد فرض كفاية، ولا يجب على أصحاب الأعذار لأعذارهم، ولا يجب على المرأة لأنها مشغولة بحق زوجها. ولكن إذا أذن الزوج لها أن تخرج مجاهدة أو أخذها معه في الجهاد لا يكون عليه ولا عليها في ذلك من حرج، وكان له ولها ثواب المجاهدين في سبيل الله.

وقالوا: هذا كله إذا لم يهجم العدو، فإذا هجم العدو وجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع عن الحوزة، فتخرج المرأة بغير إذن زوجها. كما يخرج الولد بغير إذن أبيه، والعبد بغير إذن سيده ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

وهذا أوسع مجال نجد الإسلام قرر فيه مشاركة المرأة للرجل ومعاونته، وهو أبرز مواقف الحياة وأشدها.

وقد وضع الإسلام ذلك وقرره من أول يوم دخل فيه المسلمون ميدان الحرب والجهاد، غير أن اختلاف النظم وتبدل الأحوال والشئون، يوجب في هذه الأيام، حفظاً لكرامة المرأة إذا أرادت أن تساهم في هذا الواجب العام، أن يتخذ لها الوضع الذي يصونها ويقيها شر العابثين، مرضى القلوب الذين لا يسلم منهم جيش ولا مجتمع.

وهذا شأن من السهل تنظيمه على أرباب القيادة الحكيمة التي تقدر للشرف والعرض مكانتهما، والتي تؤمن الإيمان كله بأن طهر الأخلاق دعامة النجاح والظفر.

١٠ - نظرة الجاهلية للمرأة:

ولقد كان وضع الإسلام للمرأة في ميدان الجهاد هذا الوضع، هادماً للأساس الذي بنت عليه الجاهلية حرمانها من الميراث، وهو: «أنها لا تحمي الذمار ولا تدافع عن البيضة» فقد اعتبر لها عملاً تتطوع به في الحرب، وقد يجب عليها عيناً كما يجب على الرجل.

وقد صح أن النبي ﷺ كان يعطيها من الغنيمة كما يعطي الرجل، وكان يعتبرها وهي في صفوف العدو مقاتلة يباح قتلها.

وقد ذكر رجال الحديث أن الذين أهدر النبي ﷺ دمهم يوم الفتح كانوا أربعة عشر، كان النساء منهم ستاً، وبناء على هذا كله فرض لها نصيباً في الميراث أمّاً كانت أم زوجة أم بنتاً، أم أختا، ونص القرآن على حقها فيه على اختلاف درجاته: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧].

وجاء بتقبيح نظرة الجاهلية إلى المرأة وأنبهم عليها، وحكى عنهم متهكماً بعقولهم وتقديرهم: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا

بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٧-٥٩].

وأعلن أن الذكر والأنثى كليهما نعمة من الله يمن بها على عباده، وتستوجب شكره: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النحل: ٧٢]، وفسر الحفيد بولد الابن ذكرًا كان أم أنثى.

١١ - أهلية المرأة في العقود:

لم يكن من المعقول أن يضع الإسلام المرأة هذا الوضع من جهة المسئوليات عامها وخاصها، ومن جهة تعلمها ما تحتاجه في القيام بها، ومن جهة ما أفسح المجال لها فيه، وهو الجهاد والغزو، ومن جهة ما فرض لها من حق في الميراث.

لم يكن من المعقول بعد هذا أن يسلبها أهلية مباشرة عقود المدنيات من بيع وشراء فأباح لها أن تملك، وأن تتصرف فيما تملك، وأباح لها توكيل غيرها فيما لا تريد مباشرته بنفسها، وأباح لها أن تضمن غيرها وأن يضمنها غيرها.

وأباح لها كل ذلك على نحو ما أباحه للرجال سواء بسواء.

ولا نعلم أحداً من فقهاء الإسلام رأى أن النصوص الواردة في مباشرة التصرفات المالية خاصة بالرجل دون المرأة.

وهذه منزلة قد منحها الإسلام للمرأة باعتبارها إنساناً كامل الإنسانية، منذ أن أشرقت الأرض بنوره، في حين أن المرأة الغربية - وفي عصر الحضارة، وحقوق الإنسان كما يقولون - لم تصل إلى التمتع بهذا الحق الإنساني الذي تمتعت به المرأة في ظل الإسلام.

١٢ - حق المرأة في عقد الزواج:

وإني في هذا المقام أتخيل صوتاً ينبعث من بعض الجهات ويناديني، كيف

يمنح الإسلام المرأة أهلية التصرف في سائر العقود المدنية ثم هو في الوقت نفسه وفي بعض المذاهب الإسلامية، بل في أكثرها، يرى حرمانها من مباشرة حق الزواج لنفسها ولغيرها؟ ويرى أن لولي أمرها الحق - إذا كانت بكراً - في أن يجبرها على التزوج بمن لا تريد، وحتى لا تستشار ولا يؤخذ رأيها فيه؟ وليس من ريب في أن نفسها ألصق بها من مالها، وكيف يكون شعورها إذا حرمت من إبداء الرأي في نفسها ومنعت من مباشرة عقد زواجها مهما أوتيت من حرية التصرف وإبداء الرأي فيما وراء نفسها؟!!

وجوابنا على ذلك هو: أننا التزمنا في كلماتنا هذه عرض الوضع الذي وضع القرآن فيه المرأة وما دام القرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي: فإننا إذا رجعنا إليه وجدناه يضيف بصريح العبارة هذا التصرف أيضاً إلى المرأة نفسها، ووجدناه في الوقت نفسه يحذر الرجال أن يمنعوا المرأة من هذا الحق ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وقد صحت الأحاديث الكثيرة في وجوب استئذان المرأة عند زواجها، وحتمت على الثيب أن تصرح بالإذن، واكتفت من البكر ترخيصها لها أن تجري على عادتها في الحياء الذي يمنعها من التصريح، وأن يكون منها ما يدل على الرضا فالحق حقها، والشأن شأنها.

قال رسول الله ﷺ : «**الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها**».

وليس من المعقول ولا المعهود أن يعتبر رضا إنسان في صحة تصرف، ثم يحكم ببطلانه إذا باشره بنفسه، فصحة التصرفات لا تستدعي أكثر من أهلية التصرفات.

وما دامت البكر كالثيب في العقل والبلوغ، فإنا لا نكاد نفهم أنها تجبر

على عقد الزواج بمن لا تحب، أو أنها إذا باشرت عقد الزواج يكون باطلاً وقد جاء في كتب الحنفية: «**إن المرأة بعقد الزواج تتصرف في خالص حقها، وهي من أهل التصرف لأنها عاقلة مميزة، ولهذا كان لها حق التصرف في الماء، ولها حق اختيار الزوج**».

وجاء في الصحيحين أن خنساء بنت جذام زوجها أبوها وهي كارهة، وكانت ثيباً فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها.

وفيما يروى عن ابن عباس: أن جارية بكراً أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ ، ثم قالت بعد أن جعل الحق لها: قد أجزت ما صنع أبي، لكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء.

نعم، جعل الإسلام للآباء ولسائر الأولياء – إذا انحرفت المرأة في اختيار الزوج حق الاعتراض، أو حق المنع متي ظهر لهم سوء اختيارها، وأنها تزوجت غير كفء، وذلك لأن عقد الزواج له اتصال بالأسرة، فينبغي أن يكون للأولياء فيه بعض الشأن، وحسبهم فيما لهم فيه من حق، أن يمنحوا حق الاعتراض أو المنع.

وقال ابن القيم في هذا المقام: وهذا – يريد رضاها بالزواج وعدم إجبارها – هو ما ندين الله به ولا نعتقد سواه، هو الموافق لحكم رسول الله، وأمره ونهيه، وقواعد شريعته، ومصالح أمته، إلى أن قال: إن البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل من شيء من ملكها إلا برضاها ولا يجبرها على إخراج اليسير منه إلا بإذنها، فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بغير رضاها؟ ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره.

وهذا هو حق المرأة في العقود والتصرفات مدنية أو شخصية كما يدل عليه القرآن، وكما تدل عليه سنة الرسول وقضاؤه، وكما تقضي به أصول الشريعة الإسلامية.

١٣ – الإنسانية في الرجل والمرأة:

كان من لوازم تحميل الإسلام المرأة مسئولية الحياة، عامة وخاصة، أن

يفسح أمامها مجال العلم، ومجال العمل، وقد تعلمت وعملت، وعرفنا المرأة الأديبة والطبية الفقيهه والمتصوفة القانتة. وما إليهن من كل ما عرف عن أخيها الرجل.

وكان كل ذلك أثراً لإنسانيتها المساوية لإنسانية الرجل، وقد ظهر ذلك في كثير من نواحي التشريع الإسلامي، فكان دمها مساوياً لدمه، والحكم فيها واحد، وهو القصاص ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨] وبذلك كان الجزاء الأخروي في الاعتداء على حياة المرأة من نوع الجزاء في الاعتداء على حيا الرجل.﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

رتب الله الجزاء الأخروي على وصف الإيمان وهو مشترك – دون شك – بين الرجل والمرأة.

وقد اتفق علماء التشريع على أن مثل هذا نياط بالوصف أينما وجد وأنه يعم الصنفين، الذكر والأنثى على حد سواء. وقد يقف بعض الناس عند ظاهر قوله تعالى: ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ويزعم أن الرجل لا يقتل بالأنثى، ولو صح هذا لكان مقتضاه أن الأنثى أيضاً لا تقتل بالرجل، وأن الحر لا يقتل بالعبد، ولا العبد يقتل بالحر، ولا ريب أن في ذلك كله فتحاً لباب جريمة القتل التي تهدد المجتمع الإنساني في عنصري تكوينه: الذكر والأنثى.

والواقع أن الآية قد قصد بها إبطال ما كان عليه العرب من الإسراف في القتل، وعدم اتخاذ (القصاص) فيه أساساً للجزاء.

كانوا لا يقتصرون في الجزاء على القاتل، بل كانوا يقتلون بالعبد إذا قتله عبداً، سيداً من سادات القاتل، وكانوا إذا قتلت المرأة لا يقتلون بها القاتلة، وإنما كانوا يقتلون بها رجلاً من قبيلتها.

وهذا الذي كان عليه العرب، يشرح لنا المقصود من ظاهر الآية، ومن مقابلة الأصناف الواردة فيها، قال البيضاوي في تفسير الآية: كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء، وكان لأحدهما طول على الآخر، فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى الرسول ﷺ فنزلت الآية، إذاً فلا دلالة لمفهوم المقابلة على أن الرجل لا يقتل بالأنثى ولا على أن الحر لا يقتل بالعبد.

١٤ – دية الرجل والمرأة سواء:

وإذا كانت إنسانية المرأة من إنسانية الرجل، ودمها من دمه، والرجل من المرأة والمرأة من الرجل، وكان (القصاص) هو الحكم بينهما في الاعتداء على النفس، وكانت جهنم والخلود فيها، وغضب الله ولعنته، هو الجزاء الأخروي في قتل المرأة، كما هو الجزاء الأخروي في قتل الرجل فإن الآية في قتل المرأة خطأ، هي الآية في قتل الرجل خطأ.

ونحن ما دمنا نستقي الأحكام أولاً من القرآن، فعبارة القرآن في الدية عامة مطلقة لم تخص الرجل بشيء منها ولا المرأة: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾[النساء: ٩٢] وهو واضح في أنه لا فرق في وجوب الدية بالقتل الخطأ بين الذكر والأنثى.

نعم، اختلف العلماء في مقدار الدية، أهو واحد في الرجل والمرأة، أو ديتها على النصف من دية الرجل؟

وقد ذكر الإمام الرازي الرأيين في تفسيره الكبير فقال: مذهب أكثر الفقهاء أن دية المرأة نصف دية الرجل، وقال الأصم وابن عطية: ديتها مثل دية الرجل.

وحجة الأكثر من الفقهاء أن علياً، وعمر، وابن مسعود، قضوا بذلك، وأن المرأة في الميراث والشهادة على النصف من الرجل فيهما، فكذلك تكون

في النصف في الدية. وحجة الأصم قوله تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٩٢] وأجمعوا على أن هذه الآية دخل فيها حكم الرجل والمرأة فوجب أن يكون الحكم فيها ثابتاً بالسوية[1].

١٥ – شهادة المرأة وميراثها:

ولا يزال في الناس إلى يومنا هذا، من يرى أن إنسانية المرأة أقل من إنسانية الرجل، وأنها لذلك كانت في الميراث على النصف من ميراث الرجل، وكانت كذلك في الشهادة، ويقولون: إن ذلك هو حكم الإسلام وقد قرره القرآن ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والحق أن حكم المرأة في الميراث، ليس مبنياً في الإسلام على أن إنسانيتها أقل من إنسانية الرجل، وإنما هو مبني على أساس آخر قضت به طبيعة المرأة في الحياة العامة، وكانت من مقتضاه: أن يحتمل الرجل نفقات الأسرة من زوجة، وبنين، وأقارب.

وأن يحتمل كذلك المهر الذي يقدمه للمرأة عنواناً على رغبته فيها وبذله ما يجب في سبيل الاقتران بها.

وأن تحتمل المرأة تدبير البيت وشئون الحمل والوضع والتفرغ لحضانة الأطفال والقيام على أمرهم.

وفي ظل هذا الأساس نرى بالموازنة بين نصيب الرجل والمرأة، أن المرأة أسعد حظاً من الرجل في نظر الإسلام.

أوجب لها مهراً لا حد لأكثره ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ

---

(١) والصحيح في المسألة أن دية المرأة على النصف من دية الرجل، وهي من المسائل المجمع عليها، كما نقل ذلك ابن المنذر في الإجماع، مسألة (٦٦٩). انظر: في ذلك كتب الفقه المعتمدة، مثل سبل السلام للعلامة الصنعاني، وفقه السنة للشيخ سيد سابق، فقد ساقوا المسألة بأدلتها الشرعية الصحيحة.

شَيْئًا ﴾ [النساء: ٢٠].

وأوجب لها على الرجل نفقتها وكسوتها وجميع ما تحتاج إليه بالمعروف لبيئتها، حتى أوجب الخادمة والخادمتين ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[الطلاق: ٧].

وأوجب لها إذا ما طلقت، نفقة العدة على نحو ما وجبت لها في حياتها الزوجية، وأوجب لها «**المتعة**» وهي ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة، مما تحفظ به نفسها وكيانها: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: ٢٤١].

وأما الرجل فهو -كما قلنا- مطالب بنفقة على نفسه وعلى أولاده وعليها، وعلى نوائب الحياة كلها التي تنشأ من مكافحته فيها، ثم على والديه وأقاربه إذا كانوا ضعفاء أو فقراء.

وإذًا، فبماذا يمتاز الرجل عنها؟ الرجل مطالب بكل شيء، والمرأة لا تطالب بشيء، فما أسعدها وما أشقاه!!

هذا هو الأساس الذي بني عليه الإسلام أن المرأة تكون في الميراث على النصف من الرجل، وواضح جداً أن وضعهما في الميراث لا علاقة له للإنسانية التي يشتركان فيها على حد سواء، وإذاً، فمن خطأ النظر أن تقاس الدية في مقدارها للرجل والمرأة على الميراث.

الشهادة:

وليس قياس الشهادة أقوى من قياسها على الميراث، فإن قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾. ليس وارداً في مقام الشهادة التي يقضي بها القاضي ويحكم، وإنما هو وارد في مقام الإرشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان على حقوق بين المتعاملين وقت التعامل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ

مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فالمقام مقام اسيثاق على الحقوق، لا مقام قضاء بها.

والآية ترشد إلى أفضل أنواع الاستيثاق الذي تطمئن به نفوس المتعاملين على حقوقها.

وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة أو شهادة النساء اللاتي ليس معهن رجل، ولا يثبت بها الحق، ولا يحكم بها القاضي، فإن أقصى ما يطلبه القضاء، هو «**البينة**» وقد حقق العلامة ابن القيم أن البينة في الشرع أعم من الشهادة، وأن كل ما يتبين به الحق ويظهره، هو بينة يقضي بها القاضي ويحكم. ومن ذلك يحكم القاضي بالقرائن القطعية. ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن إليها. واعتبار المرأتين في الاستيثاق كالرجل الواحد ليس لضعف عقلها الذي يتبع نقص إنسانيتها ويكون أثراً له، وإنما هو لأن المرأة – كما قال الأستاذ الشيخ عبده – «ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعارضات. ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة، ولا تكون كذلك في الأمور المنزلية التي هي شغلها، فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل، ومن طبع البشر عامة أن يقوي تذكرهم للأمور التي تهمهم ويمارسونها، ويكثر اشتغالهم بها».

والآية جاءت على ما كان مألوفاً في شأن المرأة، ولا يزال أكثر النساء كذلك، لا يشهدن مجالس المداينات ولا يشتغلن بأسواق المبايعات، واشتغال بعضهن بذلك لا ينافي هذا الأصل الذي تقضي به طبيعتها في الحياة. وإذا كانت الآية ترشد إلى أكمل وجوه الاستيثاق، وكان المتعاملون في بيئة يغلب فيها اشتغال النساء بالمبايعات وحضور مجالس المداينات، كان لهم الحق في الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل متى اطمأنوا إلى تذكرها وعدم نسيانها على نحو تذكر الرجل وعدم نسيانه.

القضاء بشهادة المرأة:

١- هذا وقد نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل فيه شهادة المرأة وحدها، وهي القضايا التي لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها، كالولادة، والبكارة، وعيوب النساء في القضايا الباطنية، وعلى أن منها ما تقبل فيه شهادة الرجل وحده، وهي القضايا التي تثير موضوعاتها عاطفة المرأة ولا تقوى على تحملها، على أنهم قد رأوا قبول شهادتها في الدماء إذا تعينت طريقاً لثبوت الحق واطمئنان القاضي إليها، وعلى أن منها ما تقبل شهادتهما معاً.

وما لنا نذهب بعيداً وقد نص القرآن على أن المرأة كالرجل – سواء بسواء في شهادات اللعان، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجه وليس له على ما يقول شهود: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور: ٦- ٩].

أربع شهادات من الرجل يعقبها استمطار لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويقابلها ويبطل عملها أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

وبعد فهذه عدالة الإسلام في توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة، وهي عدالة تحقق أنهما في الإنسانية سواء.

نصائح للأخت المسلمة[1]

١- هيا نحفظ للناس معروفهم: قال ﷺ: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»[2]. فالأخت المسلمة لا تنسى أبداً كل من أسدى إليها معروفاً، بل تشكره عليه وتسعى لتكافئ من صنع لها معروفاً اعترافاً منها لأصحاب الفضل.

٢ - اصبري واحتسبي ... ولك الجنة:

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

وقال ﷺ: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**»[3].

وقال ﷺ: «**من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة**». قالت امرأة واثنان؟ قال: «**واثنان**»[4].

٣ - ثمار الاستقامة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾

---

(١) كتابنا فتاوى النساء.

(٢) صحيح الجامع: (٦٦٠١).

(٣) صحيح الجامع (٨١٣٩).

(٤) صحيح الجامع (٥٩٦٩).

أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣. ١٤].

وعن سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[١].

٤ – أنا وكافل اليتيم في الجنة:

روي أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له ﷺ: «**أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك**»[٢].

وقال ﷺ «**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة**»[٣].

إن الأخت المسلمة إذا كفلت يتيماً فإن الله تعالى سيرزقها رقة في القلب والتيسير في أمور دنياها وفوق ذلك كله يرزقها صحبة النبي ﷺ في الجنة، فهل بعد ذلك تبخل الأخت المسلمة ولو بعشرة جنيهات شهرياً تدفعها في أحد صناديق الجمعيات الشرعية التي تشرف على كفالة الأيتام؟

٥ – عليك بالصدق:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح الجامع (٨٠).

(٣) صحيح الجامع (١٤٧٦).

(٤) صحيح الجامع (٤٠٧١).

وقال ﷺ: «**عليكم بالصدق؛ فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار، وسلوا الله اليقين والمعافاة؛ فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيراً من المعافاة،ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، كما أمركم الله**»[1].

٦ - لا تفتري عن الذكر عقب الصلوات:

قال ﷺ: «**من سبح الله في دبر صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»[2].

٧ - عليك بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات:

قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

وقال ﷺ: «**من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**»[3].

٨ - الوقاية خير من العلاج:

أيتها الأخت الفاضلة: قد ينعم الله عليك بنعمة الصحة والعافية فلا تفتري عن شكره على تلك النعم.

ولذلك أقول: إذا رأت الأخت المسلمة رجلاً أو امرأة من أهل البلاء والمرضى فعليها بتلك الكلمات المباركة ففيها النجاة من هذا البلاء.

قال ﷺ: «**من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء**»[4].

---

(١) صحيح الجامع (٤٠٧٢).

(٢) صحيح الجامع (٦٢٨٦).

(٣) صحيح الجامع (٦٠٢٦).

(٤) صحيح الجامع (٦٢٤٨).

٩ - تجملي بصفات عباد الرحمن:

لقد وصف الله تعالى (عباد الرحمن) بأجمل وأعظم الصفات إلى أن قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦]. والغرفة هي الجنة، فكوني عابدة للرحمن لتفوزي بالمعرفة في الجنان.

١٠ - لك ما شئت من النخيل في الجنة:

قال ﷺ «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له بها نخلة في الجنة**»[١].

١١ - عليك بصلة الرحم:

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾[النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٢١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت**»[٢].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال:نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**اقرءوا إن شئتم**: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ

---

(١) صحيح الجامع (٦٤٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٨) الأدب، ومسلم (٤٧) الإيمان.

وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَـٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣][(١)].

وعنه ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»[(٢)].

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه**»[(٣)].

وعن ابن عمرو ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»[(٤)].

وعن أبي سفيان صخر بن حرب ﷺ في حديثه الطويل عن قصة هرقل أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا يأمركم به؟ يعني النبي ﷺ - قال: قلت يقول: «**اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم**» ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة [(٥)].

وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار. فقال النبي ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»[(٦)].

١٢ - وبالوالدين إحساناً:

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٠) تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٥٤) البر.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧١) الأدب، ومسلم (٢٥٤٨) البر.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧١) الأدب، ومسلم (٢٥٥٧) البر.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٩١) الأدب، باب: ليس الواصل المكافئ.

(٥) أخرجه البخاري (٧) بدء الوحي، ومسلم (١٧٧٣) الجهاد.

(٦) أخرجه البخاري (٥٩٨٣) الأدب، ومسلم (١٣) الإيمان.

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي: قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال «**الجهاد في سبيل الله**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً، فيشتريه، فيعتقه**»[2].

وعنه ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أملك**» قال: ثم من؟ قال: «**أملك**» قال: ثم من؟ قال: «**أملك**» قال ثم من؟ قال: «**أبوك**»[3].

وعنه عن النبي ﷺ قال: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة**»[4].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. قال: «**فهل لك من والديك أحد حي**» قال: نعم، بل كلاهما، قال: «**فتبتغي الأجر**

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٧) مواقيت الصلاة - ومسلم (٨٥) الإيمان.

(٢) أخرجه مسلم (١٥١٠) العتق، باب: فضل عتق الوالد.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧١) الأدب - مسلم (٢٥٤٨) البر.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٥١) البر.

من الله تعالى؟» قال: نعم. قال: «**فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما**»[(١)]. متفق عليه وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد، قال: «**أحي والداك؟**» قال نعم، قال: «**فيهما فجاهد**».

١٣ - نعمة القرآن:

أختاه تعايشي مع كل آية من آيات القرآن لتدخلي جنة الدنيا التي تجلب لك جنة الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩]

وعن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»[(٢)].

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى يوم القيامة بالقران وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**»[(٣)].

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».[(٤)]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**والذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٤) الجهاد - ومسلم (٢٥٤٩) البر.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) في صلاة المسافرين وقصرها/ باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٥) في فضائل القرآن/ باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة وآل عمران.

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) في فضائل القرآن - باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

فيه وهو عليه شاق له أجران»[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»[٢].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: آلم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[٤].

١٤ - داوي قلبك بتلك الأشياء:

أختاه: داوي قلبك بتلك الأشياء التي غفل عنها كثير من الناس: قراءة القرآن بتدبر، وقيام ركعتين في الثلث الأخير من الليل، والاستغفار والدعاء عند وقت السحر، ومجالسة الصالحين، وكثرة الصيام وكثرة النوافل.

١٥ - لا تغضبي ... ولك الجنة:

قال رجل لرسول الله ﷺ: دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: «**لا تغضب ولك الجنة**»[٥].

والسبب في ذلك أن الغضب مفتاح كل شر، فمن ترك الغضب ولم يغضب إلا لله فإنه بذلك يحافظ على قلبه نقياً طاهراً خالياً من كل الآفات. فلا يشغله شيء عن السير في طاعة الله والعمل لدين الله، ولذلك قال ﷺ: «**لا**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧) في تفسير القرآن - ومسلم (٧٩٨) في فضائل القرآن.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٥) فضائل القرآن - ومسلم (٨١٥) فضائل القرآن.

(٣) صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٤) صحيح الجامع (٨١٢٢).

(٥) صحيح الجامع (٧٣٧٤).

تغضب ولك الجنة».

١٦ - عليك بالوفاء بالعهد وإنجاز الوعد:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[النحل: ٩١].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»(١). زاد في رواية مسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(٢).

١٧ - أختاه ... حطمي روتين الحياة:

أيتها الأخت الفاضلة: إن الحياة بكل أحزانها وآلامها لابد أن يكون فيها لحظات تسعد القلب وتملأ البيت كله سعادة. فما الذي يمنعك من أن تتعاوني مع زوجك على تحديد موعد لممارسة بعض الألعاب مع الأولاد، فقد كان رسول الله ﷺ يسابق عائشة رضي الله عنها وتسابقه.

١٨ - احذري العطر عند الخروج:

قال ﷺ: «**أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣) الإيمان - ومسلم (٥٩) الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤) الإيمان - ومسلم (٥٨) الإيمان.

(٣) صحيح الجامع (٢٧٠٣).

قال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية**»(١).

١٩ - عليك بمراقبة الله (جلا وعلا):

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[غافر: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥].

وقال ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(٢).

وقال ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»(٣).

فعليك يا أختاه بمراقبة الله في السر والعلانية.

٢٠ - عليك بالإحسان إلى الجيران:

قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره.**»(٤).

وقال ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره**»(٥).

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**»(٦).

وقال ﷺ: «**يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**»(٧).

---

(١) صحيح الجامع (٢٧٠١).

(٢) أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ كتاب الإيمان.

(٣) صحيح الجامع (٩٧).

(٤) صحيح الجامع (٦٥٠١).

(٥) صحيح الجامع (٣٢٧٠).

(٦) صحيح الجامع (٦٥٠٤).

(٧) صحيح الجامع (٧٩٨٩).

وقال ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[١].

فعليك يا أختاه بالإحسان إلى جارتك حتى وإن كانت تسيء إليك، لعل الله أن يجعلك سبباً لهدايتها واستقامتها على طاعة الله (جل وعلا).

٢١ - براءة من الشرك:

قال ﷺ: «**إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك**»[٢].

فاحرصي يا أختاه على قراءتها كل ليلة عند النوم.

٢٢ - صلاة الضحى وبيت في الجنة:

قال ﷺ: «**يصبح على كل سلام من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزي من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى**»[٣].

وقال ﷺ: «**من صلى الضحى أربعاً وقبل الأولى أربعاً بني له بيت في الجنة**»[٤].

٢٣ - احفظي أولادك بتلك الكلمات:

أختاه: إن الذي يحفظك ويحفظ ذريتك هو الله (جل وعلا)، ولكن الله قد جعل أسبابًا لحفظنا وحفظ ذريتنا ومن بين تلك الأسباب ما أخبر به الحبيب ﷺ.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**».

---

(١) صحيح الجامع (٥٦٢٨).

(٢) صحيح الجامع (٢٩٢).

(٣) صحيح الجامع (٨٠٩٧).

(٤) صحيح الجامع (٦٣٤٠).

ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق**»[١].

٢٤ - لا تنشغلي بالأولاد عن الزوج:

اعلمي أيتها الأخت الطاهرة أن للزوج حقوقًا عظيمة قد أوجبها الله عليك، ولكن بكل أسف قد نجد زوجة تحسن عشرة زوجها بصورة طيبة، فإذا أنجبت طفلاً أو أكثر نسيت أن لها زوجاً يجب أن يرى المودة والرحمة من زوجته في كل لحظة... فعلى الأخت المسلمة أن توازن بين كل الحقوق امتثالاً لقول الحبيب ﷺ: «**فأعط كل ذي حق حقه**».

٢٥ - كوني عوناً لزوجك على قيام الليل:

قال ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء. رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[٢].

وقال ﷺ: «**من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً كتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**»[٣].

٢٦ - فإنما هو جنتك ونارك:

قام ﷺ موضحاً حق الزوج ومكانته في الإسلام فقال لعمة حصين بن محصن رضي الله عنهما: «**انظري أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك**»[٤].

وقال ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»[٥].

٢٧ - تجديد الإيمان في القلب:

قال ﷺ: «**إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦/٦) الأنبياء.

(٢) صحيح الجامع (٣٤٩٤).

(٣) صحيح الجامع (٦٠٣٠).

(٤) صحيح الجامع (١٥٠٩).

(٥) صحيح الجامع (٣١٤٨).

فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم»[1].

فعلى الأخت المسلمة أن تتوجه بالدعاء إلى الحق (جل جلاله) بأن يجدد الإيمان في قلبها لتعيش جنة الدنيا التي تثمر لها جنة الآخرة (إنها جنة الإيمان).

٢٨ - استعملي الجوارح في طاعة الله (جل وعلا)::

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

وقال ﷺ: «**عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات، ولا تغفلن فتنسين الرحمة»**[2].

٢٩ - عليك بالدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فعلى الأخت المسلمة أن تتحلى في دعوتها بالرحمة والشفقة والتواضع واللين، وأن تضع أمام عينها قول الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

قال ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»**[3].

٣٠ - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة:

---

(١) صحيح الجامع (٦٦٠).

(٢) صحيح الجامع: (٤٠٨٧).

(٣) صحيح الجامع ٩٤.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والخطاب هنا للرجال والنساء فعلينا جميعاً أن نتأسى بالحبيب ﷺ وبأن تمتثل أمره وأن نتجنب نهيه ﷺ، وقال تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[١].

٣١ – قنوت ليلة بمائة ليلة:

قال ﷺ: «**من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة**»[٢]. فيا ليتنا نداوم على مائة آية كل ليلة لنفوز بهذا الأجر العظيم الذي لن نشعر بقدره إلا في قبورنا ويوم نعرض على ربنا عز وجل.

---

(١) صحيح الجامع (٤٥١٣).

(٢) صحيح الجامع (٦٤٦٨).

٣٢ - عليك بكثرة السجود:

قال ﷺ: «**أكثر من السجود فإنه ليس من مسلم يسجد لله تعالى سجدة إلا رفعه الله بها درجة في الجنة وحط عنه بها خطيئة**»(١).

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته. فقال لي: «**سل**» ... فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة فقال: «**أو غير ذلك**»... قلت: هو ذاك: قال «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»(٢).

٣٣ - من تواضع لله رفع:

قال ﷺ: «**من تواضع لله رفعه الله**»(٣).

قال المناوي: «**من تواضع**» لأجل عظمة (الله) تواضعاً حقيقيًا ناشئًا عن شهود عظمة الحق. فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة في النفس واقتدار، ليس بتواضع حقيقي، بل هو بالتكبر أشبه... «**رفعه الله**» لأن من أذل نفسه لله فيجازيه الله بأحسن ما عمل.

قال ابن الحاج: فمن أراد الرفعة فليتواضع لله، فإن الرفعة لا تقع إلا بقدر النزول، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أسفل الشجرة صعد إلى أعلاها، كأن سائلاً سأله: ما صعد بك ههنا وأنت قد نزلت تحت أصلها، فقال لسان حاله: «**من تواضع لله، رفعه الله**»(٤).

وقال ﷺ: «**اعلم أنك لا تسجد سجدة، إلا رفع الله لك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»(٥).

وأي رفعة فوق القرب من الله، ألم يقل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ

---

(١) صحيح الجامع (١٢٠٤).

(٢) اخرجه مسلم عن ربيعة الأسلمي.

(٣) صحيح الجامع (٦١٦٢).

(٤) فيض القدير للمناوي (٦/١٠٨).

(٥) صحيح الجامع (١٠٦٩).

وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

وقال ﷺ: «**ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: دع حكمته**»(١).

٣٤ - عليك بحسن الخلق ليكتمل إيمانك:

قال ﷺ: «أكمل المؤمن إيماناً أحسنهم خلقًا»(٢).

وقال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم**»(٣).

وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»(٤).

وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا**»(٥).

وقال ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**»(٦).

٣٥ - الجنة تطلبك من الله (جل وعلا):

قال ﷺ: «**ما سأل رجل مسلم الله الجنة ثلاثًا إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة ولا استجار رجل مسلم من النار ثلاثاً إلا قالت النار: اللهم أجره مني**»(٧).

فلا تفتري يا أختاه عن سؤال الجنة من الملك جل جلاله عسى الله أن

---

(١) صحيح الجامع (٥٦٧٥).

(٢) صحيح الجامع (١٢٣٠).

(٣) صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٦٣٠).

(٥) صحيح الجامع (٢٢٠١).

(٦) صحيح الجامع (١٤٦٤).

(٧) صحيح الجامع (٥٦٣٠).

يرزقك الجنة ونعيمها.

٣٦ - ذكر خير لك من الخادم:

قال ﷺ لابنته فاطمة وزوجها علي ﷺ عندما سألته فاطمة أن يعطيها خادماً يعينها على شئون البيت ... فقال لها ﷺ ولزوجها علي ﷺ: **«ألا أدلكما على خير مما سألتماه؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعًا وثلاثين، واحمدا الله ثلاثًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين؛ فإن ذلك خير لكم من خادم»**(١).

فلا ينبغي لمؤمنة أن تغفل عن هذا الذكر ليكون عوناً لها على شئون بيتها وزوجها وأولادها.

٣٧ - علمي أولادك خصال الخير:

على الأخت المؤمنة أن تعلم أولادها خصال الخير وتربط قلوبهم بالله (جل وعلا) وتحضهم على العبادات، وعلى الصدق في القول والإخلاص في العمل، وعلى حب الخير للناس من حولهم، وعليها أن تعلم أولادها بأن الغاية من العلم هو العمل بهذا العلم.

قالت أم سفيان الثوري له وهو صغير: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة أي - زيادة في خشية الله - فإن لم تجد زيادة فاعلم أنه لا ينفعك.

٣٨ - من أجل الحفاظ على المودة والرحمة:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

ومن أجل المحافظة على تلك المودة والرحمة فعلى الأخت المسلمة أن تسرع دائماً لإرضاء زوجها إلا في معصية الله... وأن تتزين له، ولا تجعل بصره يقع على شيء يكرهه، وأن تدخل السعادة عليه في كل وقت، وأن توافقه في

---

(١) صحيح الجامع (٢٦١٩).

رغباته وأفكاره ومشاعره مادامت في طاعة الله وفي خدمة دين الله (جل وعلا) ولا تكلفه ما لا يطيق ولا تقدم رأيها على رأيه، وأن تحفظه في غيبته ولا تصوم نفلاً إلا بإذنه؛ بل تسعى دائماً لتعينه على طلب العلم والدعوة إلى الله.

٣٩ - وقرن في بيوتكن:

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن من صفات الأخت المسلمة أنها لا تخرج من بيتها إلا لضرورة، وإذا خرجت فإنها تلتزم بآداب الشرع الحنيف من لبس الحجاب وعدم التعطر، وكذلك فهي تغض بصرها وتخرج مع واحد من محارمها ولا ترفع صوتها ولا تمزح مع البائعين؛ بل تترك زوجها ليشتري لها ما شاءت وهي تشير له على الشيء الذي تريده.

٤٠ - احرصي على أعلى مقامات الإيمان:

قالﷺ: «**أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل**»[1].

٤١ - ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات:

قال ﷺ: «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.**

وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله تعالى في السر والعلانية.

وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات. وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[2].

فتدبري يا أختاه كل كلمة في هذا الحديث؛ لتحذري من المهلكات؛

---

(١) صحيح الجامع (١١٢٩).

(٢) صحيح الجامع (٣٠٤٥).

ولتعلمي أسباب النجاة ومكفرات الذنوب، ولتعلمي الأشياء التي ترفع درجتك في الجنة.

٤٢ - كيف نستكمل الإيمان:

قال ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**»(١).

أختاه: هكذا يستكمل العبد إيمانه بالله عز وجل.

٤٣ - رحمة الحيوان تثمر لك المغفرة والجنة:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**غفر لامرأة مومسة، مرت بكلب -على رأس ركي- يلهث، كاد يقتله العطش، فنزعت خفها فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك**»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريقه، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني. فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى. فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، فأدخله الجنة**»(٣).

أختاه: هكذا يحثنا الحبيب ﷺ على أن نملأ قلوبنا رحمة لكل من حولنا حتى للحيوان فما ظنك بالإنسان؟!!

٤٤ - عليك بالاقتصاد في الطاعة:

قال تعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[طه: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال:

---

(١) صحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٢) صحيح الجامع (٤١٦٣).

(٣) صحيح الجامع (٢٨٧٣).

«**من هذه**» قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها قال: «**مه عليكم بما تطيقون، فو الله لا يمل الله حتى تملوا**» وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه[1].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»[2].

وعن أنس ﷺ قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «**ما هذا الحبل**» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي ﷺ: «**حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**»[3].

٤٥ - تمسكي بدينك ولك أجر خمسين شهيداً:

قال ﷺ: «**المتمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر**»[4].

وقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»[5].

وقال ﷺ: «**إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم**»[6].

فتمسكي يا أختاه بسنة الحبيب ﷺ واصبري على الفتن؛ ولك أجر خمسين شهيدًا كما أخبر بذلك الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

٤٦ - عليك بالخوف من الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣) الإيمان - ومسلم (٧٨٥) الصلاة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩) الإيمان - باب: الدين يسر.

(٣) أخرجه البخاري (١١٥٠) التهجد - ومسلم (٧٨٤) الصلاة.

(٤) صحيح الجامع (٦٦٧٦).

(٥) صحيح الجامع (٨٠٠٢).

(٦) صحيح الجامع (٢٢٣٤).

[الملك: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

٤٧ - حجة مع النبي ﷺ:

قال ﷺ «**عمرة في رمضان كحجة معي**»[١].

(احرصي يا أختاه على أن تذهبي لأداء العمرة في شهر رمضان مع واحد من المحارم لتفوزي بحجة مع النبي ﷺ).

٤٨ - اجعلي بيتك قبلة:

قال تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧].

فعليك أيتها الأخت الفاضلة أن تملئي البيت طاعة لله جل وعلا بالصلاة وقراءة القرآن، والحرص على كل طاعة للرحيم الرحمن، وبذلك تخرج الشياطين وتدخل ملائكة الرحمن لتبارك البيت وأهله.

٤٩ - الدال على الخير كفاعله:

إن الإنسان لا يستطيع أن يفعل كل أنواع الخير، ولذلك فالمؤمن الكيس هو الذي يدل الناس من حوله على كل خير، فإن فعلوه فله من الأجر مثلهم لا ينقص من أجورهم شيئاً، قال ﷺ: «**الدال على الخير كفاعله**»[٢].

فعليك أيتها الأخت الطاهرة بدعوة الناس من حولك للمسابقة إلى كل خير، ولك الأجر إن شاء الله.

٥٠ - احرصي على حظك من هذا الخير:

قال ﷺ: «**من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**»[٣].

٥١ - عليك بمجالسة الصالحات:

---

(١) صحيح الجامع (٤٠٩٨).

(٢) صحيح الجامع (٣٣٩٩).

(٣) صحيح الجامع (٧٣٤١).

إن الأخت المسلمة تمتثل أمر النبي ﷺ حيث يقول: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[(١)].

فهي تدعو أخواتها الصالحات لزيارتها ليزداد البيت نوراً، وتحصل الفائدة المرجوة من مجالستهم بالتعاون على البر والتقوى، وتبادل المعلومات الدينية، والاجتماع على ذكر الله، وزيادة المحبة؛ في الله ليجمعهن الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

٥٢ – الطريق إلى حلاوة الإيمان:

قال ﷺ: «**ثلاث من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، وافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشرط اللئيمة ولكن من أوسط أموالكم؛ فإن الله لم يسألكم خيره، ولا يأمركم بشره وزكى نفسه**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يلقى في النار**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً**»[(٤)].

٥٣ – أكثري من النوافل لتفوزي بمحبة الله (جل وعلا):

قال تعالى (في الحديث القدسي): «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني**

---

(١) صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٢) صحيح الجامع (٣٠٤١).

(٣) صحيح الجامع (٣٠٤٤).

(٤) صحيح الجامع (٣٤٢٥).

لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[(١)].

٥ - قضاء حوائج المسلمين:

قال تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال ﷺ: **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه...»**[(٢)].

فعليك أيتها الأخت الفاضلة بقضاء حوائج المسلمين؛ ليكون الله (جلا وعلا) في عونك ويفرج عنك كرب يوم القيامة.

٥٥ - علم يجلب المغفرة:

أختاه: إن علم الإنسان بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله سبب عظيم من أسباب المغفرة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن عبدًا أصاب ذنبا، فقال: رب أذنبت فاغفره، فقال ربه: علم عبدي أنه له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا، فقال: رب أذنبت آخر فاغفر لي. قال: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم أصاب ذنبًا، فقال: رب أذنبت آخر فاغفر لي. قال: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي: فليعمل ما شاء»**[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب، غفرت له ولا أبالي، ما لم**

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة - باب التواضع - كتاب الرقاق.

(٢) صحيح الجامع (٦٥٧٧).

(٣) صحيح الجامع (٢١٠٣).

يشرك بي شيئاً»[1].

٥٦ – أختاه عليك بهذا الدعاء الجامع:

قال ﷺ: **«اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً»**[2].

فعليك أختاه بهذا الدعاء الجامع الذي يجمع لك الخير كله في الدنيا والآخرة.

٥٧ – بيت في الجنة (في خمس دقائق):

قال ﷺ: **«من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ عشر مرات بني له بيتاً في الجنة»**[3] فاحرصي يا أختاه على أن تكون لك (دولة) في جنة الرحمن.

٥٨ – **مكتبة** إسلامية في **بيتك:**

احرصي أيتها الأخت الفاضلة على وضع نواة لمكتبة إسلامية في بيتك تضم الكتب والأشرطة النافعة التي تجلب الخير والبركة على البيت وأهله، على أن تتعاون الأسرة كلها على المحافظة على تلك المكتبة، وعلى تدعيمها بصورة مستمرة بالكتب والأشرطة الجديدة النافعة، وبذلك تتمكن الأسرة كلها من الاطلاع على أمور دينها، وينتشر الخير ويعم البلاد والعباد.

٥٩ – احفظي بيتك من الشيطان:

قال رسول ﷺ: **«اقرءوا سورة البقرة في بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتاً**

---

(١) صحيح الجامع (٤٣٣٠).

(٢) صحيح الجامع (١٢٧٦).

(٣) صحي الجامع (٦٤٧٢).

يقرأ فيه سورة البقرة»[١]، وعن فضل الآيتين الأخريين منها، وأثر تلاوتهما في البيت قال عليه الصلاة والسلام: **«إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، وهو عند العرش، وأنه أنزل منه** آيتين **ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دارٍ ثلاث ليالٍ فيقربها الشيطان»**[٢].

---

(١) صحيح الجامع (١١٧٠).

(٢) صحيح الجامع (١٧٩٩).

قصة تضليل الأمة في ختان الأنثى

وفجأة استيقظ، وبعد ألف وأربعمائة وأربعة وعشرون عاماً[١]، استيقظ النائمون في سبات عميق، الذين يدعون الحرص على مصالح الأمة عامة، والنساء خاصة، ليحذروهم من أخطار الختان وأضراره، بعد أن ظلوا صامتين لا يتكلمون ولا يتحركون، مع أنهم وآباءهم، وأمهاتهم وكل من سلف من أصولهم -رجالاً ونساء- قد أجري لهم الختان الذي يحاربونه اليوم.

وتبدأ هذه القصة المؤلمة، المؤسفة، المحزنة، المضحكة، بأحاديث ومقالات لبعض أناس ليس لهم علاقة بعلم الدين أو الشريعة وفقهها يدعون فيها إلى إبطال هذه العادة الفرعونية، الإفريقية، الوحشية -على حد زعمهم- المضرة بصحة المرأة، المفسدة لمزاجها ونفسيتها، المسببة لها أمراضاً نفسية، وعاهات جسدية، دونما الاستناد على دليل شرعي صحيح أو مبحث طبي موثق بالحقائق الطبية، وإنما كان استدلالهم ببعض مظاهرات للبلاد الغربية غير الإسلامية لعملية الختان، وذكروا لنا على سبيل المثال مظاهرات الجمعيات الطبية ضد ختان الذكور والإناث في أمريكا الشمالية[٢]، وبعض ترهات وضلالات الكونجرس الأمريكي الذي دار حوار فيه حول مضار عملية الختان[٣] للذكر والأنثى، بعد أن أثبتت الدراسات خطورة هذه العملية على صحة الأطفال والذكور والإناث[٤].

وذلك بعد قيام نائبة أمريكية تدعى «باتريشيا شرودر» بتقديم مشروع قانون لإلغاء عملية الختان في أكتوبر ١٩٩٣م ونجحت النائبة الأمريكية في منع ختان الإناث، أما ختان الذكور فلا تزال الجمعيات الطبية الأمريكية تسعى لمنعه

---

(١) كتاب هدي الرحمن في مشروعية ختان البنات والصبيان للعلامة جمال محمود وكتابنا فتاوى النساء.

(٢) مجلة المصور بتاريخ ١٨/٧/١٩٩٧.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) ولم يذكروا لنا دراسة واحدة وحقيقة علمية تؤيد زعمهم.

رسمياً.

ثم بدأت دعوة أمريكا -مع علمنا بعدوتها للإسلام والمسلمين- يدعون صراحة للبلاد العربية لمنع عملية الختان للإناث وخاصة مصر الإسلامية، لما لها من ثقل دولي في المنطقة.

وقد جاء في جريدة الأهرام: «**إن أمريكا تتحرك لتطلب من مصر إصدار قانون يمنع ختان البنات المصريات**»[١]. ودعا السيد/ إلهامي عمارة عضو اتحاد الكتاب إلى ذلك في مقالات بالأهرام[٢]. «**يقول فيها: أصدرت الأمم المتحدة بياناً أعربت فيه عن استيائها من إجراء إعادة ترخيص عملية الختان في مصر عن طريق حكم المحكمة الإدارية ووصفته بالرجعية إلى الوراء**»[٣].

واستطرد الكاتب يقول: «**ومما لا شك فيه أن عدم معرفة فئات المجتمع للأخطار والأضرار الناجمة عن ممارسة هذه العادة**» وما يزيد المسألة تعقيداً هو الامتناع السائد بأن الإتيان بهذه العادة قد لصق بسنة الرسول ﷺ استناداً إلى بعض الأحاديث المشكوك في صحتها[٤].

وفي إطار الحملة المسعورة لتشويه صورة الإسلام، والإلحاح الشديد لمنع الختان، انتقلت العدوى إلى مجلس الشعب المصري، تقليداً لنظيره الكونجرس الأمريكي، وعلت فيه أصوات المعارضين للختان لبعض عضوات المجلس بسن قوانين تجرم عملية الختان وتجريم وعقوبة من يقوم بها[٥]، وقد حث على ذلك دعاة العلمانية والإفساد بقولهم «لا بد أن تنهض عضوة من مجلس الشعب لتقديم

---

(١) جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٧/٧/٣١.

(٢) جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٧/٧/٣١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) وهكذا يدخل كتاب المسرحيات والمسلسلات الهزلية في تضعيف وتحسين وتصحيح والتشكيك في أحاديث النبي ﷺ.

(٥) جريدة الأخبار والأهرام بتاريخ ١٩٧٧/٧/١٨.

مشروع قانون بإنهاء عملية ختان الإناث في مصر، وإن عندنا عضوات برلمان قادرات على عمل ذلك، فلماذا لا تبادر واحدة منهن كما بادرت النائبة الأمريكية «باتريشيا شرودر» وقدمت مشروعها إلى الكونجرس الأمريكي ونجحت في استصدار قانون بمنع ختان الإناث في الولايات المتحدة الأمريكية، وإذ لم تستطع عضوة في البرلمان المصري عمل ذلك، فلماذا لا تقدمه المنظمات النسائية غير الحكومية في مصر»[(١)].

ودخلت القصة دورها المأساوي، بعد أن عرضت شبكة «سي إن إن» الإخبارية الأمريكية - لاحظ: الأمريكية - تمهيداً لقرارات مؤتمر السكان - المشبوه - المنعقد في القاهرة عملية ختان وحشية مأجورة من الأب والشبكة، تقشعر منها الأبدان للطفلة المصرية نجلاء، والمتأمل في هذه العملية التي أجريت للطفلة المسكينة، والظروف المحيطة بها يستطيع أن يدرك أنها مؤامرة دنيئة، لتشويه صورة الختان الإسلامي، ودعوة صريحة لاستمرار الحرب الشعواء لمنع الختان للإناث وأن هذا المنكر الذي عرضته شبكة «سي إن إن» هو صورة الختان الإسلامي الذي لا بد أن يحارب، ويجب أن يمنع الناس من ممارسته، بقرار أو قانون ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]، وفي نفس الاتجاه اشتعلت حملة الصحافة المغرضة واللاتي تسعى لنفاق الجماهير بالتملق إلى السلطات فظهرت المقالات بصورة كثيفة فتحارب ختان الإناث، ففي أخبار اليوم يقول المستشار / محمد موسى رئيس اللجنة التشريعية بمجلس الشعب: «أنا مع الرأي بمنع الختان - أي: ختان الإناث - لأنه نوع من الوحشية، تساق فيه الفتاة إلى جلادها رغماً عنها، ولا أعلم أسباب تصدي البعض للدفاع عنه، نحن نمنع جريمة لا إرادة للفتاة فيها، بل تضر صحتها وحياتها الأسرية»[(٢)].

---

(١) الأخبار ١٩٩٧/٩/٦م.

(٢) الأخبار ١٩٩٧/٩/٦م.

ومن نفس المصدر يقول الأستاذ/ إبراهيم البهي: «إن الختان ظاهرة غربية، والعجب أن تستمر حتى الآن في عهد العلم والتكنولوجيا المتطورة، إنها تكون عنواناً على التخلف والرجعية»[1].

ثم جاء دور اللقاءات الإذاعية، وعلى سبيل المثال إذاعة القاهرة الكبرى وقدمت حوارات مع الشباب يوم الأربعاء ١٩٩٧/٩/٨م ويوم ١٩٩٧/٩/١٧م أعلن فيها الحاضرون الحرب على الختان فهو عادة قديمة قبيحة، وبدعة انتشرت في الأمة، وأن الختان مخالف للدين، والأحاديث الواردة فيه كلها ضعيفة، وأن الختان يسبب أضراراً خطيرة صحية ونفسية واجتماعية ولابد من؛ لأنه لا يوجد في العالم من يمارسه إلا أهل مصر والسودان.

وقد نسي هؤلاء جميعاً أننا مسلمون، والتقليد الأعمى قد يضر بهويتنا، وعقيدتنا، مع العلم أن جميع المتحدثين غير متخصصين في علوم الشريعة أو مهنة الطب.

ثم بلغت الدراما الحزينة ذروتها حينما أصدر وزير الصحة قراراً بمنع الختان في المستشفيات الحكومية والعامة وهذا قرار مسئول عن صحة وحياة الناس، واعترض على هذا القرار جمع كبير من الأطباء المتخصصين المسلمين الغيورين على دينهم، ورفعت القضايا ضد الوزير.

يقول محمد فوزي – أستاذ أمراض النساء والتوليد بجامعة عين شمس في مجلة المصور «أنا لست ضد الوزير – أنا معه في منع الجهلاء من إجراء عملية الختان وأيضاً مع الأطباء في إجرائها في البيوت، ولكن لست مع تحريم عملية ختان الإناث ومنعه منعاً قاطعاً لأنه بذلك يمنعني كطبيب متخصص من أداء عملي، إن هناك نسبة من الإناث دون ختان قد تسببت لهن مشاكل صحية، من زيادة الإفرازات والتكاثر البكتيري، والفيروسي، نظراً لطبيعة المنطقة، وظروف المناخ الحار التي تتسم به المناطق الحارة، وأيضاً هذه الحالات تسبب لها بعض

(١) الأخبار ١٩٩٧/٩/٦م.

المشاكل الزوجية» انتهى كلامه[1]، هكذا رد أهل الطب والتخصص وكفى به رداً.

وقد صدر القرار من محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة بإلغاء قرار وزير الصحة الصادر في يوليو ١٩٩٦م يحظر ختان الإناث في المستشفيات العامة والعيادات الخاصة، وذلك الحكم صادر بتاريخ ١٩٩٧/٧/٤م[2].

ثم تأتي الطامة الكبرى، علماء الدين يسايرون الناس في أهوائهم وتصدر الفتاوى لبعضهم وهم مسئولون أمام الله (تعالى)، ويقولون: إن الختان عادة وحشية، لم تأت بها الأديان السماوية، ولا الشريعة الإسلامية، وسيأتي بطلان فتواهم في موضعها إن شاء الله تعالى.

ويكفي في ذلك أن أقرانهم من علماء الأزهر الشريف قد أبطلوا فتواهم وكلامهم، فضلاً عن الأدلة القاطعة على بطلان ما خرج من أفواههم، وقد كان من الأولى لهم الانزواء والصمت حتى لا تطالهم دائرة الإثم والفساد في الأرض.

وبعد هذه القصة الهزلية، المحزنة، المضحكة، التي تهدف إلى منع أحد شعائر الإسلام، وإرساء أصول الرذيلة، ونشر البغاء والخنا وشيوع الفساد في الأرض والذي ينتج من إثارة غرائز الرجال والنساء.

أقول: لك أيها القارئ الكريم: إياك وهؤلاء المغرضين المفسدين، فدين الله تعالى جلي واضح، وأحكام الشريعة قد أقرت مشروعية ختان الأنثى، كما سيأتي بيانه، وإياكم معاشر المتحذلقين والافتئات على شريعتنا بتحريم ما أوجب الله فعله، والله غالب على أمره[3].

الختان لغة:

قال ابن منظور في لسان العرب:

---

(١) المصور ١٩٩٧/٧/٤م.

(٢) المصور، نفس العدد.

(٣) قد تم الاستفادة في هذا التمهيد من كتاب الختان في الشريعة الإسلامية للدكتور/ نجاشي على إبراهيم الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بجامعة الأزهر ومصادر أخرى.

الختان: موضع الختن من الذكر، وموضع القطع من نواة الجارة ومن الحديث المروي عن النبي ﷺ «**إذا التقى الختانان وجب الغسل**»[1].

وجاء في معجم متن اللغة:

ختن / ختنا الولد: قطع غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن فهو مختون، وهي مختونة، وهو من ختين، أو الختن للذكر، والخفض للجارية، وأصل المعنى: القطع، اختتن الصبي، ختن، فهو مختتن[2].

وجاء في مختار الصحاح:

الختان والختانة: موضع القطع من الذكر والأنثى ومنه قوله ﷺ: «**إذا التقى الختانان وجب الغسل**» «**وسميت الدعوة للختان ختاناً**»[3].

وعلى هذا فالختان لغة: اسم لفعل الخاتن وهو مصدر كالنزال والقتال، والمسمى به موضع الختن ومنه الحديث: «**إذا التقى الختانان وجب الغسل**»[4].

ويسمى في حق الأنثى خفضًا، يقال: ختنت الغلام ختنًا، وخفضت الجارية خفضًا، ويسمى في الذكر إعذارًا، وغير المعذر أعلق وأقلف وقد يقال الإعذار له أيضًا.

وقال أبو عبيدة في الصحاح: عذرت الجارية، والغلام أعذرهما عذراً، ختنهما، وكذلك أعذرتهما مال الأكثر، خفضت الجارية، والقلفة والغرلة هي الجلد الذي يقطع، قال: وتزعم العرب أن الغلام إذا ولده حال القمر، فمسخت قلفته، فصار كالمجنون.

فختان الرجل هو الحرف المستدير على أسفل الحشفة، وهو الذي تترتب الأحكام على تغيبه في الفرج، فيترتب عليه أكثر من ثلاثمائة حكم وقد جمعها بعضهم فبلغت أربعمائة إلا ثمانية أحكام.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٣/١٣٧) مادة خ ت ن.

(٢) معجم متن اللغة (٢/١٢٨/١٢٩) مادة خ ت ن.

(٣) مختار الصحاح (٩٩) مادة خ ت ن.

(٤) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

وأما ختان المرأة فهي جلدة كعرف الديك فوق الفرج، إذا غابت الحشفة في الفرج حاذى ختانه ختانها، فإذا تحاذيا فقد التقيا، يقال التقى الفارسان: إذا تحاذياً.

والمقصود: أن الختان اسم للمحل، وهي الجلدة التي تبقى بعد القطع وهو فعل الخاتن، ونظير هذا السواك: فإنه اسم للآلة التي يستاك بها، واسم المتسوك بها(١).

والحاصل من ذلك أن الختان ورد في لغة العرب، وقد أقرته الشريعة الإسلامية بنصوص قاطعة واضحة، وفي ذلك رد بليغ على من ادعى أن الإسلام، والعرب لم يعرفا الختان. فانتبه.

تعريف الختان شرعاً وصفته

للختان صفة شرعية وردت في كثير من مصادر وأمهات كتب الفقه والعلم، ووردت على ألسنة الفقهاء القدامى والمحدثين نذكر منها:

قوله النووي: الواجب أن يقطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى تنكشف جميع الحشفة، وفي المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلدة في أعلى الفرج التي يطلق عليها عرف الديك، ويستحب أن يقتصر في المرأة على شيء يسير، ولا يبالغ في القطع(٢).

ويقول الشوكاني في نيل الأوطار: «عرف العلماء الختان أنه قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص»(٣).

وقد زاد هذا التعريف وضوحاً في موضع آخر فقال: **الختان:** المراد به موضع الختن، والختن من المرأة قطع جلدة في أعلى الفرج مجاورة لمخرج البول، كعرف الديك، ويسمى الخفاض(٤).

---

(١) تحفة المودود ص ١٠٦/ مختار الصحاح مادة خ ت ن.

(٢) المجموع للنووي (١/٣٠٢).

(٣) نيل الأوطار (١/١٥٤).

(٤) نيل الأوطار (١/٢٧٧/٢٧٨).

وجاء في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: قال الماوردي: ختان الذكر قطع الجلدة التي تغطي الحشفة وختانها -أي المرأة- قطع جلدة تكون في أعلى فرجها فوق مدخل الذكر[١].

وعلى ذلك نقول: إن الختان للذكر هو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة، وختان المرأة هو قطع بعض البظر مع قطع الشفرين الصغيرين أو بعضهما، والبظر هو عضو يقابل عضو الرجل من الجهة التكوينية فهو حساس وينتصب لوجود نسيج انتصاب إسفنجي به، طوله قد يكون ثلاث سنتيمترات أو أكثر[٢].

أدلة خاصة بختان الأنثى

الدليل الأول: ما رواه البيهقي في سننه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنما النساء شقائق الرجال**»[٣].

وجه الاستدلال:

المراد من هذا الحديث أن حكم النساء في الشرعيات هو حكم الرجال، ما لم يأت نص بتخصيص أحدهما، وحيث إن الختان في حق الرجال واجب، إذاً هو في حق النساء واجب ولا سيما أنه سلم من المخالف.

الدليل الثاني:

رواية أبي داود عن أم عطية أن النبي ﷺ قال: «**اخفضي ولا تنهكي فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج**»[٤].

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/٣٤).

(٢) يا قلفاء اختتني: مصطفى محمد سلامة.

(٣) صحيح الجامع (٢٣٣٣).

(٤) أخرجه أبو داود (الأدب: ما جاء في الختان) (٥/٤٢٢) من طريق محمد بن حسان قال: نا عبد الوهاب الكوفي عن عبد الملك بن عمير عن أم عطية - ثم ذكر الحديث بلفظ «لا تنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل» - ثم قال: ومحمد بن حسان مجهول. وهذا الحديث ضعيف. ورواه البيهقي في سننه الكبرى (٨/٣٢٤) عن محمد بن حسان عن أم عطية بنحوه، ورواه أيضاً من طريق عبيد بن عمير، عن رجل من أهل الكوفة عن عبد الله بن

وقد روي عن ميمونة زوج النبي ﷺ أنها قالت للخاتنة: إذا خفضت فأشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى لها عند زوجها[1].

وجه الاستدلال من الحديثين:

قوله: «اخفضي» وقوله: «وأشمي» وكلاهما فعل أمر، وهو يقتضي الوجوب وسبق بيان أوجه صحة الحديثين، فلا حجة لمن قال بضعفهما كما هو مقرر في علم الحديث.

الدليل الثالث:

ما رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:

=

عمير عن الضحاك بن قيس عن أم عطية بلفظ: «يا أم عطية اخفضي ولا تنهكي ... » الحديث. قال ابن معين: الضحاك بن قيس ليس بالقوي، وقال أبو داود: عبيد بن عمير ليس بالقوي، وقد روي مرسلاً عند الحاكم في المستدرك (٥٢٥) وسكت عنه الذهبي. والطبراني في الكبير بسنده بنحو ما سبق (٨/٣٥٨) رقم الحديث (٨١٣٧). قلت: والحديث صحيح للأسباب الآتية: أولاً: قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/٨٣) والفتح (١٠/٣٥٣): وله شاهد من حديث أنس، ومن حديث أم أيمن عند أبي الشيخ في كتاب العقيقة، وآخر عن الضحاك بن قيس عند البيهقي، ثم سكت. ثانياً: قال العلامة الألباني بعد أن ساق جميع طرق الحديث وأتى له بشواهد عدة: قلت: وبالجملة الحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح – والله أعلم. السلسلة الصحيحة (٢/٣٤٤/٣٤٨) حديث رقم (٧٢٢).

(١) حديث ميمونة: رواه الطبراني في الأوسط (٣/١٣٣) (٢٢٧٤) من طريق زائد عن أبي الرقاد عن ثابت البناني عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأم عطية: «**إذا خفضت فأشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج**». قال البيهقي: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن: باب الختان (٤/١٧٢). رواه الخطيب في تاريخه بسنده من طريق زائدة عن أنس بنحوه (٥/٣٢٧/٣٢٨) ومن طريق أبي مرة عن أبي البحتري عن علي قال: كانت خافضة بالمدينة فأرسل إليها رسول الله ﷺ فقال: «**إذا خفضت فأشمي ولا تنهكي فإنه احسن للوجه وارضى للبعل**» التاريخ (١٢/٢٩١). وابن عدي عن أبي الرقاد عن أنس (٣/١٠٨٣). والبيهقي في الكبرى من طريق زائدة عن أنس (٨/٣٢٤) والكلام على حديث ميمونة هو حكم الكلام على حديث أم عطية لكثرة الشواهد والطرق لهما؛ لذا فكلاهما حديث صحيح.

«الفطرة خمس: الختان والاستحداد ونتف الإبط، وقص الشارب، وتقليم الأظافر»[١].

وجه الاستدلال:

إن المحافظة على الفطرة من أكبر الواجبات، فإما أن يقال: المذكورات أجزاء من الفطرة، وحيث إن أجزاء الواجب واجب، إذًا فالختان واجب ولا يوجد له صارف.

وإما أن يقال: المذكورات وسائل، وحيث إن الوسائل لها أحكام المقاصد، والمقصد واجب وهو المحافظة على الفطرة، إذًا وسائله واجبة، ما لم يأت لذلك صارف، إذًا الختان واجب، وجاء لفظ «الختان» معرفًا بالألف واللام فأفاد ذلك: العموم والاستغراق، فيشمل الذكر والأنثى كما هو مقرر عند الأصوليين، إذًا ختان الذكر والأنثى من المأمورات الشرعية فانتبه.

الدليل الرابع:

ما رواه الطبراني في معجمه الكبير عن قتادة الرهاوي أنه ﷺ **«كان يأمر من أسلم أن يختتن»**[٢].

وجه الاستدلال:

لفظ «من» وهو اسم موصول مشترك يقع على الذكر والأنثى، وعلى المفرد والجمع، وحيث إن الأمر بالختان تعلق به؛ إذًا ختان الإناث واجب.

الدليل الخامس:

روى البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا التقى الختانان وجب الغسل»**[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الحديث عند مالك بهذا اللفظ موقوفاً، على عمر وعثمان، وعائشة (الموطأ ٥٠). قلت: له حكم الرفع لأنه متعلق بحكم شرعي، والصحابة ثقات عدول. واحمد عن عائشة مرفوعًا (٦/١٢٣/٢٢٧/٤٣٩). ورواه مسلم في صحيحه **«إذا مس الختان الختان وجب الغسل»** (

وجه الاستدلال:

تسمية كل من: فرجي الذكر والأنثى، ختانان، فدل ذلك على أن كليهما مختونان، فإن قيل: لفظ الختان من باب التغليب، كقولهم: «**القلم أحد اللسانين**» والأحمران «**للذهب والزعفران**».

قلت: أولاً: هو شاذ ولم يثبت وكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله ﷺ لا يخرجان على الشاذ فإنهما من أفصح الفصيح.

ثانياً: أن التثنية لها شروط ثمانية لا بد منها: يقول الناظم:

شـــرط المثنى أن يكون معربا ... ومفـــردا ومنكـــرا مـــا ركبا

مـــوافقا في اللفـــظ والمعنى له ... مماثـــل لم يغـــن عـــنه غيره

وعليه: فلفظ الختانان، صحيح التثنية، وما جئتم به من أمثلة لا تصح؛ لأنها فقدت بعض الشروط منها المثلية.

فإن قيل: الحكم الثابت هو وجوب الغسل، وهو يتعلق بالالتقاء فمن أين استبعد وجوب الختان؟ وغاية ما في النص حكاية الختان.

قال الشيخ مصطفى محمد سلامة[1]: قلت: **أولاً:** هذا استدراك عظيم الشأن، **ثانيًا:** أن الحكاية دليل على أن جميع الصحابة والصحابيات كانوا من المختونين والخطاب ساري المفعول إلى يوم البعث، فوجب مماثلة الصحابة والصحابيات في ذلك، **ثالثًا:** أن الحكاية دليل على الإجماع وإنه مخالف.

الدليل السادس:

عن أوس بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال: «**الختان سنة للرجال مكرمة**

=

٤/٤١) بشرح النووي. وعند الترمذي (٩٤/٩٥) بلفظ «إذا جاوز الختان الختان». والبخاري في تاريخه (٦/١٨٢) والتجريد (٦٩٩) للحافظ ابن حجر، وكشف الخفاء للعجلوني (١/٨٦). والخطيب في تاريخه (١/٣١١) (٦/٢٨٢)، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي (٢/٣٨٣) وابن ماجه (٦١١)، والمصنف لابن أبي شيبة (١/٨٩)، ونصب الراية للزيلعي (١/٨٤) وشرح السنة للبغوي (٢٠/١٥).

(١) يا قلفاء اختتني.

للنساء»[1].

وجه الاستدلال:

في الحديث دلالة على أن ختان الرجال سنة، وهو مكرمة للنساء والمراد هنا السنة الإصلاحية، وتطلب رتبة السنة من أحاديث أخرى، دلت عليها النصوص السابقة، وعلى ذلك فالسنة هنا يأثم من يتركها.

يقول ابن القيم في تحفة المودود: «الاختتان عن مالك وعامة الفقهاء سنة، ولكن السنة عندهم يأثم تاركها فهم يطلقونها على مرتبة بين الفرض والندب، وإلا فقد صرح مالك بأنه لا تقبل شهادة الأقلف، ولا يجوز إمامته، والسنة هي الطريقة، يقال: سننت له كذا: أي: شرعت، فقوله: الختان سنة للرجال: أي مشروع لهم لا أنه مندوب غير واجب، فالسنة هي الطريقة المتبعة وجوباً واستجابة لقوله ﷺ : **«من رغب عن سنتي فليس مني»**. وقوله ﷺ

---

(١) أخرجه البيهقي (٢/٣٢٥) عن ابن عباس وقال: هذا إسناد ضعيف والمحفوظ الموقوف. ثم ذكر الحديث الموقوف وسكت عنه التركماني والبيهقي وكأنهما أقراه. ورواه أيضاً من طريق الحجاج بن أرطاة عن أبي المليح عن أسامة عن أبيه بنحوه وقال: الحجاج بن أرطاة لا يحتج به. ورواه عن أبي أيوب من طريق الحجاج أيضاً، وأخرجه ابن عساكر في رسالة تبين الامتنان بالأمر بالختان من طريق الحجاج عن أبي أيوب بنحوه، وقال: حديث ضعيف الحجاج لا يحتج به، ومكحول لم يدرك أبا أيوب ولم يره. الرسالة (٤٣/٢٦). وأخرجه أحمد في المسند من طريق الحجاج به عن أبي المليح بن أسامة عن أبيه (٢/٤٧/٢٢٣١)، ورواه أبو حاتم في العلل من طريق الحجاج بن أرطاة عن أبي المليح عن أبيه عن شداد ابن أوس مرفوعاً، وأيضاً بسنده إلى مكحول عن أبي أيوب عن النبي ﷺ . وأخرجه بن أبي شيبة في مصنفه عن الحجاج عن رجل وقال الحافظ في التلخيص: والحجاج مدلس، وقد اضطرب فيه فتارة رواه كذا، وتارة رواه بزيادة شداد ابن أوس بعد والد أبي المليح قاله: الحافظ في الفتح (١٠/٣٥٣) والتلخيص (٤/٨٢)، (١٨٠٦). ورواه عبد الرزاق عن عمرو موقوفاً «هو للرجال سنة وللنساء طهرة» والطبراني في الكبير بسنده عن شداد (١١/١١٥٩) (١٢٠٠٩). والطبراني أيضاً من طريق وكيع عن سعيد بن بشير عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس موقوفاً (٢/١٠٨٢) (١٢٨٢٨). وأورده السيوطي في الدر المنثور من طريق أحمد، والبيهقي عن شداد بن أوس بنحوه (١/١١٤) والحديث من الضعيف الذي يقوى، وضعف الإسناد هنا لا يبطل المعنى، فله شواهد كثيرة صحيحة.

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي».

وقال ابن عباس: من خالف السنة كفر، وتخصيص السنة بما يجوز تركه اصطلاح حادث، وإلا فالسنة ما سنه الرسول ﷺ لأمته من واجب، ويأثم من يترك الختان للذكر والأنثى.

الدليل السابع:

قوله ﷺ : **«من رغب عن سنتي فليس مني»**[(١)].

وقوله ﷺ : **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي»**[(٢)].

وجه الاستدلال:

ما ورد آنفًا من نصوص صريحة أن الختان من سنة النبي ﷺ وسبق بيان الفهم الصحيح من منطوق النص عند المالكية والشافعية، فعلم من ذلك أن الختان من سنة النبي ﷺ ، فتأكد من ذلك على ضرورة العمل بها.

وهنا أكد حديث العرباض بن سارية بدليل آخر أن الختان من سنة الخلفاء الراشدين المهديين، الذين أمر الرسول ﷺ باتباعهم وأسوق هنا عدداً من الأمثلة أن الختان كان من هديهم ﷺ .

جاء عند الطبراني في الكبير عن الحسن قال: دعي عثمان بن أبي العاص إلى طعام فقيل: هل تدري ما هذا؟ هذا ختان جارية، فقال: هذا شيء ما كنا

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (النكاح/ ١٥٦٣) من حديث انس ومسلم من حديث انس أيضًا «النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه» (١٤٠١). وأحمد في المسند (٢/١٥٨) ومجمع الزوائد للهيثمي (٣:١٩٣) وصحيح ابن خزيمة (١٩٧) والبيهقي في الكبرى (٧/٧٧) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/١٣٦).

(٢) رواه الترمذي من حديث العرباض بن سارية (كتاب العلم: باب الأخذ بالسنة) (٢٦٧٦) وقال الترمذي حديث حسن صحيح. وابن ماجه من طريق العرباض ابن سارية (المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين) (٢/٧٣٤٢). وأبو داود في السنة: باب لزوم السنة (٤٦٠٧)، والحاكم في المستدرك (١/٩٦/٩٧) (العلم)، والدارمي باب اتباع السنة (١/٧/٥٩) وابن حبان في صحيحه (الموارد) (١٠٢).

نراه على عهد رسول الله ﷺ فأبى أن يأكل[١] واعتراضه هنا على الأكل من الوليمة لا الختان، لأنه لم يكن من هديه ﷺ في ختان الأنثى وليمة ولا غيره.

وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن أم المهاجر قالت: «**سبيت وجواري من الروم، فعرض علينا الإسلام، فلم يسلم منا غيري، وغير أخرى، فقال اخفضوهما وطهروهما. فكنت أخدم عثمان**»[٢].

وأخرج أيضًا البخاري في الأدب المفرد عن أم علقمة قالت: «أن بنات أخي عائشة (ختان)، فقيل لعائشة: ألا ندعو لهن من يلهيهن؟ قالت بلى، فأرسلت إلى عدي فأتاهن، فمرت عائشة في البيت فرأته يتغنى ويحرك رأسه طرباً – وكان ذا شعر كثير – فقالت: أف، شيطان أخرجوه»[٣].

وجه الشاهد: الختان الحادث لبنات أخي عائشة رضي الله عنها.

وبعد: فالحاصل هنا بعد ورود هذه النصوص، ووجه الدلالة منها، تبين أن الختان من سنة النبي ﷺ وعليه أن كل قول يخالف هذا الهدي النبوي ما هو إلا محض افتراء وافتئات على الشريعة، والسنة، وزيغ وضلال، مهما كان قائله، فلا صوت يعلو على الأمة الإسلامية على مر القرون السابقة وإلى يومنا هذا، فإذا صارت هذه المسألة محل إجماع الأمة ولا يمكن أن تجتمع هذه الأمة على ضلالة كما قال ﷺ «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة**».

وعلى ذوي الحجا والعقول أن يعلموا من أي مشرب يأخذون، أمن هدي النبي ﷺ ، وإجماع الأمة، أم من بعض الفتاوى التي لا تستند على أصول شرعية، أو حقائق علمية؟

والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٣/٧/٢) وأحمد في مسنده (٤/٧/٢) وإسناده جيد لولا عنعنة ابن إسحاق فإنه مدلس وبه أعله الهيثمي (٤/٦٠).

(٢) البخاري في الأدب المفرد (٢٤٥، ١٢٤٩).

(٣) البخاري في الأدب المفرد (١٢٤٧) والسلسلة الصحيحة للألباني (حديث ٧٢٢).

الختان من الجانب الفقهي

تدور معظم أقوال الفقهاء القدامى والمحدثين حول دائرة واحدة هي وجوب الختان، أو سنته، وسنتناول في هذا الفصل بإذن الله تعالى أدلة الفريقين ثم الترجيح بالوجوب، وأدلة الترجيح.

.وأحب أن أسوق هنا في بدء ذلك الفصل قولاً ملخصًا في هذا الاختلاف الدائر بين الوجوب والاستحباب ذكره ابن القيم فقال:

اختلف الفقهاء في ذلك فقال الشعبي، وربيعة والأوزاعي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومالك والشافعي وأحمد: هو واجب، وشدد فيه مالك حتى قال من لا يختتن لم تجب إمامته، ولا تقبل شهادته، ونقل كثير من الفقهاء عن مالك أنه سنة، حتى قال القاضي عياض: «الاختتان عند مالك وعامة العلماء سنة» ولكن السنة عندهم يأثم من يتركها فهم يطلقونها على مرتبة بين الفرض والندب، وإلا فقد صرح مالك بأنه لا تقبل شهادة الأقلف، ولا تجوز إمامته.

وقال الحسن وأبو حنيفة: بل هو سنة [1] كذلك قال ابن موسى من أصحاب أحمد: هو سنة مؤكدة.

ونص أحمد في رواية، أنه لا يجب على النساء - ثم قال ابن القيم رحمه الله: والكلام على الإناث ينحى منحى الكلام على الذكور.

من قال بالوجوب وأدلته:

احتج القائلون بوجوب الختان على وجوه عدة منها:

الوجه الأول:

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ والختان ملته.

الوجه الثاني:

---

(١) نقل الحافظ ابن حجر عن أبي حنيفة أنه واجب وليس بفرض أو سنة، ويأثم من تركه وعلى هذا فلا خلاف، فالاختلاف لفظي (الفتح ١٠/٣٥٣) ونظير هذا ما جاء في الدر المختار (٥/٤٩٥): الختان سنة وهو من شعائر الإسلام وخصائصه، فلو اجتمع أهل بلد على تركه حاربها الإمام، فلا يترك إلا لعذر.

ما رواه أحمد عن عثيم بن كليب عن أبيه عن جده أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: أسلمت، قال «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**»[(١)].

وفي رواية وأخبرني آخر معه أن النبي ﷺ قال: «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**» فدل ذلك على الوجوب كما سبق بيانه.

الوجه الثالث:

ما رواه ابن المنذر من حديث أبي برزة: «الأقلف لا يحج بيت الله الحرام حتى يختتن».

وجاء في لفظ: سألنا النبي ﷺ عن رجل أقلف يحج بيت الله؟ قال ﷺ: «**لا، حتى يختتن**»[(٢)].

الوجه الرابع:

ما رواه وكيع بسنده عن ابن عباس قال: الأقلف لا تقبل له صلاة ولا تؤكل ذبيحته[(٣)]. ورواه أحمد بسنده عن ابن عباس بنحوه.

الوجه الخامس:

إن الختان من أظهر شعائر الإسلام والتي يفرق بها بين المسلم وغيره، فوجوبه من وجوب الوتر وزكاة الخيل ووجوب التيمم.

الوجه السادس:

إنه قطع شرعه الله، لا تؤمن سرايته، فكان واجباً كقطع يد السارق.

الوجه السابع:

إنه لا يجوز كشف العورة لغير ضرورة ولا مداواة، فلو لم يجب لما جاز كشف العورة له، لأن الحرام لا يلتزم للمحافظة على المسنون ومن قال بهذا القاضي أبو العباس بن شريح وغيره.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ذكره الحافظ في الفتح (٩/٥٥٣) كتاب الذبائح من أهل الكتاب والبيهقي في الكبير (٨/٣٢٥) وعبد الرزاق في المصنف (١١/١٧٥).

الوجه الثامن:

ما احتج به الخطابي قال: «**أما الختان فإنه وإن كان مذكوراً وفي جملة السنن فإنه عن كثير من العلماء على الوجوب، وذلك أنه شعار الدين وبه يعرف المسلم من الكافر، إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين صُلِّي عليه ودفن في مقابر المسلمين**».

الوجه التاسع:

التحرز من احتباس البول في القلفة فتفسد الطهارة والصلاة، ولهذا قال ابن عباس فيما رواه الإمام أحمد وغيره: لا تقبل صلاته؛ ولهذا يسقط بالموت لزوال التكليف بالطهارة.

الوجه العاشر:

قال ابن القيم: إنه من شعائر عباد الصليب وعباد النار الذين تميزوا به عن الحنفاء - يقصد عدم الاختتان - والختان من شعائر الحنفية في الأصل، ولهذا اختتن إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام، وهو ما توارثه بنو إسماعيل وبنو إسرائيل، عن إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه، فلا يجوز موافقة عباد الصليب، والقلف من شعائر كفرهم وتثليثهم[1].

قلت: انتبه لهذا الوجه، فهل تحرم المرأة من هذه المخالفة لعباد الصليب وفي ذلك إتمام وإحياء لدينها وعقيدتها؟

الوجه الحادي عشر:

ومن الدليل على وجوب الختان أنه إيلام، وكشف للعورة، فلولا أنه واجب ما فسح فيه[2].

ولابن عساكر جزء مستقل بعنوان «تبين الامتنان بالأمر بالختان».

جاء فيه: «فكان من أمره ما جاء به الاختتان مخالفة لمن عاصره من القلفاء، وتميز عما عداه من الصلبان، فما تفضل الله به على هذه الأمة من

(١) تحفة المودود (١١٣/١١٦).

(٢) أحكام النساء لابن الجوزي.

الاختتان وما وفقهم عن الأخذ به في الطهور والاختتان»[١].

من قال بعدم الوجوب، وأدلته والرد عليه:

أولاً: الذين ذهبوا إلى عدم الوجوب قالوا: صرحت السنة[٢] بأنه سنة كما في حديث أوس بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال: «**الختان سنة للرجال مكرمة للنساء**»[٣]، وللرد عليهم عدة وجوه:

الأول: هذا الحديث ضعيف لأن فيه الحجاج بن أرطأة وهو موصوف بالتدليس وبالوهم فقد عنعنه واضطرب فيه.

الثاني: بفرض صحة الحديث فإن لفظ السنة في الحديث ليس هو السنة الاصطلاحية، بل هو أعم من ذلك، وتطلب رتبة السنة من أحاديث أخرى[٤]. والمراد بالسنة هنا هي التشريع، والمعنى: إنني شرعت الختان سنة للرجال وللنساء، وهو مكرمة وطهارة لها.

ثانياً: اعترضوا على الوجوب بأن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ يعني بالملة الحنيفية هي التوحيد، ولهذا بينها بقوله ﴿ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وقال يوسف الصديق: ﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨].

قالوا: فالملة في هذا كله هي أصول الدين من التوحيد والإنابة إلى الله وإخلاص الدين، قالوا: ولو دخلت الأفعال في الملة فمتابعته فيها أن نفعل على

---

(١) هذا الجزء مطبوع بمكتبة الصحابة، تحقيق مجدي فتحي السيد.

(٢) قلت: سبحان الله أين هؤلاء المترخصون الذين قالوا بحرمة الختان للأنثى، وذكروا أن الإسلام يجرم هذه العادة، وهذا هو أدنى الأقوال في ختان الأنثى فانتبه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) يا قلفاء اختتني: مصطفى سلامة.

الوجه الذي فعله، فإن كان فعلها على سبيل الوجوب، فاتباعه أن نفعلها على سبيل الوجوب، وإن كان فعلها على سبيل الندب فاتباعه كذلك.

قلت: ذهابكم إلى الندب بهذه الحجة لا يسلم من المعارضين وذلك للآتي: قول النووي رحمه الله: «إن الآية صريحة في اتباعه فيما فعله وهذا يقتضي إيجاب كل فعل، إلا ما قام دليل على أنه سنة في حقه، كالسواك وغيره، وقد نقل الخطابي: «إن خصال الفطرة كانت واجبة على إبراهيم عليه السلام» والختان من خصال الفطرة»[1].

وأما قولكم: إن الملة هي التوحيد، فالملة هي الدين، وهي مجموع أقوال وأفعال مقدم عليهما الاعتقادات، ودخول الأعمال في الملة، يعني دخول الأعمال في الإيمان - أي في مسمى الإيمان - كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة.

وكذلك الملة هي الفطرة وهي الدين - ومحال أن يأمر الله تعالى باتباع إبراهيم في مجرد الكلام دون الأعمال، وخصال الفطرة، وإنما أمر بمتابعته في توحيده وأقواله وأفعاله، وهو عليه السلام قد اختتن امتثالاً لأمر ربه الذي أمر به وابتلاه فوفاه كما أمر، فإن لم نفعل كما فعل لم نكن له متبعين، كذا نقل ابن القيم[2].

ثالثاً: واعترضوا أيضًا بأن حديث عثيم بن كليب عن أبيه عن جده: «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**» ضعيف. وبينوا سبب ضعفه أن فيه إبراهيم بن يحيى، وهو متفق على ضعفه، وبأن مراسيل الزهري عن النبي ﷺ من المراسيل التي لا تصلح للاحتجاج.

ونقول: إن إبراهيم بن يحيى كان الشافعي حسن الظن به وعليه فحديثه يصلح للاعتضاض من حيث يتقوى به، وإلا لم يحتج بمفرده، وكذلك الكلام في مرسل الزهري، فإذا لم يحتج بهما، فإن هذه المرفوعات والموقوفات

---

(١) المجموع في شرح المهذب للنووي (١/٣٥٤/٣٥٦).

(٢) تحفة المودود (١١٦/١٧٧) الفرقان في حكم الختان (٢٧/٢٨).

والمراسيل يشد بعضها بعضاً[١].

وبعد، أقول: إن الناظر في أمر الختان يرى أن الاختلاف دائر بين الوجوب والاستحباب، ولم نر أو نسمع أحدًا من سلف الأمة على اختلاف مذاهبهم قال بالكراهة أو بالحرمة أو مما نسمعه هذه الأيام من ترهات الضلال، فإلى الله المشتكى، ويا للعجب من قول هؤلاء الذين يشذون بأقوال وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان فلا نرى فيهم إلا قول الرسول ﷺ: «**دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»[٢].

هل يجب ختان الإناث؟

وبعد حديثنا عن أقوال الذين ذهبوا إلى الوجوب، والذين ذهبوا إلى عدم الوجوب في أمر الختان عامة، يلح علينا سؤال، نراه في غاية الأهمية وهو بيت القصيد من رسالتنا.

هل يجب ختان البنت ولا سيما أن الاختلاف في ذلك العصر ليس على ختان الذكر، وإنما على ختان الأنثى؟ وأجعل الإجابة على هذا السؤال من فم فقهاء الأمة وسلفهم، حتى لا يقول أحد: قال فلان وقال فلان ... فإن جميع فقهاء هذه الأيام عالة على علم هؤلاء فانتبه.

أولاً: ذهب النووي إلى الوجوب فقال: «الختان واجب على الرجال والنساء وعندنا، وبه قال كثيرون من السلف كذا حكاه الخطابي، وممن أوجبه أحمد، وقال مالك وأبو حنيفة: سنة في حق الجميع»[٣].

وهنا أحب أن أتمم قول النووي بما سبق وذكرناه ونقله ابن القيم: «أن السنة عند مالك يأثم تاركها، وهي درجة بين الواجب والمندوب».

وقال النووي: وحكى الرافعي وجهًا آخر أي سنة في حق الجميع، وحكى وجهًا ثالثًا أنه يجب على الرجال وسنة في المرأة، وهذان شاذان،

---

(١) الفرقان في حكم الختان (٣١/٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣/٣٨/٣٩) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/٩٨) رقم ٨٩٦١).

(٣) المجموع بشرح المهذب للنووي (١/٣٥٦:٣٥٤).

والمذهب الصحيح المشهور الذي رضى عليه الشافعي وقطع به الجمهور «**أنه واجب على الرجال والنساء**»(١).

ثانيًا: ذهب إلى الوجوب أيضًا ابن قدامة المقدسي فقال: «الدليل على وجوبه للجميع أن ستر العورة واجب فلولا أن الختان واجب لم يجز هتك حرمة المختون بالنظر إلى عورته من أجله»(٢).

ثالثًا: ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين سئل: هل تختتن المرأة أم لا؟

قال: نعم تختتن وختانها أن تقتطع أعلى الجلدة التي كعرف الديك، قال رسول الله ﷺ للخاتنة: «**أشمي ولا تنهكي فإنه أبهى للوجه وأحظى لها عند زوجها**»(٣).

رابعًا: ويقول ابن القيم: «فإذا بلغ الصبي أقلف أو المرأة غير مختونة ولا عذر لها ألزمها السلطان به، ثم قال: وعندي أنه يجب على الولي أن يختن الصبي قبل البلوغ بحيث يبلغ مختوناً، ولا خلاف في استحبابه للأنثي، وعن أحمد، روايتان أحدهما يجب، واستحسن الختان بعد الزواج لمن لم تختتن»(٤).

قلت: فالحاصل من ذلك هو وجوب الختان للذكر والأنثى فانتبه.

موقف دار الإفتاء المصرية من ختان الأنثى:

في البدء أقول: هذه نصيحة علماء الأزهر الأوفياء، الأتقياء الذين لا يميلون مع الهوى، ولا ينعقون وراء الناعقين، على حساب فتواهم وعري دينهم، وأنقل هنا فتويين لدار الإفتاء المصرية، وفي ذلك أبلغ الرد - بعد وافر الأدلة السابقة - على من قال بحرمة الختان وعدم وجود نص صحيح له، أو أن الشريعة الإسلامية لا تقره. فاعتبر.

---

(١) المجموع بشرح المهذب للنووي (١/٣٥٤/٣٥٦).

(٢) المغني لابن قدامة مع الشرح الكبير (١/٧٠/٧١).

(٣) الفتاوى الكبرى (١/٥١/٥٢).

(٤) تحفة المودود (ص ١٠٨، ١٠٩).

الأول: قال فضيلة الأستاذ: علام نصار - مفتي الديار المصرية سابقاً لدار الإفتاء: «سبق لدار الإفتاء المصرية أن أجابت على مثل هذا السؤال بفتوى مسجلة بدار الإفتاء المصرية برقم (٢٨٠/٦٣) بتاريخ سبتمبر ١٩٥٠م ونصها:

«أن ختان الأنثى من شعائر الإسلام وردت به السنة النبوية، واتفقت كلمة فقهاء المسلمين وأئمتهم على مشروعيته[١] ومع اختلافهم في كونه واجبًا أو سنة فإنا نختار الفتوى بسنيته، لترجيح سنده، ووضوح جهته، والحكمة من مشروعيته وما فيه من تلطيف الميل الجنسي في المرأة، والاتجاه إلى الاعتدال المحمود» انتهى.

ولمزيد من البيان - القول للدكتور علام نصار - تحقيقاً للغرض الكريم الذي ترمي إليه مجلة لواء الإسلام نضيف إلى الفتوى ما يأتي:

ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تدل في مجموعها على مشروعية ختان الأنثى: منها قوله ﷺ: «**خمس من الفطرة**» وعد منها الختان، وهو عام للذكر والأنثى.

وما رواه أبو هريرة ﷺ أنه قال: «**يا نساء الأنصار اختفضن**- أي: اختتن - **ولا تنهكن**» أي: لا تبالغن، وحديث: «**الختان سنة للرجال مكرمة للنساء**».

ومن هنا يتبين مشروعية ختان الأنثى، وأنه من محاسن الفطرة، وله أثر محمود في السير بها.

أما آراء الأطباء وما نشر في مجلة الدكتور وغيرها من مضار الختان فإنها أراء فردية لا تستند إلى أساس علمي متفق عليه، ولم تصبح نظرية علمية مفردة، وهم معترفون بأنه للآن لم يتحصل اختبار للنساء المختتنات وأن نسبة الإصابة بالسرطان في المختتن من الرجال والنساء أقل من غير المختتن[٢].

---

(١) قلت: يرحمك الله أيها القارئ ماذا بعد هذا البيان أن ختان الأنثى متفق عليه، فلم الضلال والزيغ يا أصحاب الأهواء؟!!

(٢) انتهى كلام الشيخ علام نصار فاعتبره جيداً.

وأنقل هنا فتوى لرئيس لجنة الفتوى الشيخ/ عطية صقر يقول ردًا على سؤال: هناك أصوات تنادي اليوم بعدم ختان البنات وتقول أنه سبب في انتشار المخدرات فما هو رأي الدين في ذلك؟

فقال فضيلة الشيخ: الختان بوجه عام عادة قديمة، وختان البنت كان عند العرب قبل الإسلام، وأشهر من كانت تقوم به «أم أنمار» كما في البخاري والختان مطلوب في الإسلام بدليل حديث مسلم «**خمس من الفطرة: الختان والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط وقص الشارب**».

والفطرة هي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، والاستحداد هو حلق العانة، ولكن ما هي درجة الطلب: هل هي الوجوب أو الندب؟ ملخص أقوال الفقهاء في ذلك ثلاثة:

الأول: أن الختان سنة في حق الرجال والنساء، وذهب إليه مالك في رواية عنه، وأبو حنيفة روي عنه قوله: واجب وليس بفرض، كما روي عن مالك أنه فرض، وقال به بعض أصحاب الشافعي.

الثاني: أنه واجب في حق الرجال والنساء جميعاً، وهو مذهب الشافعي وكثير من العلماء، وذلك مقتضى قول سحنون من المالكية وهو رواية عن الإمام أحمد.

الثالث: أنه واجب في حق الرجال، سنة في حق النساء، قال به بعض أصحاب الشافعي، وهو مذهب أحمد وهو بالنسبة للنساء مكرمة، كما عبّر عنه حديث ضعيف.

وبعد استعراض الأدلة ومناقشتها من أنه ليس هناك دليل صحيح سليم من النقد على وجوب ختان النساء، ولكن ليس هناك ما يمنعه فقد كان موجودًا عند العرب، وأقره الإسلام، ورتب الحديث الغسل عن التقاء الختانين، وكانت هناك وصية بعدم المبالغة. لأنه أحظى للمرأة وأحب لبعل. وكلام الأطباء في ضرره إنما هو في المبالغة فيه، وقد مرت مئات السنين وهو يمارس دون

شكوى، وإذا كانت هناك شكوى من رواج المخدرات فإن ربطها بختان المرأة غير صحيح فليس هو الوسيلة لذلك، ويجب البحث عن الأسباب الأخرى ومحاربتها بالطرق الفعالة(١).

وبعد أيها القارئ الكريم، هذه أقوال علماء الأزهر أهل الاختصاص وإن أردت المزيد فجالسهم تعلم أكثر وأكثر، وهذه فتوى لجنة الفتوى – المختصة، ولا تسألني: لما خالف بعض هؤلاء وقال: خلاف ما أتت به الشريعة، فهم أولى بالسؤال منا؟ والله من وراء القصد.

موقف بعض رجال القانون من ختان الإناث:

قال الأستاذ/ محمد إبراهيم سالم رئيس المحكمة العليا الشرعية:

١- قد أجمع الفقهاء على استحسان ختان البنات، لما فيه من الحفظ والصيانة من التعرض للالتهابات العضوية، والتضخم في أجهزة التناسل الظاهرة، والانفعالات النفسية، وإثارة الغرائز الجنسية التي تؤدي إلى الاضطراب العصبي في حالة كبتها، أو إلى السقوط في مهاوي الرذيلة إذا أطلقت من عنانها وخاصة في سن الشباب ونشاط الغدة التناسلية.

٢- وهذا الختان الذي اعتبرته الشريعة الإسلامية مكرمة هو إزالة الجزء البارز من البظر، المرتفع عن البشرة لتخفض إلى حد الاعتدال، حتى لا تكون عرضة للتهييج من الحركة أو الملابس، أو ركوب الدواب ونحو ذلك، ولذلك سمي ختان البنات خفضاً، وسميت المرأة التي تقوم بإجراء هذه العملية خافضة.

٣- ولا شك أن ختان البنت على هذا الوجه: أي: إزالة الجزء البارز فقط وإبقاء الجزء الكامن- يكسبها صحة الجسم وجمالاً في الأنوثة، وصيانة في الخلق، ومتانة في العفة والشرف، مع الإبقاء على الحساسية الجنسية بالقدر المناسب الذي لا شطط فيه(٢).

---

(١) كتاب (س ، ج) للمرأة المسلمة (٢٣٤/٢٣٥) لرئيس لجنة الفتوى الشيخ/ عطية صقر.

(٢) الفرقان في الختان (٥٩/٦٠/٦١).

الفوائد الصحية لختان الأنثى:

نذكر إن شاء الله تعالى هذه الفوائد في نقاط عديدة، من خلال مجموع كلام الفقهاء والأطباء، فيقول وبالله التوفيق.

الفائدة الأولى:

أن البظر عضو حساس وينتصب، فإذا كان طويلاً يجلب الاشتهاء للمرأة بمجرد احتكاكه بالملابس وخاصة في هذه الأزمنة مع انتشار الملابس الضيقة والإسلام يحرم ذلك.

الفائدة الثانية:

طول البظر يضر بالرجل وعملية الجماع، فلا يستطيع الرجل أو المرأة إتمام العملية الجنسية بنجاح.

الفائدة الثالثة:

أن الختان يتم فيه قطع بعض البظر، وقطع بعض الشفرين الصغيرين وعليه فإن الختان يمنع الإفرازات الدهنية من التجمع بين الشفرين، والتي ينتج عنها رائحة كريهة، ومن هنا يتبين أن ختان الأنثى فيه طهارة، ووقاية من الأمراض التناسلية.

الفائدة الرابعة:

أن الختان يقوم بتعديل شهوة المرأة ولا ينسفها، وهذا يجعل المرأة هادئة غير عصبية المزاج ويجعلها حمراء اللون لا صفراء، وفي هذا تحقيق لقوله ﷺ **«فأنه أنضر للوجه»**.

الفائدة الخامسة:

الختان يطيل اللذة الجنسية تحقيقاً لقوله ﷺ: **«فإن ذلك أحظى للمرأة»**.

الفائدة السادسة:

الختان يمنع الإصابة بسرطان الرحم، وسلس البول، وعديد من الأمراض التناسلية، يقول الدكتور صبري القناوي:

دلت الإحصاءات على أن نسبة الإصابة بسرطان الرحم عند زوجات المسلمين أقل بكثير من نسبتها عند زوجات غير المختونين، وإذا أسرعنا بختان

الطفل الذكر فتمنع الإصابة بسلس البول الليلي الذي يصيب كثيراً من الأطفال في فراشهم ليلاً[1].

الفائدة السابعة:

الختان الصحيح للأنثى يطيل اللذة الجنسية عند الرجل، ويجعله أكثر استمتاعاً بزوجته تحقيقاً لقوله ﷺ: «**وأحب إلى البعل**».

الفائدة الثامنة:

الختان يعتبر عاملاً هامًا لتقليل الانحراف الخلقي، لذلك الإناث في البلاد الإسلامية ينتشر فيهن العفاف والطهارة، وعلى النقيض تمامًا في بلاد الغرب من انتشار الخنا، والرذيلة، والسحاق، واللواط، مما أنتج أمراضًا جنسية فتاكة كالزهري والسيلان، والإيدز.

الفائدة التاسعة:

الختان للإناث زينة لأن الزينة؛ أخذ الزوائد والختان الصحيح يكون بأخذ الزائد من البظر[2].

وقت الختان للذكر والأنثى:

اعلم أيها القارئ الكريم أن الذكر غير الأنثى في هذا الباب؛ لأن أعضاء الختان عندها لم تكتمل نموًا يستحق إجراء هذا الأمر، لذلك يجب أن تعطى الفرصة لنمو أعضاء الإناث، و عليه فالوقت المناسب للأنثى إن كانت سوية هو ابتداء من ثماني سنوات، وإن كانت الأنثى نموها بطيء غير مألوف يكون أعلى من ذلك، وإن كان نموها سريعاً يكون أدنى من ذلك.

قال الليث بن سعد: الختان ما بين السبع سنين إلى عشر سنين.

ويقول زيد بن أسلم: يؤخر في الجارية إلى ثماني سنين.

ويقول النووي: والصحيح من مذهبنا أن الذي عليه الجمهور من أصحابنا أن الختان جائز في حال الصغر ليس بواجب -يقصد للذكور- ولنا وجه: أنه

---

(١) طبيبك الخاص (١٧٧/١٠٠٤).

(٢) هذه الفوائد مجموعة من كتاب الفقه والعلم.

يجب على الولي أن يختن الصغير قبل بلوغه، وإذا قلنا بالصحيح يوم السابع من ولادته[1].

وقال الماوردي: «وللختان وقتان: وجوب، واستحباب، وقت الوجوب: بعد البلوغ، ووقت الاستحباب: قبل البلوغ، والاختيار أن يكون الختان في يوم السابع من الولادة للذكر».

فقد أخرج أبو الشيخ والبيهقي عن جابر «أن النبي ﷺ ختن حسنًا، وحسينا لسبعة أيام».

فإن أخر عن ذلك ففي الأربعين، فإن أخر ففي السنة السابعة.

وقال إمام الحرمين: لا يجب الختان قبيل البلوغ لأن الصبي ليس من أهل العبادة المتعلقة بالبدن، فكيف مع الألم.

وقال أبو الفرج السرخسي: فالختان في حال الصغر مصلحة؛ لأن الجلد بعد التميز يغلظ ويخشن، فمن ثم يجوز الختان قبل ذلك.

قلت: وأيًا ما كان الأمر فإنه ينبغي على الأهل أن يتخيروا الوقت المناسب للختان من حيث الجو، والصحة الخاصة بالمولود ذكرًا كان أو أنثى، مع الرجوع إلى أهل التخصص والأطباء الموثوق في دينهم، وعلمهم، بشرط أن لا يتجاوز البلوغ في الذكر والأنثى.

وقد أكد الأطباء من أهل التخصص ما قاله العلماء: فيقول الدكتور البربري وهو من كبار المتخصصين في هذا الموضوع: لا شك أن إجراء عملية الختان بعد الولادة مباشرة تشكل خطورة بالغة على حياة الطفل الرضيع بعد ستة أيام من ولادته، وتكتمل مكوناتها بعد خمسة عشر يومًا على الأكثر، وبناء على ذلك فإن الأطفال التي تجرى لهم عملية الختان بعد الولادة بيوم واحد أو يومين يكونون عرضة للنزيف الدموي الحاد الذي قد يذهب بحياتهم.

ولهذا ننصح بإجراء عملية الختان في اليوم الرابع عشر من ولادة الطفل، ولا يتعدى الشهور الثلاثة من عمر الطفل؛ لأن الإحساس والإدراك عند الطفل

---

(١) المجموع للنووي (١/٣٥٧).

يبدأ من ثلاثة أشهر بعد الولادة، كما أن الجرح يلتئم بسرعة[١].

القدر الذي يؤخذ في ختان الذكر والأنثى:

قال أبو البركات: ويؤخذ في ختان الرجل جلدة الحشفة، وإن اختصر على أخذ أكثرها، ويستحب للخافضة حين خفض الجارية أن لا تحف، نص عليه.

ويقول ابن الصباغ: إن الواجب على الرجل أن تقطع الجلدة التي على الحشفة حتى تنكشف جميعاً، وأما المرأة فلها عذرتان، أحدهما بكارتها، والأخرى هي التي يجب قطعها، وهي كعرف الديك في أعلى الفرج بين الشفرين، وإذا قطعت تبقي كالنواة.

ويقول الجويني: المستحق من الرجال قطع القلفة، وهي الجلدة التي تغطي الحشفة والقدر المستحق من النساء ما يطلق عليه الاسم قال في الحديث ما يدل على الأمر بالإقلال قال ﷺ: «**أشمي ولا تنهكي**»، ومعنى أشمي: اتركي الموضع مرتفعاً بعد القطع[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وختانها أن تقطع أعلى الجلدة التي كعرف الديك، قال رسول الله ﷺ للخافضة: «**أشمي ولا تنهكي فإنه أبهى للوجه وأحظى عند الزوج**».

والمعنى: لا تبالغي في القطع، وذلك أن المقصود بختان الرجل تطهيره من النجاسة المتبقية في القلفة، والمقصود في ختان المرأة بتعديل شهوتها، فإنها إن كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة، ولهذا يقال في المشاتمة يا ابن القلفاء، فإن القلفاء تتطلع إلى الرجال أكثر، ولهذا فإن الفواحش في نساء الإفرنج أكثر، وإذا حصل المبالغة في الختان ضعفت الشهوة فلا يكمل مقصود الرجل، فإذا قطع من غير مبالغة حصل المقصود[٣].

---

(١) الختان ورأي العلم والدين.

(٢) تحفة المودود لابن القيم.

(٣) مجموع الفتاوى (١/٥١/٥٢) والفتاوى الكبرى مسألة (١٩/٢٠/٢١).

شروط الختان الصحيح للإناث

من خلال الاطلاع على أقوال الفقهاء والعلماء والأطباء نستطيع استقراء شروط ختان الأنثى الصحيح، وهذا أيضًا يشمل الذكور، وهذا هو الختان الإسلامي المطلوب وهذه الشروط كالتالي:

الأول: أن يقوم بإجراء جراحة الختان أهل الاختصاص من الأطباء المهرة المدربين، ومن كان في عرفهم ورخص لهم من جهات الاختصاص بعد اجتيازهم الاختبارات التي تسمح له بالقيام بمثل هذا الأمر.

الثاني: يلزم مع هذه المهارة دين وتقوى وورع وصلاح وأمانة، واطلاع على أقوال العلماء والفقهاء في حكم عملية الختان وصفتها، فهذا يجعل الخاتن أصلح وأفضل.

الثالث: استخدام الوسائل الطبية الحديثة، ومستجدات العلم الحديث لتخفيف الألم، وتطهير الجروح، والقيام بعملية الختان بأفضل وأمثل الطرق وأحسنها.

الرابع: أن يتم ختان الأنثى في سرية تامة، لأن حال النساء عامة في الشريعة الإسلامية على الستر بعكس ختان الذكر، وذلك رفعة لها وعدم خدش حيائها.

الخامس: بالنسبة لختان الأنثى أن لا يزيد سن هذه العملية على ثماني سنوات لمن استوى عودها، واشتد نموها، وإلا فعشر سنوات حتى يتم إجراء مثل هذه الجراحة بأمان تام، ولا سيما حال نضوج البظر إلى نموه المناسب.

السادس: شرط هام جداً، وهو أن يتأكد الجراح أو الطبيب أن البظر طويل، وفيه الزيادة الواردة في النصوص الشرعية قبل إجراء عملية الختان، فإن لم يجد ذلك فلا تستحق أن تختتن، ولا تجرى لها عملية الختان.

السابع: على ولي الأمر أن يذكر الطبيب القائم على هذه العملية بحديث النبي ﷺ ، وأن لا يحيف على هذه الزيادة وكذلك تذكيره بهذه الآداب الواردة في الشرع، فهذا يعينه على إحراء الجراحة بأمان تام.

شبهات حول ختان الإناث والرد عليها

جمعت لك في هذا الفصل معظم الشبهات والرد عليها، فلا يبقى حجة لقائل إن شاء الله تعالى، ووضعتها لك في نقاط سريعة لإتمام الفائدة، فأقول وبالله تعالى التوفيق والسداد.

الشبهة الأولى:

قالوا: إن ختان الإناث يسبب البرود الجنسي، مما يدعو بعض الأزواج إلى استعمال المكيفات والمخدرات.

الرد على الشبهة:

نقول: هل هذا الكلام ناتج عن أبحاث علمية موثقة، وموثوق في أمانة أصحابها العلمية، والدينية، وبعيد عن مستوى الشبهة ومخططات تغريب الأمة، أو لهؤلاء أغراض أخرى، وتنفيذاً لقرارات المؤتمرات المشبوهة كمؤتمر السكان، وأمثاله، مع العلم أن الشريعة تأمر بقطع بعض البظر لا كله مما يحدث الاعتدال لا التضييع بالكامل، وأحيلك إلى فتوى الشيخ/ عطية صقر، فقد رد على ذلك، ثم إن عملية الختان تتم منذ مئات السنين، بل الذين يدعون إلى ذلك الهراء، أمهاتهم مختتنات، فلم الشكوى إذًا؟!!

الشبهة الثانية:

وهي أعظم الشبه، وتقول: إن النبي ﷺ لم يختن بناته.

يقول الشيخ/ مصطفى محمد سلامة في الرد على هذه الشبهة:

أولاً: من أين لك يا صاحب الشبهة بهذا الوصف الذي ذكرته؟

فإن قلت بخبر، فأنت كاذب، وأتحداك أن تأتي بنص يتضمن هذا المعنى.

ثانيا: إن عدم علمك بختنهن ليس علماً بالعدم.

ثالثًا: أنهن من المختونات لدخولهن تحت قوله ﷺ: «**إذا التقى الختانان وجب الغسل**».

الشبهة الثالثة:

قالوا: إنها عادة جاهلية فرعونية وحشية.

الرد على الشبهة:

أولاً: نقول: إن الإسلام جاء وأقر عادات كانت في الجاهلية ووجدها صحيحة لا تنافي الشريعة، كالمضاربة كانت في الجاهلية وأقرها الإسلام.

ثانياً: أنت بذلك تصف هدي النبي ﷺ ، وإجماع الأمة على مشروعية الختان للذكر والأنثى بالجاهلية والفرعونية والوحشية، فهذا سب صريح للنبي وأصحابه وعامة الأمة، بل واتهام بأن جميع الأمة كانت على ضلالة في هذه المسألة، وقد أخبر النبي ﷺ بخلاف ذلك فقال: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**».

ثانيًا: أصل الختان سنة إبراهيمية إسلامية، كما بينا في النصوص السابقة، وليس عادة فرعونية، وإنما كانت الفراعنة تعرف الختان، وتقوم به للفوائد الصحية، وذلك هدى الفطرة، وأقول لكم لماذا لا تعظمون الفراعنة في هذه كما تعظمونهم في سائر ضلالهم؟ سؤال يحتاج إلى إجابة من لبيب.

رابعًا: كم من عادات جاهلية ذمها الإسلام وحرمها كالخمور والربا، الذي يقوم عليه اقتصاد البلاد، فأين أصواتكم بالتحريم، وتغيير الباطل، أم أن السماح للخمور بدخولها البلاد فضيلة ونحن لا نعلم؟ أفيدونا يرحمكم الله.

الشبهة الرابعة:

ختان الإناث يسبب لهن نزيفاً.

الرد على الشبهة:

أقول: هذا اتهام باطل للطب والأطباء مع التقدم العلمي الملموس، وعلو مستواهم العلمي، وإقرار منكم بعدم صلاحيتهم لإجراء مثل هذه الجراحة الصغيرة فضلاً عن الجراحات الكبيرة والخطيرة مع العلم أن كثيراً من العمليات الجراحية تسبب نزيفاً، ويعالجه الأطباء بسهولة فهم أهل التخصص والآن ما هو قولكم؟

الشبهة الخامسة:

عملية الختان تسبب صدمة نفسية للأنثى.

الرد على الشبهة:

نقول: عجيب قولكم: أين الدراسات العلمية، والأبحاث الاجتماعية الميدانية الدالة على ذلك، ثم إن الختان يتم في عمر ثماني أو سبع سنوات، ولا يعلم الأطفال هذا الهراء النفسي الذي تزعمونه، وإن لم يكن عندكم دليل، فلا صحة في ادعائكم.

الشبهة السادسة:

إن الذين يقومون بهذا العمل ليسوا من أهل الاختصاص.

الرد على الشبهة:

أقول: نحن معكم ونوافقكم.

والسؤال لكم الآن: لماذا أصدر وزير الصحة قراراً بمنع عملية الختان في المستشفيات العامة، والعيادات الطبية العامة والخاصة، أليس هذا تحريضاً للجهال، وزيادة لنشاطهم أفيدونا يا أصحاب العقول رحمكم الله.

الشبهة السابعة:

الختان للإناث يحدث مشاكل للدورة الشهرية.

الرد على الشبهة:

قلنا: عجيب قولكم، وإنما هذا من وحي شيطانكم، لم نسمع بهذه الشكوى من قبل، ومعلوم أن الدم يخرج من ثقوب صغيرة ضيقة من خلال غشاء البكارة، وهذه الثقوب على شكل هلالي صغير، يخرج منها الدم فلا علاقة طبية بين الختان وبين مشاكل الدورة، وأن البظر موضعه خارج الرحم فاعتبروا يا أولي الأبصار.

الشبهة الثامنة:

يقول الدكتور/ أحمد عمر هاشم -رئيس جامعة الأزهر- ما نصه: الختان كان موجوداً كعادة قبل الإسلام وبعده، وآراء العلماء فيه فيها اختلاف شديد، والطب أكد ضرر هذه العادة لذا سنأخذ برأيه، وأتحداك أن تأتي بحديث يدعو إلى الختان.

وللرد على الشبهة: نقول:

أولاً: ونحن كذلك نتحداك أن تأتي ببحث طبي موثوق به يدل على ما قلتم، وإنما ما قلتموه أضحوكه بين الأطباء الأمناء.

ثانياً: قولك: (أتحداك أن تأتي بحديث واحد يدعو إلى الختان) أدعوك أنت والقارئ الكريم في التمعن في قراءة الرسالة والدراسات التخريجية للأحاديث يتبين لك الحق من الباطل.

ثالثًا: الاختلاف الدائر بين العلماء ليس في المشروعية فهذا متفق ومجمع عليه، وإنما الاختلاف في الوجوب والندب، فكلامك غير منضبط علمياً، ثم إني أدعوك إلى الرجوع إلى فتاوى لجنة الفتوى ففيها إعانة لك على فهم المسألة.

رابعًا: وأخيرًا: أذكر دليلاً على بطلان ما قلت من كلامك أنت، بل أجعل شبهتك إن شاء الله دليلاً على مشروعية ختان الأنثى، وذلك للأسباب الآتية:

١- تعلم أن الحديث هو ما أضيف للنبي ﷺ من قول وفعل وتقرير، وأنت بارع في مادة الحديث كما نعلم، وهذه شهادة حق نذكرها.

٢- تعلم يقيناً النصوص الدالة على أن النبي ﷺ ما ترك شراً يأتي على هذه الأمة إلا وقد حذر منه.

٣- ذكرتم فضيلتكم أن الختان موجود كعادة قبل الإسلام وبعده، إذًا لا تستطيع أن تنكر أن النبي ﷺ وسائر الأمة قد أقر هذه العادة، وهنا نسألك هل أقر النبي ﷺ عادة مضرة بالأمة؟ حاشا وكلا، إذًا الختان سنة تقريرية صحيحة، وبالوصف (بالنص إذا تمت عملية الختان بالشروط الصحيحة) الذي جاء في حديث أم عطية وحديث ميمونة وغيرهم.

إذًا نقول من خلال كلامكم: الختان سنة نبوية لا عادة جاهلية. والله المستعان.

خلاصة القول

قلت: تقرر لدينا -بحمد الله تعالى- بعد هذه الأدلة الوافرة من أحاديث النبي ﷺ ، وإجماع الفقهاء على مشروعية ختان الأنثى بأن الختان سنة نبوية،

وشريعة سماوية، من شعائر ديننا الحنيف، بل يفرق به بين المسلم وغيره، وليس هو عادة جاهلية، أو إفريقية، أو وحشية أو فرعونية، بل هو معلوم عند العرب، وأقره النبي ﷺ ووضع له شروطاً لكي يصير ختانًا إسلاميًا صحيحًا، وأعظم هذه الشروط الاعتدال عند الخفض، وأخذ الزائد، فهو أحظى للزوج، وأبهى للزوجة، وقد أيدنا ما ذهبنا إليه بكثير من كلام الفقهاء والأطباء، وأيدناه أيضًا بفتويين للجنة الفتوى بالأزهر، إذًا نقول ونحن في ثقة تامة:

«إن ختان الأنثى شريعة وليس جريمة»

وإن ما أثير ما هو إلا محض ادعاءات كاذبة لا تستند إلى دليل شرعي، فضلاً عن أن يكون له أصل علمي طبي، وأيدنا كلامنا أيضًا بقول بعض رجال القانون، فكل من قال بخلاف هدي رسول الله ﷺ، وإجماع الأمة الإسلامية على مشروعية ختان الأنثى، فكلامه كلام حاطب ليل، لا قيمة له، ولن يسلم من المخالفة والمعارضة، بل هو محض افتراء وادعاء، وسير وراء المخططات التي تحاك لهذه الأمة المسلمة من أعدائها، وتحقيق لقرارات المؤتمرات المشبوهة، كمؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة ١٩٩٤م.

وختاماً أقول: أيها المسلمون هذا هو الدليل القاطع الدامغ على مشروعية ختان الأنثى، قلنا ذلك تبرئة لذمتنا، وإخلاصًا في نصحنا ونحن عالة على سلفنا الصالح، وعلمائنا الكرام الذين نقول بكلامهم، وننهل من علمهم، ونبلغ للناس ترياقًا شافيًا، وبلسمًا عذبًا، والله تعالى أعلى وأعلم وهو من وراء القصد، وهو مرتجانا وملاذنا، وإليه معادنا، ونسأله القبول والسداد، والهدى والرشاد، وأن يردنا إلى ديننا ردًا جميلاً وأن يعيدنا إلى إسلامنا عودًا حميدًا[1].

---

(١) راجع كتاب: هدي الرحمن في مشروعية ختان البنات والصبيان للأستاذ/ جمال محمد محمود.

تحذير المرأة
من بعض البدع في الاعتقادات[1]

تعود بين بعض الناس وبخاصة من هم على جهالة من أمر دينهم اعتقادات فاسدة لا أصل لها. والأمر المؤسف أن كثيراً من البيئات المثقفة يأخذهم شراك الجهل، فيتساقط عليهم غبار الغفلة، فيسبحون في تيه الجهالة، ويروجون معتقدات ليس لها أساس في دين الله الحنيف.

ومما يجعلنا نعجب من أمرهم أنهم يملكون عقولاً قد تعمقت في ثقافات وفنون راقية، ثم نراهم يضعفون أمام قوم من أهل الجهل والهوى.

وأرى أن المقام يطول لو وقفنا مع الاستقراء لجمع وحصر هذه المعتقدات، ولكن ذكر بعضها يفصح عما نراه على شاكلتها، لأن عقل المسلم لو نفض غبار الغفلة عن كاهله انضبط في كل أفكاره وبخاصة ما يتعلق بعلاقته بربه.. وإليك نماذج من هذه المعتقدات:

١ - نبذ التشاؤم والعدوى:

الطيرة: التشاؤم. قال الأزهري: وقيل للشؤم: طائر وطير وطيرة، لأن العرب كان من شأنها عياقة الطير وزجرها، والتطير ببارحها، ونعيق غربانها وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها فسموا الشؤم طائرا أو طيرا وطيرة لتشاؤمهم بها. وقد أبطلها دين الفطرة، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

فقد وصل غباء آل فرعون إلى أن الخير إن جاء إليهم فلأجلهم لأنهم مستحقوه، وإن يصبهم جدب وبلاء يتشاءموا بموسى وقومه، فرد الله عليهم بأن ما ينزل بهم بسبب شؤمهم وإفسادهم وما رتبه الله على ذلك عنده من

---

(١) كتاب السنة والبدعة للدكتور/ فؤاد مخيمر مع تغيير في العنوان.

عقوبات.

العلاج من الطيرة في ضوء ديننا الحنيف:

هذه العقيدة الجاهلية مقتها الإسلام، وجاء طبيب البشرية ﷺ فقرر العلاج الروحي والنفسي لتسلم العقول من هذا المعتقد الفاسد، ففي الحديث عن إسماعيل بن أمية عن عبد الرزاق، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا يسلم منهن أحد، الطيرة، والظن، والحسد؛ فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق**».

وفي حديث أبي هريرة عنه عن عدى مرفوعاً: «**إذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا**»، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك**». أخرجه أحمد، ورواه البيهقي في الشعب.

وقال عكرمة ﷺ: «**كنا جلوساً عند ابن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر**». هذا منهاج تربوي من سيد البشر ﷺ.

العدوى: انتقال المرض من إنسان أو حيوان إلى آخر بالمخالطة به أو بشيء من آثاره.

والهامة: بتخفيف الميم: كانت العرب تزعم أنها طائر يصيح على قبر القتيل قائلاً: اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره.

وقيل: هي البومة إذا وقفت على دار أحدهم يرى أنها ناعية له نفسه أو بعض أهله. وهذا معتقد فاسد لا أصل له، بل من تركة الجاهلية الأولى.

وقد نفى النبي ﷺ هذه الأشياء، لأنها لا تؤثر بطبعها من غير إضافة إلى الله تعالى، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، وفر من المجذوم فرارك من الأسد**».

وصفر: هو الشهر المعروف كانوا يتشاءمون بحلوله لتوهمهم أن فيه تكثر الدواهي والبلايا والفتن، أي: بعد انقضاء الأشهر الحرم.

التوفيق بين أول الحديث وآخره وثبوت أكله ﷺ مع المجذوم:

المراد نفي أي شيء يعدى بطبعه، لأن الأمراض لا تؤثر بطبعها من غير إضافة إلى الله تعالى، وذلك إبطالاً لاعتقادهم الفاسد، وقد أكل النبي ﷺ مع المجذوم ليبين لهم بفعله ﷺ أن الله تعالى هو الذي يمرض ويشفي ويعافي.

ونهاهم عن الدنو من المجذوم ليبين لهم أن هذه من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها.

ففي نهيه ﷺ إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلا أنها لا تستقل بنفسها، بل الله تعالى إن شاء سلبها خواصها فلا تفيد شيئاً، وإن شاء رتب عليها أثرها.

وبهذا يتبين لأصحاب العقول النابغة والثقافات الراقية أن الخلق والأمر لله وحده وكل ما يصيب الإنسان فهو من الله وحده، ولكن الأخذ بالأسباب للحيطة مع تسليم الأمر لله هو أصل في عقيدتنا.

الفأل: هو الشيء الصالح، والاسم الحسن، كأن يسمع المريض (يا سالم أو يا سلامة) والمكروب (يا فرج) والخارج إلى القتال (يا نصر).

والسامع لهذا يعتقد أنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يقدم ولا يؤخر، ولكن هذه فطرة في الإنسان يحب الخير، ويرتاح للبشرى.

ولذا كان النبي ﷺ يعجبه الاسم الحسن، والفأل الحسن، ويكره القبيح منها، وروى البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا طيرة، وخيرها الفأل. قالوا: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**».

أقول ينبغي ألا يفرط الناس في الفأل حتى لا يصل إلى الاعتقاد وألا يتوسعوا في معناه، فالاعتدال أصل في خلق المسلم - والله أعلم.

٢ - إتيان الكهان وتصديقهم ضلال وفساد في العقيدة:

لقد أرسل الله رسله صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين وأوحى إليهم بشرائع أممهم، وهم صفوة الخلق، وأقربهم إليه سبحانه، ومع ذلك حجب عنهم العلم بالغيب، لأنه من أخص خصائصه، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا

يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وينقل القرآن الكريم لنا موقف النبي ﷺ من العلم بالغيب، ومدى أدبه مع ربه كما علمه ووجهه: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فعندما يأتي بعد ذلك كاهن أو عراف يدعي علم الغيب، ويعتقد الناس فيه أو يصدقونه، فيترددون عليه فالآتي والمأتي إليه كلاهما ضال مضل.

وقد شدد رسول الله ﷺ في إتيان الكهان **الذين يدعون معرفة الغيب، أو إحضار المفقود.** فروى مسلم في صحيحه وأبو داود وغيرهما عنه ﷺ أنه قال: «**من أتى كاهناً وسأله عن شيء لن تقبل له صلاة أربعين يوماً، فإن سأله وصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد**» وللحديث روايات متعددة.

ومن ثم عد إتيان السحرة، وعمل السحر من المحرم، حتى قرر بعض العلماء أن الساحر لا توبة له، لأنه كلما أراد أن يتوب منعته الشياطين، قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أقول: إن من يجهل أمر دينه فيضل بعد أن بين الله له ورسوله ﷺ طريق الهداية فقد باء بغضب من الله تعالى ورسوله وملائكته، ذلك لأن الأمر خطير، لأنه يتصل بعقيدة المسلم، وما الذي يبقى له بعد فساد عقيدته؟.

إن كشف غطاء الجهل، وبزوغ نور العلم أضحى حجة على المسلم، فأقل شيء أنه يعلم ولا يجهل، ومن ادعى الجهل وهو يملك زمام العلم فلا يلومن إلا نفسه.

٣ - التشبه بالكفار فساد للعقيدة:

التشبه بالكفرة يكون في أمرين أمر يتصل بالعقيدة، وهذا تشبه خطير، وبخاصة إذا تمسك بتشبهه، وذلك مثل: تعليق الصليب على الصدر، أو رسمه على اليد أو الصدر، وغير ذلك مما يتصل بعقيدة أهل الصليب، فمن فعل هذا عامدا مُصرًا فقد خرج من ملة الإسلام ففي الحديث: «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

الأمر الثاني: تشبه في عادات أهل الصليب وأعيادهم، ومشاركتهم فيها، وذلك مثل: لبس دبلة الخطوبة في اليمين ثم نقلها إلى اليد اليسرى بعد الزواج، والتشبه بهم في صناعة أطعمتهم ومشاربهم، وكذلك اللباس، الذي نقول عنه: مودلات حديثة، ومعلوم أن أهل الكفر يرسلون إلينا الفساد مجملا فنكتب فيه كتبا مفصلة.

وأيضًا مشاركتهم في الأعياد كعيد القيامة، وإقامة عيد الميلاد مع إضاءة شموع بعدد سنوات العمر، وغير ذلك من العادات والأعياد التي استحدثها الناس تشبها بالقوم وليس لها سند في الكتاب ولا السنة.

فالمشاركة في هذه العادات والأعياد تعد بدعة ولا تخلو من إثم، والخروج منها يكون بالتوبة، وعدم العودة إلى فعلها؛ لأن مقتضى العلم بلا إله إلا الله محمد رسول الله يحتم على المؤمن أن يتأسى بالنبي محمد ﷺ في كل شيء وأن يصرف نفسه عن عادات الكافرين، وبخاصة إذا علمنا أن أصحاب العقائد الأخرى لا يتشبهون بعادات المسلمين، ولا يحتفلون بأعيادهم، فلماذا نضع أنفسنا في مواطن الخسة بعد أن حدد لنا الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ معالم ديننا الحنيف؟ ومنحنا العزة والخيرية بانتمائنا للإسلام. هدانا الله إلى ما يصلح به ديننا ودنيانا.

٤ - كثرة الحلف بالله تعالى يوقع في المحرمات:

من المحرمات التي قضى أهل العلم بحرمتها كثرة الحلف بالله تعالى، سيما في البيع والشراء، وانتشار ذلك بين الناس، وفي الأسواق الأمر الذي يؤدي إلى فساد معاملاتهم، لأنها مشوبة بالحرمة، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

المعنى: لا تكثروا من الحلف بالله فإنه أهيب للقلوب، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] وذم كثرة الأيمان فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم: ١٠]، وقال بعض المفسرين: لا تجعلوا

اليمين مبتذلة في كل حق وباطل. وإذا كان الأمر كذلك في عمومه فما بالنا إذا تعمد الحالف الكذب لكي يصدقه الناس، لا شك أن الإثم كبير، لأن هذه هي اليمين الغموس، تغمس صاحبها في النار؛ لأنه يكذب مع علمه أنه كاذب عف الله ألسنتنا عن الحرام.

٥ - سب الدين يؤدي إلى الخروج منه:

سب الدين يقع فيه كثير من الرجال والنساء، فإذا كان الذي يسب الدين يقصد الدين الإسلامي فقد خرج من الملة، وهو كافر مرتد بالإجماع، وقد قضى الفقهاء بفسخ زواجه، وتبطل عبادته، ويحل دمه، ففي الحديث: «**من بدل دينه فاقتلوه**» [رواه أحمد والبخاري عن ابن عباس].

فإن كان يقصد سب الدين بمعنى المعاملة، لأن الحديث يقول: «**الدين المعاملة**» وليس يقصد الإسلام، وسألناه عن نيته فقال: أقصد المعاملة ولا أسب ديني: فعندئذ يكون فاسقا، فيعرض عليه التوبة الفورية من ظاهر لفظه السيئ البشع.

ونظراً لخطورة هذا الأمر فإن التيقن من النية أمر واجب، لأننا إن كفرنا مسلما من غير كفر منه كفرنا، والمفروض حسن الظن حتى نتيقن الضد.

وقد قرر العلماء قاطبة أنه لو نطق إنسان بكلمة تحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها، وتحتمل الإيمان من وجه واحد حملناها على الإسلام لوجوب حسن الظن بالمسلمين.

ولخطورة هذا الأمر وشناعته يجب علينا أن نزجر الأطفال وغيرهم عن نطق هذا اللفظ الشنيع، ذلك؛ لأنه أصبح عادة على ألسنة الأطفال وكثير من الناس، ومن شب على شيء شاب عليه، والآباء والأمهات شركاء في المعصية لإهمالهم وعدم زجر أبنائهم من الصغر.

وكذلك الحال إذا كثر منه الحلف بالطلاق فيزيد وقوعه على مرتين وفي الثالثة لا تحل له إلا بعد أن تنكح زوجا غيره فيترك الأمر ويتمادى في حلف الطلاق من غير معايير، ثم ينجب أولاداً في هذا المناخ المظلم فينشأ الأولاد على الغلظة والكراهية، وشار ذلك قتل الولد أباه وأمه والعكس.

ومن ثم وجب على المسلم أن يتحرى اللفظ الذي يخرج منه ويعرض نفسه على بعض العلماء ليبحث له عن المخرج، ويدله على الطريق الصحيح. هدانا الله إلى ما يحصن بيوتنا.

٦ - الزار بدعة خرافية:

يطلق على الزار (الدقة) يبدو أنه من دق الطبول والدفوف ويقام طلبا لحضور الجن للعفو عن المريض، وهذه خرافة لا أصل لها وقد أفصح ربنا سبحانه عن موقف الجن من الإنس فقال عز من قائل: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦] أي: زادوهم تعبا ومرضا، وأرهقوهم بالتكاليف.

والصحيح أن الزار شهوة ضلالية يقيمها الشواذ من الرجال والنساء التماسا للهو والمتعة، فإقامته حرام، ويضاعف الذنب باختلاط الرجال مع النساء، وبخاصة إذا علمنا أن الذين يقومون على أمر الزار رجال، والنساء والرجال يحضرون للرقص وقد سماه بعضهم (الفكة) كأنهم مقيدون والزار ساحة لفك قيدهم، وقد يرتكب فيه من المنكرات ما لا يخفى.

والعلاج من هذا المرض العضال هو الصلة بالله عز وجل عن طريق تعمير القلوب والبيوت بقراءة القرآن الكريم، لأنها إن أضحت خاوية من القرآن الكريم استحوذ عليها الشيطان، أما إذا أحصنت بتلاوة القرآن وحفظه فلا يمسها شيطان أبدًا.

وماذا تنتظر النسوة والفتيات العاريات إلا أن يصحبهن الشيطان فيمسهن فيمرضن، وكذلك الرجال الذين يبارزون بالمعاصي هل لهم راع وقائد غير الشيطان، ألا فليفق الناس من غفلتهم ويعودوا إلى ربهم مؤدين العبادات كما أمر سبحانه راجين إياه العفو وتحصين الجسد من همز الشيطان ولمزه، وقانا الله وساوس الشيطان.

٧ - التمائم والأحجبة والرقى غير المشروعة بدع محرمة:

التميمة: خرزة كان أهل الجاهلية يعلقونها؛ يرون أنها تدفع عنهم الآفات.

والأحجبة: جمع حجاب يكتبها بعض الناس بقصد الحفظ من السحر ونزول الضرر.

واعتقاد هذا جهل وضلالة أبطله الشارع الحكيم، ونهى عنه، إذ لا مانع إلا الله؛ ولا دافع للآفات والعاهات غيره سبحانه.

روى الإمام أحمد وأبو يعلى بإسناد جيد، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا أودع الله له**».

وروى أبو داود عن عيسى بن حمزة قال: **دخلت على عبد الله بن حكيم وبه حمرة فقلت: ألا تعلق تميمة؟ فقال: نعوذ بالله من ذلك قال رسول الله ﷺ: «من علق شيئًا وكل إليه»**.

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، عن عبد الله بن مسعود ﷺ: **أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود فجذبه فقطعه، ثم قال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»**.

التولة: بكسر التاء وفتح الواو شيء شبيه بالسحر أو من أنواعه تفعله المرأة ليحببها إلى زوجها، وهذا وأمثاله حرام.

الطب بالرقى:

الطب بالرقى للاستشفاء من الآلام، والتحصن بها من العين مأذون فيه من صاحب الشرع الشريف، إذا كان ذلك بلفظ عربي مفهوم المعنى.

أما إن كانت الرقى بألفاظ لا يدري السامع معناها، فيجوز أن تكون دالة على سحر أو كفر، فهذا حرام شرعًا، صرح به الخطابي والبيهقي وغيرهما.

فمن الألفاظ المجهولة قولهم: **لمخيثا وشمخثا ويا عليهوش وكشهشلليوس وقطيهوج، وصحيطمغيليال ... وغيرها**، فهذه ألفاظ مجهولة لا يعرف لها معان ولا حقيقة ولا أصل، وأربابها يزعمون أنها من الأسماء العظام والأدعية

المستجابة، والحق أنها بعيدة عن الله، قريبة من الشيطان.

وأما ما ورد مشروعا، لأنه روي في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ فكثيرة منها: ما رواه البخاري، عن عائشة رضي الله عنها **أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضا، أو أتي به إليه قال:**

«أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغدر سقمًا».

وأخرج ابن السني والترمذي وأبو داود، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين يقول: **«أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»** ويقول: **«هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهما السلام»، والهامة:** كل ذات سم يقتل، جمعها: هوام، هذا، وفي الباب أحاديث كثيرة وفوائد عظيمة لمن أراد فليراجعها في كتاب الكلم الطيب لابن تيمية، والأذكار للنووي، والدين الخالص الجزء الثالث، والإبداع ص «٤٢٥ - ٤٢٨».

٨ - الكبسة عند النفساء اعتقاد فاسد:

من أوهام العامة تشاؤمهم من الدخول بنحو اللحم أو الباذنجان، أو البلح الأحمر، أو الذهب على المرأة في أيام نفاسها زاعمين أن ذلك يكبسها ويمنع من نزول اللبن للرضيع وقد يمنعها من الحمل مرة أخرى.

وكذلك أيضاً مقابلة النفساء لمثلها قبل نهاية شهر الوضع، فالنساء يعتقدون أن التي تسبق بالحمل تكبس الأخرى فلا تحمل ... وكل هذه أوهام وعقائد فاسدة لا أصل لها، لأن أمر الحمل وعدمه خاضع لأمر الله تعالى، وليس للبشر في ذلك دخل إلا سبب النكاح، والأوهام في هذا الباب كثيرة يمكنك مراجعتها في الإبداع[1].

٩ - زراعة الصبار عند القبور ورش الماء عليها جهل وضلال:

من العادات الخرافية التي لا أصل لها: زراعة الصبار عند القبور، ورش

---

(١) انظر: ص ٤٣٦ - ٤٣٩.

الماء على قبر المرأة التي تزوج زوجها بعد موتها حتى يطفئوا نار الغيرة منها كما يزعمون، وتحريم كنس المنزل عقب سفر أحد أهله خوفاً من ألا يرجع، وهذه أوهام وخرافات لا نعلم لها أصلاً.

وبعد ... فإن هذه أمثلة ونماذج وصور من أوهام وخرافات كثيرة من الناس، وجانب من اعتقاداتهم الفاسدة، أجد أن المقام هنا يطول بحصرها، ومن أراد مزيداً منها فعليه بكتاب الإبداع[1].

وهذه الاعتقادات فاسدة، بعضها يأخذ بيد صاحبها إلى الكفر والإشراك بالله، وبعضها الآخر يجعله في مصاف أهل الضلال، وأقل جرم من ورائها ارتكاب الآثام التي قد يصل بعضها إلى الكبائر.

والمسلم العاقل: هو الذي يتحرى المنهج الرشيد السديد الذي كان عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام فيقتفي أثرهم، وينطلق على طريقهم، لأنه سبيل الله الذي دعا إلى اتباعه سيد البشر ﷺ.

فالعقيدة الصحيحة تأخذ بيد صاحبها إلى الاتباع، وتصرفه عن الابتداع، لأنه لا يعمل إلا ما وجد له أصلاً في الكتاب أو السنة.

وعقيدة أهل الحق طريقها واضح مستقيم لا اعوجاج فيه، وقد فصلت القول فيها في أول هذا الفصل في هذا الكتاب.

والله وحده من وراء القصد.

---

(١) انظر: بدع الاعتقادات: (٣٣٨-٣٥٠) وخرافات العامة وأوهامهم ص(٤٢٠ ٤٤٨).

الفصل الثاني

أحوال أهل الجنة

من كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالى

أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها

ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها؛ ومسماها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى، وأسماء كتابه وأسماء رسله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار.

فالاسم الأول: «الجنة» وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون، والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، والجان وهي الحية الصغيرة الرقيقة ومنه قول الشاعر:

فذقت وجلت واسبكرت وأكملت ... فلو جن إنسان من الحسن جنت

أي لو غطي وستر عن العيون لفعل بها ذلك، ومنه سمي البستان جنة، لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً ﴾ [المجادلة: ١٦]، أي يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم، ومنه الجنة بالكسر الجن كما قال تعالى: ﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦]، ﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [الصافات: ١٥٨].

قالوا وهذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوا هذا القول بوجهين: **أحدهما:** أن النسب الذي جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجن

وبينه، **الثاني:** قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٨]. أي قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب، والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء، وإن الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦] وعلى هذا ففي الآية قولان:

أحدهما: قول مجاهد قال: قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات[1] الجن، وقال الكلبي: قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة. وقال قتادة قالوا صاهر الجن.

والقول الثاني هو قول الحسن قال: أشركوا الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه والصحيح قول مجاهد وغيره.

وما احتج به أصحاب القول الأول ليس بمستلزم لصحة قولهم فإنهم لما قالوا الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسبًا، بهذا الإيلاد وجعلوا هذا النسب متولدًا بينه وبين الجن وأما قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٨]، فالضمير يرجع إلى الجنة أي قد علمت الجنة إنهم محضرون الحساب، قاله مجاهد أي لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة: ١٨]، فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلاً لدعواهم الكاذبة وهذا التقدير في الآية أبلغ في إبطال قولهم من التقدير الأول فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة.

الاسم الثاني: «دار السلام» وقد سماها الله بهذا الاسم في قوله: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ ﴾ [يونس: ٢٥] وهي أحق بهذا الاسم فإنها دار السلام من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلمها وسلم أهلها ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ

---

(١) سروات جمع مؤنث مفرده سروة.

فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [يونس: ١٠] ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٧، ٥٨]. وسيأتي حديث جابر في سلام الرب تبارك وتعالى عليهم في الجنة، وكلامهم كلهم فيها سلام أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل، كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ [مريم: ٦٢]، وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ ﴾ [الواقعة: ٩٠، ٩١) فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه وقالوا أقوالا لا يخفى بعدها عن المقصود، وإنما معنى الآية والله أعلم فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين أي فسلامة لك كائنًا من أصحاب اليمين، سلموا من الدنيا وأنكادها ومن النار وعذابها، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، وهذا أول البشرى التي للمؤمن في الآخرة.

الاسم الثالث: «دار الخلد» وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا كما قال تعالى ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨][(١)]، وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤]، وقال: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥] وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] وسيأتي إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى.

الاسم الرابع: «دار المقامة» قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ

---

(١) غير مجذوذ اي غير مقطوع.

ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [فاطر ٣٤، ٣٥]، قال مقاتل أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبدًا لا يموتون ولا يتحولون منها أبدًا قال الفراء والزجاج المقامة مثل الإقامة يقال أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقامًا.

الاسم الخامس: «جنة المأوى» قال تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [فاطر: ١٥]، والمأوى مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به، وقال عطاء عن ابن عباس هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة؛ وقال مقاتل والكلبي هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء، وقال كعب جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء، وقالت عائشة رضي الله عنها وزر بن حبيش: هي جنة من الجنان، والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١) وقال في النار: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٩]، وقال: ﴿ وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [الجاثية: ٣٤].

الاسم السادس: «جنة عدن» فقيل هي اسم لجنة من الجنان والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن، قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [مريم: ٦١] وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [التوبة: ٧٢]، والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن فإنه من الإقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه قال الجوهري ومنه جنات عدن أي إقامة ومنه، سمي المعدن بكسر الدال لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء، ومركز كل شيء معدنه والعادن الناقة المقيمة في المرعي.

الاسم السابع: دار الحيوان، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والمراد الجنة عند أهل التفسير قالوا وإن الآخرة

يعني الجنة لهي الحيوان: لهي دار الحياة التي لا موت فيها، فقال الكلبي هي حياة لا موت فيها، وقال الزجاج: هي دار الحياة الدائمة وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة قال أبو عبيدة وابن قتيبة الحياة الحيوان قال أبو عبيد الحياة والحيوان والحي بفتح الحاء واحد، قال أبو علي يعني أنها مصادر فالحياة فعلة كالجبلة والحيوان كالنزوان والغليان والحي كالعي.

قال العجاج «كنا بها إذا الحياة حي» أي إذا الحياة حياة. وأما أبو زيد فخالفهم وقال: الحيوان ما فيه روح، والموتان والموات ما لا روح فيه. والصواب أن الحيوان يقع على ضربين: **أحدهما:** مصدر كما حكاه أبو عبيدة. **والثاني:** وصف كما حكاه أبو زيد وعلى قول أبي زيد الحيوان مثل الحي خلاف الميت، ورجح القول الأول بأن الفعلان بابه المصادر كالنزوان والغليان بخلاف الصفات فإن بابها فعلان كسكران وغضبان، وأجاب من رجح القول الثاني بأن فعلان قد جاء في الصفات أيضًا قالوا رجل ضميان للسريع الخفيف وزفيان قال في الصحاح: ناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الإرسال للسهم فيحتمل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] معنيين: **أحدهما:** أن حياة الآخرة هي الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها أي لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار فيكون الحيوان مصدرًا على هذا، **الثاني:** أن يكون المعنى أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت.

الاسم الثامن: «الفردوس» قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ ﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنها أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات وأصل الفردوس البستان والفراديس البساتين قال كعب هو البستان الذي فيه الأعناب،

وقال الليث الفردوس جنة ذات كروم يقال كرم مفردس أي معرش وقال الضحاك هي الجنة الملتفة بالأشجار وهو اختيار المبرد وقال الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب وجمعه الفراديس قال ولهذا سمي باب الفراديس بالشام وأنشد لجرير

فقلت للركب إذ جد المسير بنا يا عبد يبرين من باب الفراديس

وقال مجاهد: هذا البستان بالرومية واختاره الزجاج فقال هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية قال وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين قال حسان:

وإن ثـــواب الله على كل مخلد جـــنان من الفردوس فيها يخلد

الاسم التاسع: «جنات النعيم» قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (سورة لقمان الآية ٨) وهذا أيضًا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

الاسم العاشر: المقام الأمين قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان: ٥١]، والمقام موضع الإقامة والأمين الأمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد (والبلد الأمين)[1] الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى: : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان: ٥١] وفي قوله تعالى: ﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الدخان: ٥٥] فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها،

---

(١) البلد الأمين مكة المكرمة.

وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتًا.

الاسم الحادي عشر والثاني عشر: «مقعد الصدق وقدم الصدق»، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وجملة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه وموضع هذه اللفظة في كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق في الحديث والصدق في العمل، والصديق الذي يصدق قوله بالعمل، والصدق بالفتح الصلب من الرماح ويقال للرجل الشجاع إنه لذو صدق أي صادق الجملة وهذا مصداق هذا أي ما يصدقه ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالفة، ومنه صدقني القتال وصدقني المودة ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق وذلك كله للحق الثابت المقصود الذي يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذي لا شيء تحته وهو لا يتضمن أمرًا ثابتًا قط، وفسر قوم قدم صدق بالجنة، وفسر بالأعمال التي تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذلك، والتحقيق أن الجميع حق فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة، أي بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله وادخر لهم جزاءها يوم القيامة ولسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق، وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع وأنه ثناء بحق لا بباطل ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامنًا على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد فإنه لا يزال داخلاً في أمر وخارجًا في أمر فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق والله المستعان.

درجات الجنة

قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦] ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال: «فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا درجات منه قال هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عامًا».

وقال ابن المبارك أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تعالى ﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ قال بعضهم أفضل من بعض فيرى الذي قد فضل به فضله ولا يرى الذي هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة ثم أوقعه ثانيًا بدرجات فقيل الأولى بين القاعد المعذور والمجاهد، والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران ١٦٢، ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال ٦٢-٦٤).

وفي الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون**

أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[١] ولفظ البخاري في الأفق وهو أبين والغابر هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب، وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فائدتان.

إحداهما: بعده عن العيون.

والثانية: أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله والله أعلم.

وفي الصحيحين أيضًا من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في أفق السماء**»[٢].

وقال الإمام أحمد حدثنا فرات أخبرني فليح عن هلال يعني ابن علي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات**» قالوا يا رسول أولئك النبيون؟ قال: «**بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[٣] ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخاري في صحيحه وفي هذا الحديث «الغارب» وفي حديث أبي سعيد الخدري «الغابر»، وقوله الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غاربًا وبكونه طالعا وقد صرح بهذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك عن فليح بن سلمان عن هلال بن علي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل**

---

(١) رواه الشيخان والحاكم في مستدركه والترمذي.

(٢) رواه الشيخان والحاكم.

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده.

الدرجات، قالوا يا رسول الله أولئك النبيون؟ **قال بلى، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[١] وهذا على شرط البخاري.

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي** فيقال من هؤلاء؟ **فيقال هؤلاء المتحابون في الله عز وجل**»[٢].

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري أيضًا عن النبي ﷺ قال: « **إن في الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم**»[٣] وفي المسند عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه**»[٤] وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة.

وأما حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[٥] فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفي ضمن كل درجة درجة دونها.

ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم يقول: «**من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقًا على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه**، قلت يا رسول ألا أخرج فأوذن الناس؟ **قال لا، ذر الناس يعملون وإن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين**

(١) الحديث رواه الحاكم.

(٢) الحديث رواه أحمد بن حنبل في مسنده.

(٣) الحديث رواه أحمد بن حنبل في مسنده.

(٤) الحديث رواه أحمد في مسنده.

(٥) الحديث رواه البخاري.

السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس وعليها يكون العرش وهي أوسط شيء في الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة، وإذا سألتم الله فسلوه الفردوس» رواه الترمذي هكذا بلفظه.

وروي أيضًا من حديث عطاء عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة**» ثم ذكر نحو حديث معاذ وفيه أيضًا من حديث عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام**»، قال هذا حديث حسن غريب، وفيه أيضًا من حديث أبي سعيد يرفعه «**إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم**» ورواه أحمد بدون لفظة «في» كما تقدم وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة «في» وبدونها وإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها، وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار والله أعلم. ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير في السرعة والبطء، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريبًا للأفهام ويدل عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثني أبو هانئ التجيبي سمعت أبا علي التجيبي سمعت أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «**مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض أو أبعد ما بين السماء والأرض**، قلت يا رسول الله لمن؟ **قال للمجاهدين في سبيل الله**».

ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى في كتابه

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما يشرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه، والأزواج جمع زوج والمرأة زوج للرجل وهو زوجها هذا هو الأفصح وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] ومن العرب من يقول زوجة وهو نادر لا يكادون يقولونه وأما المطهرة فإن جرت صفة على الواحد فيجري صفة على جمع التكسير إجراء له مجرى جماعة كقوله تعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾ [التوبة: ٧٢] ﴿ قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ [سبأ: ١٨] ونظائره، والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فطهر باطنها من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها وظهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ قال عبد الله بن المبارك لنا ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: «**وهم فيها أزواج مطهرة، قال من الحيض والغائط والنخامة والبصاق**».

وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس مطهرة لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن، وقال ابن عباس أيضًا مطهرة من القذر والأذى، وقال مجاهد لا

يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يصقن ولا يتنخمن ولا يلدن، وقال قتادة مطهرة من الإثم والأذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم، وقال عبد الرحمن بن زيد المطهرة التي لا تحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام؟ قال وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما عصت قال الله إني خلقتك وسأدميك كما دميت هذه الشجرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٥١- ٥٦]. فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضًا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتًا والحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم الحوراء التي يحار فيها الطرف، وعين حسان الأعين.

وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون وقال الحسن الحوراء شديدة بياض العين شديدة سوداء العين، واختلف في اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس الحور في كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة الحور البيض وقال مقاتل الحور البيض الوجوه وقال مجاهد الحور العين التي يحار فيهن الطرف باديًا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الحور والبياض والتحوير التبييض والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين وفي الصحاح الحور شدة بياض العين من شدة

سوادها، امرأة حور بينة الحور.

وقال أبو عمرو الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور وإنما قيل النساء حور العين لأنهن شبهن بالظباء والبقر وقال الأصمعي ما أدري ما الحور في العين قلت خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظ ورد الحور إلى السواد والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد، والحور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبها واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، عين حوراء إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد والعين جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وامرأة عيناء والجمع عين والصحيح أن العين اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة، قال مقاتل العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع فمها وخرق أذنها وأنفها وما هنالك، ويستحب السعة منها في أربعة مواضع وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها وجبهتها، ويستحسن البياض منها في أربعة مواضع لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها ويستحب السواد منها في أربعة مواضع عينها وحاجبها وبنانها. ويستحب القصر منها في أربعة وهي معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام، قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله، وتستحب الرقة منها في أربعة خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها.

قوله تعالى ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ وزوّجنٰهم بحور عين ﴾ [الدخان: ٥٤] قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجًا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين وقال يونس قرناهم بهن وليس من عقد التزويج قال والعرب لا تقول تزوجت بها

وإنما تزوجتها قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ولو كان علي تزوجت بها لقال زوجناك بها وقال ابن سلام: تميم تقول تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاه الكسائي أيضًا وقال الأزهري تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة وقوله تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان: ٥٤] أي قرناهم وقال الفراء هي لغة في أزد شنوءة قال الواحدي وقول أبي عبيدة في هذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجاً لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال كان فردًا فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج «قلت» ولا يمتنع أن يراد الأمران معًا فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد أنكحناهم الحور ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن ٧٠-٧٤] وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع أحدها: هذا والثاني قوله تعالى في الصافات ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصافات: ٤٨] والثالث: قوله تعالى في ص: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [ص: ٥٢] والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقيل قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعد قال آدم حدثنا ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ قال يقول قاصرات الطرف على

أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات.

وقال منصور عن مجاهد قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وفي تفسير سعيد عن قتادة قال وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم.

وأما الأتراب فجمع ترب وهو لذة الإنسان قال أبو عبيدة وأبو إسحاق أقران أسنانهن واحدة، قال ابن عباس وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد الشباب والحسن وسمي الإنسان وقرنه تربه لأنه من تراب الأرض معه في وقت واحد والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم.

وقد اختلف في مفسر الضمير في قوله فيهن فقالت طائفة مفسرة الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام وقالت طائفة مفسرة الفرش المذكورة في قوله: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤] وفي بمعنى على وقوله: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٧٤] قال أبو عبيدة لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير حبل قط أي ما مسه وقال يونس تقول العرب هذا جمل ما طمثه حبل قط أي ما مسه وقال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية، والطميث هو الدم وفيه لغتان طمث يطمث ويطمث، قال الليث طمثت الجارية إذا افترعتها والطامث في لغتهم هي الحائض قال أبو الهيثم يقال للمرأة طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض فهي طامث، وقال في قوله الفرزدق:

خـــرجن إليّ لم يطمـــثن قبلي وهـــن أصـــح من بيض النعام

أي لم يمسسن قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه ألفاظهم وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتي أنشئن في الجنة من

حورها وبعضهم يقول -يعني نساء الدنيا- أنشئن خلقًا آخر أبكارًا كما وصفهن قال الشعبي نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقًا وقال مقاتل: لأنهن خلقن في الجنة، وقال عطاء عن ابن عباس: هن الآدميات اللاتي متن أبكارًا وقال الكلبي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان.

قلت ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من الحور العين، وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنسُ ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك قال أبو إسحاق: وفي هذه الآية دليل على أن الجن يغشى كما أن الإنس يغشى ويدل على أنهن الحور اللاتي خلقن في الجنة أنه سبحانه جعلهن مما أعده الله في الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها، ويدل عليه أيضًا الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢] ثم قال: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٧٤] قال الإمام أحمد والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور لأنهن خلقن للبقاء وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافرهم في النار وبوَّب عليه البخاري في صحيحه فقال باب ثواب الجن وعقابهم، ونص عليه غير واحد من السلف، قال ضمرة بن حبيب وقد سئل هل للجن ثواب؟ فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الإنسيات للإنس والجنيات للجن، وقال مجاهد في هذه الآية إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه والضمير في قوله: ﴿ قَبْلَهُمْ ﴾ للمّعنين بقوله متكئين وهم أزواج هؤلاء النسوة وقوله ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال الحسن وعامة المفسرين أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله: أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله يقول: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ إلا أن الياقوت حجر لو جعلت

فيه سلكًا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾

وقال تعالى في وصفهن ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢] المقصورات المحبوسات قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام وكذلك قال مقاتل وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهم في الخيام، وهذا معنى قول من قال قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم وذكره الفراء.

«قلت» وهذا معنى ﴿ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الصافات: ٤٨] لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقوله في الخيام على هذا القول صفة لحور، أي هن في الخيام وليس معمولاً لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا بأن يكن محبوسات في الخيام لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات وذلك أجمل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن في سفر وغيره إلى متنزه وبستان ونحوه فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت ويعرض لهن من الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها، وأما مجاهد فقال: مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ وقد تقدم وصف النسوة الأُوَل بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال.

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠] فالخيرات جمع خيرة

وهي مخففة من خيرة كسيدة ولينة وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه قال وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات».

الأبكارُ والعربُ الأتراب

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٨] أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر لأن الفرش دلت عليهن إذ هي محلهن وقيل الفرش في قوله: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٤] كناية عن النساء كما يكنى عنهن بالقوارير والأرز وغيرها ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا إلا أن يقال المراد رفعة القدر وقد تقدم تفسير النبي ﷺ للفرش وارتفاعها، فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء لأنها محلهن غالبًا قال قتادة وسعيد بن جبير: خلقناهن خلقًا جديدًا وقال ابن عباس يريد نساء الآدميات وقال الكلبي ومقاتل يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط يقول تعالى خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع «**هن عجائزكم العمش الرمض**» رواه الثوري عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عنه ويؤيده ما رواه يحيى الحماني حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ [الواقعة: ٣٥] **خلقًا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً وأول من يكسى إبراهيم خليل الله**، ثم قرأ النبي ﷺ :﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ قال آدم بن أبي إياس حدثنا شيبان عن الزهري عن جابر الجعفي عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله: ﴿ إِنَّآ

أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً ﴾ قال يعني الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة العجز فبكت عجوز فقال رسول الله ﷺ : أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز إنها يومئذ شابة إن الله عز وجل يقول:** ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً ﴾».

وقال ابن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن أليسع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة «أن النبي ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله ﷺ: «**إن الجنة لا يدخلها عجوز، فذهب نبي الله ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال ﷺ إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارًا**» وذكر مقاتل قولاً آخر هو اختيار الزجاج أنهن الحور العين التي ذكرهن، قيل أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة والظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى في الجنة إنشاء ويدل عليه وجوه.

أحدها: أنه قد قال في حق السابقين﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ ﴾ إلى قوله ﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: ١٧-٢٣] فذكر سررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم والظاهر أنهن مثل نساء من قبلهم خلقن في الجنة.

الثاني: أنه سبحانه قال: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك كقوله: ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٤٧] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الواقعة: ٦٢].

الثالث: أن الخطاب بقوله ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ [الواقعة: ٧] إلى آخره

للذكور والإناث النشأة الثانية أيضًا عامة للنوعين وقوله ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ ظاهر اختصاصهن بهذا الإنشاء وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هي أحق به منهن فالإنشاء واقع على الصنفين والله أعلم وقوله ﴿ عُرُبًا ﴾ جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن قال ابن الأعرابي العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه وقال أبو عبيدة العروب الحسنة التبعل «قلت» يريد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد:

وفي الحدوج[1] عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر

وذكر المفسرون في تفسير «العرب» أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك من ألفاظهم وقال البخاري في صحيحه عربًا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة «والعرب» المتحببات إلى أزواجهن هكذا ذكره في كتاب بدء الخلق وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة عربًا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة قلت فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفي قوله: ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ [الرحمن: ٥٦] إعلام بكمال اللذة بهن فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضًا.

(١) الحدوج: مراكب النساء

المتقين

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [النبأ: ٣١-٣٣] فالكواعب جمع كاعب وهي الناهدة قال قتادة ومجاهد والمفسرون قال الكلبي هن الفلكات اللواتي تكعب ثديهن وتفلكت وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب.

الغدوة في سبيل الله

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعني سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحًا ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب**» وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**».

وقال الطبراني حدثنا بكر بن سهل الدمياطي حدثنا عمرو بن هشام البيروني حدثنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: «قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ قال حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر، قلت أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ قال صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي، قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله

عز وجل ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ قال **خيرات الأخلاق حسان الوجوه**، قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ قال **رقتهن كرقة الجلد الذي رأيته في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقئ** قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ قال **هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصًا شمطًا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربًا متعشقات متحببات أترابًا على ميلاد واحد**. قلت يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال **بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة** قلت يا رسول الله وبم ذلك؟

قال **بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الأولان بيض الأولان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، طوبى لمن كنا له وكان لنا**، قلت يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال **يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقًا فتقول يا رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقًا في دار الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة** تفرد به سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدي عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلامًا ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال لا يعرف إلا بهذا السند».

وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا عمر بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديث الصور وفيه «**فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة**» وكان رسول الله ﷺ يقول: «**والذي بعثني بالحق**

ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنتين من ولد أدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله عز وجل في الدنيا يدخل على الأولي منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجًا من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصب الياقوت، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها، فبينا هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تَملُّ ولا تُمَلُّ إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن تكون له أزواج غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إليّ منك» هذا قطعة من حديث الصور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذي وابن ماجه وضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث وقال ابن عدي عامة أحاديثه فيها نظر وقال الترمذي ضعفه بعض أهل العلم وسمعت محمدًا يعني البخاري يقول هو ثقة مقارب الحديث وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة وشرحه الوليد بن الوليد بن مسلم في كتاب مفرد وما تضمنه معروف في الأحاديث والله أعلم وقال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو أن دراجًا حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء»** رواه الترمذي ولكن دراج أبو السمح بالطريق قال أحمد أحاديثه مناكير وقال النسائي منكر الحديث وقال أبو حاتم ضعيف وقال النسائي أيضًا ليس بالقوي وساق له ابن عدي أحاديث وقال عامتها لا يتابع عليها وقال الدارقطني ضعيف وقال مرة متروك وأما يحيى بن معين فقد وثقه وأخرج عنه

أبو حاتم بن حبان في صحيحه وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي بن المديني هو ثقة وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: «**ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك**».

وقال الفريابي أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد ابن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني**» قلت خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وهاه ابن معين وقال أحمد ليس بشيء وقال النسائي غير ثقة وقال الدارقطني ضعيف وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه وقال أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن حموية حدثنا أحمد بن حفص حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة قلنا يا رسول الله، أو له قوة على ذلك قال إنه ليعطى قوة مائة رجل» قلت أحمد بن حفص هذا هو السعدي وله مناكير والحجاج هو ابن أرطاة وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع وأنبأنا محمد بن أحمد بن هشام بن حسان السنجري ببغداد حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبان قال حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: «**قيل يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**» قال الطبراني لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفي قال محمد بن عبد الواحد المقدسي ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يحيى بن مسلم الرازي حدثنا هناد بن السري حدثنا

أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العمي عن ابن عباس قال: «قيل يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: «**والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء**» وزيد هذا قال فيه ابن معين صالح وقال مرة لا شيء وقال مرة ضعيف يكتب حديثه وكذلك قال أبو حاتم وقال الدارقطني صالح وضعفه النسائي وقال السعدي متماسك قلت وحسبه رواية شعبة عنه.

قوة المؤمن في الجنة

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان، وإما أن يراد أن يعطى قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة.

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال يعطى قوة مائة**» هذا حديث صحيح فلعل من رواه يفضي إلي مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات والله أعلم، ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضًا**».

النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار

ثبت في الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: «**أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة ألم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم**»[١] وما في الجنة عزب فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال وإن كن من الحور العين لم يلزم إن لم يكن في الدنيا أكثر.

والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد ابن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب**»[٢] فإن قيل فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه وشهدت مع رسول الله ﷺ العيد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة، قال فجعلت المرأة تلقي خاتمها، وخرصها والشيء كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالاً فجمع ما هناك: قال **إن منكن في الجنة ليسير**، فقالت امرأة يا رسول الله لم؟ قال: **إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**» وفي الحديث الآخر «**أن أقل ساكني الجنة النساء**»[٣] قيل هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين التي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار، أما كونهن

---

(١) الحديث رواه الشيخان.

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده.

(٣) الحديث متفق عليه.

أكثر أهل النار، فلما روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «**اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»[١].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[٢]. وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»[٣] وفي المسند أيضًا من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء**».

وفي الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن، قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الأيام لا تصلي وتفطر فهذا نقصان الدين**» وأما كونهن أقل أهل الجنة ففي أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله «أنه كانت له امرأتان فجاء من عند إحداهما فقالت الأخرى جئت من عند فلانه، فقال جئت من عند عمران بن حصين فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أقل ساكني الجنة النساء**» «فإن قيل» فما تصنعون بالحديث الذي رواه أبو يعلى الموصلي حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب

---

(١) الحديث رواه البخاري.

(٢) الحديث رواه الشيخان ومسلم عن أبي عباس.

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده.

القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديثاً طويلاً وفيه «**فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتها الله في الدنيا**» وذكر الحديث قيل هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث وقال ابن عدي أحاديثه كلها مما فيه نظر».

وأما البخاري فقال فيه ما حكاه الترمذي عنه قال سمعت محمدًا يقول فيه هو ثقة مقارب الحديث «قلت» ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته وأيضًا فالرجل الذي روى عنه القرظي لا يدري من هو. وقد روى عنه أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال «كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة في هودجها قال فمال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال كنا مع رسول الله ﷺ في هذا المكان فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان**» والأعصم من الغربان الذي في جناحه ريشة بيضاء قال الجوهري ويقال هذا كقولهم: إلا باق العقوق وبيض الأنوق، لكل شيء يعز وجوده، وفي النهاية الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين وقيل الأبيض الرجل أراد قلة من يدخل الجنة من النساء لأن هذا الوصف في الغربان قليل عزيز، وفي حديث آخر «**المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم**»، قيل وما الغراب الأعصم يا رسول الله؟ قال: **الذي إحدى رجليه بيضاء** وفي حديث آخر «**عائشة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان**».

ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ونزاهة ذلك عن المذي والمني والضعف وأنه لا يوجب غسلاً

قد تقدم حديث أبي هريرة قيل يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: «**إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**»[1] وإن إسناده صحيح وتقدم حديث أبي موسى المتفق على صحته: «**إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً له فيها أهلون يطوف عليهم**» وحديث أنس: «**يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء**» وصححه الترمذي وروى الطبراني وعبد الله بن أحمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال: «يا رسول الله على ما يطلع من الجنة؟ قال **على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة** «قلت» يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات؟ قال: «**الصالحات للصالحين تلذذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلذذكم، غير أن لا توالد**»[2] وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا رسول الله أنطأ في الجنة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده دحمًا دحمًا فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا**» وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا يعلي بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا**» قال الطبراني لم يروه عن عاصم إلا شريك

---

(١) انظر إعلام الموقعين لابن القيم.

(٢) الحديث.

تفرد به يعلى قال الطبراني وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ وسئل «**هل يتناكح أهل الجنة؟ قال بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحمًا دحمًا**».

قال الطبراني وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل: «**أيجامع أهل الجنة؟ قال دحًا دحًا ولكن لا مني ولا منية**» اي لا إنزال ولا موت وقال أبو نعيم حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقري حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة ابن راشد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: «**هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال نعم والذي بعثني بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع**» وقال الحسن بن سفيان في مسنده حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال سئل رسول الله ﷺ: «**هل ينكح أهل الجنة؟ قال أي والذي بعثني بالحق دحمًا دحمًا وأشار بيده ولكن لا مني ولا منية**» وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ [يس: ٥٥] قال في افتضاض الأبكار وقال عبد الله بن أحمد حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميد قال: حدثنا يعقوب بن عبد الله حدثنا حفص بن حميد عن بشر بن عطية عن شفيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ قال شغلهم افتضاض العذارى وقال الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا العباس بن الوليد أخبرني شعيب عن الأوزاعي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ [يس: ٥٥]، قال شغلهم افتضاض الأبكار قال مقاتل شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم. وقال أبو

الأحوص شغلوا بافتضاض الأبكار عن السرر في الحجال وقال سليمان التيمي عن أبي مجلز قلت لابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ ما شغلهم؟ قال افتضاض الأبكار وقال ابن أبي الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الواحد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن العباس ﴿ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ قال في افتضاض العذارى حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير «إن شهوته لتجري في جسده سبعين عامًا يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهر ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطؤهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه» وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن أكل من صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي ﷺ : «**إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**» فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حرمها هناك كما نعى سبحانه على من أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله «أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال ما هذا!؟ قال لحم اشتريته لأهلي بدرهم، فقال أو كلما اشتهى أحدكم شيئًا اشتراه!! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٠]».

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال حدثنا الحسن قال: «قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى على عمر فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة وربما وافقناها مأدومة بالسمن وربما وافقناها مأدومة بالزيت وربما وافقناها مأدومة باللبن وربما وافقناها القلائد اليابسة قد دقت ثم أغلي بها وربما وافقناها اللحم العريض وهو قليل، فقال ذات يوم إني والله قد أرى تقذيركم وكراهيتكم لطعامي إني والله لو شئت لكنت من أطيبكم طعامًا وأرقكم عيشًا ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عير قومًا بأمر فعلوه فقال**

أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها هنا حرمها هناك أو نقص كمالها فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبدًا» والله أعلم.

ذكر اختلاف الناس هل في الجنة

حمل وولادة أم لا؟

قال الترمذي في جامعه حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن عامر الأحول عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي**» قال هذا حديث حسن غريب وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد هكذا روي عن طاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي وقال محمد يعني البخاري قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ: «**إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي ولكن لا يشتهي**» قال محمد وقد روي عن أبي ذر بن العقيلي عن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد**».

وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو ويقال بكر بن قيس انتهى كلام الترمذي قلت إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جدًا وتأويل إسحاق فيه نظر فإنه قال إذا اشتهى المؤمن الولد وإذا للمتحقق الوقوع ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة فإن ما لا يكون أحق بأداة لو، كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة إذا، وقد قال أبو نعيم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الخدري قال: «**قيل يا رسول الله أيولد لأهل الجنة فإن الولد من تمام السرور؟ فقال نعم والذي نفسي بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه**».

الفصل الثالث

أحوال أهل النار والعياذ بالله تعالى

أخذناه من التذكرة للإمام القرطبي رحمه الله تعالى

باب في ذكر أبواب جهنم وما جاء فيها وفي أهوالها وأسمائها أجارنا الله منها برحمته وفضله إنه ولي ذلك والقادر عليه[1]

ذكر الله عز وجل النار في كتابه، ووصفها على لسان نبيه ﷺ، ونعتها، فقال عز من قائل: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦] الشوي: جمع شواة، وهي جلدة الرأس، وقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٧-٢٩]. أي مغيرة. يقال: لاحته الشمس ولوحته، إذا غيرته، وقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ١٠، ١١]، وقال: ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴾ [الهمزة: ٤]، أي ليرمين فيها، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴾ [الهمزة: ٥] الآية.

ذكر ابن المبارك عن خالد بن أبي عمران بسنده إلى النبي ﷺ قال: «**إن النار لتأكل أهلها، حتى إذا طلعت على أفئدتهم انتهت، ثم تعود كما كانت، ثم تستقبله أيضًا، فتطلع على فؤاده، وهو كذلك أبدًا**»[2]، فذلك قوله تعالى: ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾ [الهمزة: ٦] الآية، وقال: ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١٢]، أي أوقدت وأضرمت، وقال: ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]، وقال: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥]، وقال:

---

(١) هذا الفصل أخذناه من التذكرة للقرطبي رحمه الله.

(٢) انظر طرف الحديث في الزهد لابن المبارك (٨٧/٢)، تفسير القرطبي (١٨٥/٢٠).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ [فاطر: ٣٦] الآية، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥]، وسيأتي بيان هذا.

فأوعد بها الكافرين، وخوف الطغاة والمتمردين، والعصاة من الموحدين، لينزجروا عما نهاهم عنه، فقال وقوله الحق: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾ [الزمر: ١٦]، والآي في هذا المعنى كثير، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء أن النار لما خلقت فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها

ذكر ابن المبارك قال: أخبرنا معمر، عن محمد بن المنكدر قال: لما خلقت النار فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها، فلما خلق الله آدم سكن ذلك عنهم، وذهب ما كانوا يجدون[(١)].

وقال ميمون بن مهران: لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة، فلم يبق في السموات السبع ملك إلا خر على وجهه، فقال لهم الجبار جل جلاله، ارفعوا رءوسكم، أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي، وخلقت جهنم لأهل معصيتي من خلقي؟ فقالوا: ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧]، فالنار عذاب الله، فلا ينبغي لأحد أن يعذب بها، وقد جاء النهي عن ذلك، فقال: لا تعذبوا بعذاب الله، والله أعلم.

(١) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٢٣١).

باب ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها

ابن وهب، عن زيد بن أسلم، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه إسرافيل فسلما على النبي ﷺ، وإذا إسرافيل منكسر الطرف متغير اللون، فقال النبي ﷺ: «**يا جبريل ما لي أرى إسرافيل منكس الطرف متغير اللون**»، قال: لاحت له آنفا حين هبط لمحة من جهنم، فذلك الذي ترى من كسر طرفه.

ابن المبارك قال: أخبرنا محمد بن مطرف، عن الثقة، أن فتى من الأنصار دخلته خشية من ذكر النار، فكان يبكي عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك في البيت، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فجاءه في البيت فلما دخل النبي ﷺ اعتنقه الفتى فخر ميتًا، فقال النبي ﷺ: «**جهزوا صاحبكم، فإن الفرق من النار قد فلذ كبده**»[1].

وروي أن عيسى عليه السلام مر بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان، عليهم مدارع الشعر والصوف، فقال عيسى عليه السلام: ما الذي غير ألوانكم معاشر النسوة؟ قلن: ذكر النار غير ألواننا يا ابن مريم، إن من دخل النار لا يذوق فيها بردًا ولا شرابًا، ذكره الخرائطي في كتاب القبور.

وروي أن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣]، فر ثلاثة أيام هاربًا من الخوف لا يعقل، فجيء به إلى النبي ﷺ، فسأله فقال له: يا رسول الله، أنزلت هذه الآية قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، فوالذي بعثك بالحق نبيًا، لقد قطعت قلبي، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥] الآية. ذكره الثعلبي وغيره.

---

(١) انظر طرف الحديث في: المستدرك للحاكم (٢/٤٩٤)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٢٦٢)، السلسلة الضعيفة للألباني (٣٦٥)، كنز العمال للمتقي الهندي (٥٩٠٠).

باب من جاء فيمن سأل الله الجنة واستجار به من النار

الترمذي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار بالله من النار ثلاث مرات، قالت: النار: اللهم أجره من النار**»(١).

وروى البيهقي، عن أبي سعيد الخدري، أو عن ابن حجيرة الأكبر، عن أبي هريرة، أن أحدهما حدثه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم، اللهم أجرني من حر نار جهنم، قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي استجار بي منك، وإني أشهدك أني أجرته، وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء والأرض، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم، قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي قد استجار بي منك، ومن زمهريرك، أشهدك أني قد أجرته»، فقالوا: وما زمهرير جهنم؟ قال: «جب يلقى فيه الكفار، فيتميز من شدة برده بعضه من بعض»(٢).

باب في ما تقرر من الكتاب والسنة

تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة من النيران، وذلك يكثر إيراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغني عن ذكر ذلك، ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصوم يومًا في**

---

(١) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٧٢)، سنن النسائي (المجتبى ٨/٢٧٩)، سنن ابن ماجه (٤٣٤٠)، المستدرك للحاكم (١/٥٣٥)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٤٥١)، مشكلة المصابيح للتبريزي (٨/٢٤٧)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٢١٩)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/٣٧٨).

(٢) انظر طرف الحديث في: البيهقي في الأسماء والصفات (صـ ١٧٧).

سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»[1].

خرجه النسائي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«من صام يومًا في سبيل الله، زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفًا»**[2]. وخرجه أبو عيسى الترمذي، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: **«من صام يومًا في سبيل الله، جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين المشرق والمغرب»**، ويروى: **«ما بين السماء والأرض»**[3]، قال: هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة.

وخرج الطبراني سليمان بن أحمد، حدثنا عمارة بن وثيمة المصري قال: حدثنا وثيمة بن موسى بن الفرات قال: حدثنا إدريس بن يحيى الخولاني، عن رجاء بن أبي عطاء، عن وهب بن عبد الله المعافري، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من ماء حتى يرويه، باعده الله من النار سبع خنادق، ما بين كل خندق مسيرة مائة عام»**[4].

وفي كتاب أبي داود عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، وعاد أخاه المسلم، بوعد من جهنم سبعين خريفًا»[5].

---

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب الصيام (١٦٧)، سنن النسائي (المجتبى ٤/١٧٣)، الدارمي (٢/٢٠٣)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٤/٢٥٣)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢/٨٦، ٢٦٦)، الدر المنثور (١/١٨٢، ٦٨٢).

(٢) انظر طرف الحديث في سنن الترمذي (١٦٢٢)، سنن النسائي (المجتبى ٤/١٧٢)، سنن ابن ماجه (١٧١٨)، مسند الإمام أحمد (٢/٣٠٠، ٣٧٥، ٣/٤٥، ٥٩، ٨٣)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢/٨٨)، الدر المنثور (١/١٨٢)، كنز العمال للمتقي الهندي (٢٣٥٩٤).

(٣) انظر طرف الحديث في سنن الترمذي (١٦٢٢، ١٦٢٤)، الطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٨١)، مجمع الزوائد للهيثمي (٣/١٩٤)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢/٨٦، ٨٩، ٢٦٦)، الدر المنثور للسيوطي (١/١٨٢)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٢٦٠٤)، أمالي الشجري (٢/٣٥)، السلسلة الصحيحة للألباني (٥٦٣).

(٤) انظر طرف الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمي (٣/١٣٠)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢/٦٥)، إتحاف السادة المتقين (٥/٢٢٣).

(٥) انظر طرف الحديث في: سنن أبي داود (٣٠٩٧)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٣١٩)، مشكاة المصابيح للتبريزي (١٥٥٢)، كنز العمال للمتقي الهندي (٢٥١٣٦).

قلت: يا أبا حمزة وما الخريف؟ قال: العام.

وفي الصحيحين، عن عدي بن حاتم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل»[(١)]. لفظ مسلم.

باب ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي؟

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥]، فالنار دركات سبعة، أي طبقات ومنازل، وإنما قال: أدراك ولم يقل: درجات؛ لاستعمال العرب لكل ما تسافل درك، ولما تعالى درج، فيقول: للجنة درج، وللنار درك، فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار، وهي الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنهم من أذى المؤمنين.

ابن وهب قال: حدثني ابن يزيد قال: قال كعب الأحبار: إن في النار لبئرًا ما فتحت أبوابها بعد مغلقة، ما جاء على جهنم منذ خلقها الله تعالى إلا تستعيذ بالله من شر ما في تلك البئر مخافة إذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله ما لا طاقة لها به، ولا صبر لها عليه، وهي الدرك الأسفل من النار.

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن خيثمة، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ قال: توابيت من حديد تصمت عليهم في أسفل النار[(٢)].

قال: وأخبرنا إبراهيم أبو هارون الغنوي قال: سمعت حطان بن عبد الله الرقاشي يقول: سمعت عليًا يقول: هل تدرون كيف أبواب جهنم؟ قال: قلت

---

(١) انظر طرف الحديث في صحيح مسلم كتاب الزكاة (٦٦)، صحيح البخاري (٨/١٤٠)، سنن الترمذي (٢٤١٥)، سنن ابن ماجة (١٨٤٣)، مسند الإمام أحمد (٤م٢٥٦)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢/١٠)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٤/١٦٥)، فتح الباري لابن حجر (١١/٤٠٠)، كنز العمال للمتقى الهندى (١٥٩٤٥)، البداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٦٧).

(٢) انظر طرف الحديث في: زوائد الزهد لابن المبارك (٣٠٠).

هي مثل أبوابنا هذه؟ قال: لا، بل هي هكذا بعضها فوق بعض[(1)].

وقال العلماء: أعلى الدركات جهنم، وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ ، هي التي تخلو من أهلها فتصفق الرياح أبوابها، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقد يقال للدركات: درجات؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ [الأحقاف: ١٩].

ووقع في كتب الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح.

قال الضحاك: في الدرك الأعلى: المحمديون، وفي الثاني: النصارى، وفي الثالث: اليهود، وفي الرابع: الصابئون، وفي الخامس: المجوس، وفي السادس: مشركوا العرب، وفي السابع: المنافقون.

وقال معاذ بن جبل: وذكر العلماء السوء: من العلماء من إذا وعظ عنف، وإذا وعظ أنف، فذلك في الدرك الأول من النار، ومن العلماء من يأخذ علمه بأخذ السلطان، فذلك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يخزن علمه، فذلك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من يتخير العلم والكلام لوجوه الناس، ولا يرى سفلة الناس له موضعًا، فذلك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم، فذلك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا، يقول للناس: سلوني، فذلك الذي يكتب عند الله متكلف، والله لا يحب المتكلفين، فذلك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً، فذلك في الدرك السابع من النار، ذكره غير واحد من العلماء.

قلت: ومثله لا يكون رأيًا، وإنما يدرك توقيفًا، ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم للنار كلها بجملتها، نحو جهنم وسقر ولظى وسموم، فهذه أعلام ليست لباب دون باب، فاعلم ذلك، وفي التنزيل: ﴿ وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾

(١) انظر طرف الحديث في: زوائد الزهد لابن المبارك (٢٩٤).

[الطور: ٢٧]، يريد: النار بجملتها، كما ذكرنا أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه، آمين.

باب ما جاء أن جهنم تسعر في كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة

أبو نعيم قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري قال: حدثنا علي بن بحر قال: حدثنا سوار بن عبد العزيز، عن النعمان بن المنذر، عن مكحول، عن عبد الله بن عمر، أن النبي ﷺ قال: «**إن جهنم تسعر في كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة، فإنها لا تسعر يوم الجمعة ولا تفتح أبوابها**»[١]، غريب من حديث عبد الله ومكحول، لم نكتبه إلا من حديث النعمان. قال المؤلف رحمه الله: ولهذا المعنى، والله أعلم، كانت النافلة جائزة في يوم الجمعة عند قائم الظهيرة، دون غيرها من الأيام، والله أعلم.

باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر: ٤٤]، وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر: ٧١].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سل السيف على أمتي**»، أو قال: «**على أمة محمد ﷺ** »[٢]، خرجه الإمامان الحافظان الترمذيان أبو عبد الله وأبو عيسى، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول: قلت: مالك بن مغلول أبو عبد الله البجلي الكوفي إمام ثقة، خرج له البخاري ومسلم والأئمة، وقال أبي بن كعب: لجهنم سبعة أبواب، أشدها غمًا وكربًا وحرًا، وأنتنها ريحًا للزناة الذين ارتكبوا بعد العلم.

---

(١) انظر طرف الحديث في: حلية الأولياء لأبي نعيم (١٨٨/٥).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٣١٢٣)، مسند الإمام أحمد (٩٤/٢).

وروى سلام الطويل، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر: ٤٤] الآية: «**جزء أشركوا بالله، وجزء شكوا في الله، وجزء غفلوا عن الله، وجزء آثروا شهواتهم على الله، وجزء شفوا غيظهم بغضب الله، وجزء صيروا رغبتهم بحظهم عن الله، وجزء عتوا على الله**»(١).

ذكره الحليمي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب منهاج الدين له، وقال: فإن كان ثابتًا، فالمشركون بالله هم الثنوية، والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم إلهًا، أو لا إله لهم، أو يشكون في شريعته أنها من عنده أو لا، والغافلون عن الله هم الذين يجحدونه أصلاً، ولا يثبتونه وهم الدهرية، والمؤثرون شهواتهم على الله هم المنهمكون في المعاصي لتكذيبهم رسل الله وأمره ونهيه والشافون غيظهم بغضب الله تعالى هم القائلون أنبياء الله وسائر الداعين له المعذبون من ينصح لهم أو تمذهب بغير مذهبهم والمصيرون رغبتهم بحظهم من الله تعالى هم المنكرون للبعث والحساب، فهم يعبدون أي شيء ثان يرغبون فيه، لهم جميع حظهم من الله تعالى، والعاتون على الله هم الذين لا يبالون بأن يكون ما هم فيه حقًا أو باطلاً، فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستدلون، والله أعلم بما أراه رسوله ﷺ إن كان الحديث ثابتًا.

وقال بلال: كان النبي ﷺ يصلي في مسجد المدينة وحده، فمرت به أعرابية فصلت خلفه ولم يعلم بها، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٤]، فخرت الأعرابية مغشيًا عليها، وسمع رسول الله ﷺ وجبتها فانصرف، ودعا بماء فصب على وجهها حتى أفاقت وجلست، فقال النبي ﷺ: «**يا هذه، ما لك؟**»: فقالت: هذا شيء من كتاب الله أو شيء من تلقاء نفسك؟ فقال: «**يا أعرابية، بل هو من كتاب**

(١) انظر طرف الحديث في الدر المنثور للسيوطي (١٠٠/٤)، تفسير القرطبي (٣١/١٠)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢٩/٩)، الموضوعات لابن الجوزي (٢٦٥/٣)، تاريخ جرجان للسهمي (١٨٣).

الله المنزل»، فقالت: كل عضو من أعضائي يعذب على باب منها؟ قال: «**يا أعرابية، بل لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب أهل كل باب على قدر أعمالهم**»، فقالت: والله إني امرأة مسكينة لا مال لي، ولا لي إلا سبعة أعبد، أشهدك يا رسول الله أن كل عبد منهم على باب من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا رسول الله، بشر الأعرابية أن الله قد غفر لها وحرم عليها أبواب جهنم، وفتح لها أبواب الجنة كلها، والله أعلم.

في بعد أبواب جهنم بعضها عن بعض
وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

ذكر عن بعض أهل العلم في قول الله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ قال: من الكفار والمنافقين والشياطين، وبين الباب والباب خمسمائة عام.

فالباب الأول: يسمى جهنم؛ لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء، فيأكل لحومهم وهو أهون عذابًا من غيره.

والباب الثاني: يقال له: لظى نزاعة للشوى. يقول: أكله اليدان والرجلان، تدعو من أدبر عن التوحيد، وتولى عما جاء به محمد ﷺ .

والباب الثالث: يقال له: سقر، وإنما سمى سقر لأنه يأكل اللحم دون العظم.

الباب الرابع: يقال لها: الحطمة، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾ [الهمزة: ٥، ٦] تحطم العظام وتحرق الأفئدة: قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ [الهمزة: ٧] تأخذه النار من قدميه وتطلع على فؤاده وترمى بشرر كالقصر كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣] الآية، يعنى سودا، فتطلع الشرر إلى السماء، ثم تنزل فتحرق جلودهم وأيديهم وأبدانهم، فيبكون الدمع

حتى ينفذ، ثم يكون الدماء، ثم يكون القيح حتى ينفذ القيح، حتى لو أن السفن أرسلت تجرى فيما خرج من أعينهم لجرت.

والباب الخامس: يقال له: الجحيم، وإنما سمي جحيمًا، لأنه عظيم الجمرة، الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا.

والباب السادس: يقال له: السعير، وإنما سمي السعير؛ لأنه يسعر بهم ولم يطف منذ خلق فيه ثلاثمائة قصر، في كل قصر ثلاثمائة بيت، وفي كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب، وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال، وفيه جب الحزن، ليس في النار عذاب أشد منه، إذا فتح باب الجب حزن أهل النار حزنًا شديدًا.

والباب السابع: يقال له: الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبدًا، وفيه بئر الهبهاب، وذلك قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧]، إذا فتح الهبهاب يخرج منه نار تستعيذ منه النار، وفيه الذين قال الله تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧]، أو هو جبل من نار يوضع أعداء الله على وجوههم على ذلك مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم، والزبانية وقوف على رءوسهم بأيديهم مقامع من حديد، إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان.

وأبواب النار حديد، فرشها الشوك، غشاوتها الظلمة، أرضها نحاس ورصاص وزجاج، النار من فوقهم والنار من تحتهم، لهم من فوقهم ظلل من النار، ومن تحتهم ظلل أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى أسودت فهي سوداء مظلمة مدلهمة مظلمة قد مزجت بغضب الله، وذكره القتبي في عيون الأخبار.

وذكر ابن عباس أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب، وهي كما قال الله تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٤]، على كل باب سبعون ألف جبل، في كل جبل سبعون ألف شعب من النار، في كل شعب سبعون ألف شق من النار، في كل شق سبعون ألف واد، في كل واد

سبعون ألف قصر من نار، في كل قصر سبعون ألف بيت من نار، في كل بيت سبعون ألف قلة من سم، فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء، فيطير منها سرادق عن يمين الثقلين وآخر عن شمالهم، وسرادق أمامهم وسرادق فوقهم وآخر من ورائهم، فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادي: رب سلم، رب سلم.

وقال وهب بن منبه: بين كل بابين مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد حرًا من الذي فوقه بسبعين ضعفًا، ويقال: إن لجهنم سبعة أبواب، لكل باب منها سبعون واديًا قعر كل واد منها سبعون عامًا، لكل واد منها سبعون ألف شعب، في كل شعب منها سبعون ألف مغارة، في جوف كل مغارة منها سبعون ألف شق، في كل شق منها سبعون ألف ثعبان، في شدق كل ثعبان ألف عقرب، لكل عقرب منها سبعون ألف فقارة، في كل فقارة منها قلة سم لا ينتهي الكافر ولا المنافق حتى يواقع ذلك كله، ذكره ابن وهب في كتاب الأهوال له، ومثله لا يقال من جهة الرأي، فهو توقف؛ لأنه إخبار عن مغيب، والله تعالى أعلم.

ما جاء في عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم وفي قمع النبي ﷺ إياها وردها عن أهل الموقف

مسلم، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «**يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[1].

وذكر ابن وهب قال: حدثني زيد بن أسلم قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فناجاه، فقام النبي ﷺ منكس الطرف، فأرسلوا إلى عليّ، فقالوا: يا أبا الحسن، ما بال النبي ﷺ محزونًا منذ خرج جبريل عنه، فأتاه عليّ، فوضع يده على عضديه من خلفه بين كتفيه، وقال: «ما هذا الذي نراه منك يا رسول الله؟» فقال: «**يا أبا الحسن، أتاني جبريل فقال لي:** ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ

---

(١) انظر طرف الحديث، في: صحيح مسلم (٢٨٤٢)، المستدرك للحاكم (٤/٥٩٥).

دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١] الآية، **وجيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام يقوده سبعون ألف ملك، فبينما هم كذلك إذ شردت عليهم شردة انفلتت من أيديهم، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها»**[1].

وذكر أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة، أنهم يأتون بها تمشي على أربع قوائم وتقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك بيد كل واحد حلقة، لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل منها بحلقة واحدة، على كل حلقة سبعون ألف زبني، لو أمر زبني منهم أن يدك الجبال وأن يهد الأرض لهدها، وأنهم إذا انفلتت من أيديهم لم يقدروا على إمساكها، لعظم شأنها، فيجثوا كل من في الموقف على الركب حتى المرسلون، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش، هذا قد نسي الذبيح، وهذا قد نسي هارون، وهذا قد نسي مريم عليهم السلام، وكل واحد منهم يقول: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم غيرها، قال: وهو الأصح عندي، ومحمد يقول: **«أمتي أمتي، سلمها يا رب ونجها يا رب»**[2]، وليس في الموقف من تحمله ركبتاه، وهو قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ [الجاثية: ٢٨] الآية، وعند تفلتها تكبو من الغيظ والحنق، وهو قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢]، أي تعظيمًا لغيظها وحنقها.

يقول الله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [الملك: ٨]، أي تكاد تنشق لصفين من شدة غيظها، فيقوم رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى ويأخذ بخطامها ويقول لها: **«ارجعي مدحورة إلى خلفك حتى يأتيك أهلك أفواجًا»**، فتقول: خلِّ سبيلي فإنك يا محمد حرام عليّ فينادي مناد من سرادقات العرش: اسمعي منه وأطيعي له، ثم تجذب وتجعل عن شمال العرش، ويتحدث أهل الموقف بجذبها، فيخف وجلهم وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

---

(١) انظر طرف الحديث في: الدر المنثور للسيوطي (٦/٣٤٦).

(٢) سبق تخريجه.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهناك تنصب الموازين[١]، على ما تقدم.

فصل: هذا يبين لك ما قلناه أن جهنم اسم علم لجميع النار، ومعنى يؤتى بها يجاء بها من المحل الذي خلقها الله تعالى فيه، فتدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط كما تقدم، والزمام ما يزم به الشيء أي يشد ويربط به، وهذه الأزمة التي تساق بها جهنم تمنع من خروجها على أرض المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله بأخذه على ما تقدم ويأتي ملائكتها كما وصفهم الله غلاظ شداد.

وقد ذكر ابن وهب، حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنم: **«ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب»**[٢].

وقال ابن عباس: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمعة، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم.

وأما قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، فالمراد رؤساؤهم على ما يأتي، وأما جملتهم، فالعبارة عنهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

فصل: قال العلماء: إنما خص النبي ﷺ بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء، صلوات الله عليهم؛ لأنه رآها في مسراه، وعرضت عليه في صلاته حسب ما ثبت في الصحيح، قال: وفي ذلك فوائد ثمان.

الأولى: أن الكفار لما كانوا يستهزئون به وفي قوله، ويؤذونه أشد الأذى أراه الله تعالى النار التي أعدها للمستخفين به وبأمره تطيبًا لقلبه وتسكينًا لفؤاده.

الثانية: الإشارة في ذلك إلى أن من طيب قلبه في شأن أعدائه بالإهانة والانتقام فالأولى أن يطيب قلبه في شأن أوليائه بالتحية والشفاعة والإكرام.

الفائدة الثالثة: ويحتمل أن عرضها عليه ليعلم منة الله تعالى عليه حين

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٦٤).

(٢) انظر طرف الحديث في البدور (صـ ٣١٣).

أنقذهم منها ببركته وشفاعته.

الفائدة الرابعة: ويحتمل أنه عرضها عليه ليكون في القيامة إذا قال سائر الأنبياء نفسي نفسي، يقول محمد ﷺ **«أمتي أمتي»**، وذلك حين تسجر جهنم، ولذلك أمر الله عز وجل محمدًا ﷺ ، فقال جل من قائل: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﴾ [التحريم: ٨] الآية.

قال الحافظ أبو الخطاب: والحكمة في ذلك أن يفرغ إلى شفاعة أمته، ولو لم يؤمنه، لكان مشغولاً بنفسه كغيره من الأنبياء.

الفائدة الخامسة: أن سائر الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئًا منها، فإذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هولها وشغلهم أنفسهم عن أممهم، وأما نبينا محمد ﷺ فقد رأى جميع ذلك، فلا يفزع منه مثل ما فزعوا ليقدر على الخطبة، وهو المقام المحمود الذي وعده به ربه تبارك وتعالى في القرآن المجيد وثبت في صحيح السنة.

الفائدة السادسة: فيه دليل فقهي على أن الجنة والنار قد خلقتا خلافًا للمعتزلة المنكرين لخلقها، وهو يجري على ظاهر القرآن في قوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، والإعداد دليل الخلق والإيجاد.

الفائدة السابعة: ويحتمل أنه أراه إياها ليعلم خسة الدنيا في جنب ما أراه، فيكون في الدنيا أزهد. وعلى شدائدها أصبر، حتى يؤديه إلى الجنة، فقد قيل: حبذا محنة تؤدي بصاحبها إلى الرخاء، وبؤسًا لنعمة تؤدي بصاحبها إلى البلاء.

الفائدة الثامنة: ويحتمل أن الله تعالى أراد ألا يكون لأحد كرامة إلا يكون لمحمد ﷺ مثلها، ولما كان لإدريس عليه السلام الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة، أراد الله تعالى أن يكون ذلك لصفيه ونجيه وحبيبه وأمينه على وحيه محمد ﷺ وكرم وعظم وبجل ووقر، وقال ذلك جميعه الحافظ ابن دحية، ﷺ، في كتاب الابتهاج في أحاديث المعراج.

في كلام جهنم وذكر أزواجها وأنه لا يجوزها إلا من عنده جواز

روى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: حدثنا أنس بن مالك قال: نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الآية، قال النبي ﷺ: «**أين يكون الناس يوم القيامة يا جبريل؟**» قال: يا محمد يكونون على أرض بيضاء لم يعمل عليها خطيئة قط، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، قال: الصوف، تذوب الجبال من مخافة جهنم، يا محمد، إنه ليجاء بجهنم يوم القيامة تزف زفًا عليها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك حتى تقف بين يدي الله تعالى، فيقول لها: **يا جهنم**، تكلمي، فتقول: لا إله إلا الله، وعزتك وعظمتك لأنتقمن اليوم ممن أكل رزقك وعبد غيرك لا يجوزني إلا من عنده جواز، فقال النبي ﷺ: «**يا جبريل، ما الجواز يوم القيامة؟**». قال: أبشر وبشر أن من شهد أن لا إله إلا الله جاز جسر جهنم، قال: فقال النبي ﷺ: «**الحمد لله الذي جعل أمتي أهل لا إله إلا الله**»[(١)].

وخرج الحافظ أبو محمد عبد الغني الحافظ من حديث سليمان بن عمرو يتيم أبي سعيد الخدري، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة، أقبلت النار يركب بعضها بعضًا، وخزنتها يكفونها وهي تقول: وعزة ربي لتخلن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقًا واحدًا، فيقولون: من أزواجك؟ فتقول: كل متكبر جبار**»[(٢)].

ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم

قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠].

---

(١) انظر طرف الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمي (٧/٤٥)، عبد الرزاق في تفسيره (١٤٢٤).

(٢) انظر طرف الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمي (١٠/٣٩٢)، المطالب العالية لابن حجر (٤٦٣٩، ٤٦٦٨)، الدر المنثور للسيوطي (٢/١٦١).

ابن المبارك قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، عن رجل من بني تميم قال: كنا عند أبي العوام، فقرأ هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ [المدثر: ٢٧] الآية، ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر: ٣٠]، فقال: ما تسعة عشر؟ قال: تسعة عشر ألف ملك، قال: وأنى تعلم ذلك؟ فقلت لقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [المدثر: ٣١]، قال: صدقت هم تسعة عشر ملكًا، بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان، فيضرب الضربة، فيهوى بها سبعين ألف خريف.

وخرج الترمذي، عن جابر بن عبد الله قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي ﷺ هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأله، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم، فقال: «**وبماذا غلبوا؟**»، قال: سألهم اليهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم. قال: «**فماذا قالوا؟**». قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا، قال: «**أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون**»، فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا»، لكنهم سألوا نبيهم فقالوا: أرنا الله جهرة، عليّ بأعداء الله، إني سائلهم عن تربة الجنة، وهي الدرمك، فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم. كم عدد خزنة جهنم؟ قال: «**هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة**»، قالوا: نعم قال لهم النبي ﷺ: «**ما تربة الجنة؟**». قال: فسكتوا، ثم قالوا. خبزة يا أبا القاسم، فقال النبي ﷺ: «**الخبز من الدرمك**»[1]. قال أبو عيسى: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث خالد، عن الشعبي، عن جابر.

---

(١) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٣٣٢٧)، كنز العمال للمتقي الهندي (٤١٠١٨)، تفسير ابن كثير (٢٩٤/٨)، تفسير القرطبي (٨٠/١٩)، مجمع الزوائد للهيثمي (٣٩٩/١٠، ٤١٢).

ما جاء في سعة جهنم وعظم سرادقها، وبيان قوله تعالى

﴿ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ ﴾

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف: ٢٩].

ابن المبارك قال: أخبرنا عنبسة بن سعيد عن حبيب بن أبي عمرة، عن مجاهد قال: قال ابن عباس: أتدري ما سعة جهنم؟ قال: قلت: لا، قال: أجل، والله ما تدري أن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفًا تجري أودية القيح والدم، قلت: أنهار؟ قال: لا، بل أودية، ثم قال: أتدري ما سعة جسر جهنم؟ قلت: لا، قال: قلت: أجل، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧]، قلت: فأين الناس يومئذ؟ قال: «**على جسر جهنم**»[1] خرجه الترمذي وصححه وقد تقدم.

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**لسرادق النار أربع جدر كثف، كل جدار مسيرة أربعين سنة**»[2]. ذكره ابن المبارك وخرجه الترمذي أيضًا وسيأتي.

وذكر ابن المبارك قال: حدثنا محمد بن بشار، عن قتادة. ﴿ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا

---

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب الإيمان باب (٨٤) حديث رقم (٣١٦)، سنن الترمذي (٣٢٤١)، المستدرك للحاكم (٤٣٦/٢)، تفسير القرطبي (٢٧٨/١٥)، الدر المنثور (٣٣٥/٥)، شرح السنة للبغوي (٢٥١/١٥)، فتح الباري لابن حجر (٣٧٦/١١)، حلية الأولياء (١٨٣/٨).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٨٤)، الزهد لابن المبارك (٩٠/٢)، المستدرك للحاكم (١٠/٤)، الدر المنثور للسيوطي (٢٢٠/٤)، الترغيب والترهيب للمنذري، (٤/ ٤٧٣). تفسير ابن كثير (١٥٠/٥)، تفسير القرطبي (٣٩٤/١)، زاد المسير لابن الجوزي (١٣٤/٥)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٨١)، العلل المتناهية لابن الجوزي (٤٥٣/٢).

مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ ﴾ [الفرقان: ١٣]، قال: ذكر لنا أن عبد الله كان يقول: إن جهنم لتضيق على الكافر كتضييق الزج على الرمح، وذكره الثعلبي والقشيري، عن ابن عباس.

باب ما جاء أن جهنم في الأرض وأن البحر طبقها

روى عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يركب البحر إلا رجل غازٍ أو حاج أو معتمر، فإن تحت البحر نارًا**»[1]، ذكره أبو عمر وضعفه، وقال عبد الله بن عمر: ولا يتوضأ بماء البحر؛ لأنه طبق جهنم، ذكره أبو عمر أيضًا وضعفه.

وفي تفسير سورة ق عن وهب بن منبه قال: أشرف ذو القرنين على جبل ق، فرأى تحته جبالاً صغارًا، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا قاف، قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي، وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل تلال الأرض أمرني فحركت عرقي ذلك، تزلزلت تلك الأرض، فقال له: يا قاف، أخبرني بشيء من عظمة الله، قال: إن شأن ربنا لعظيم، تقصر دونه الأوهام، قال: بأدنى ما يوصف منها، قال: إن ورائي أرضًا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضًا لولا هي لاحترقت من حر جهنم، وذكر الخبر.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: وهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض، والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض.

ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾

وما جاء أن الشمس والقمر يقذفان في النار

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦]، قال: أوقدت فصارت نارًا، وذكر ابن وهب، عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه

(١) انظر طرف الحديث في: التمهيد لابن عبد البر (١/٢٣٩، ٢٤٠).

الآية: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [القيامة: ٩]، قال: يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في النار، فتكون نار الله الكبرى.

وخرج أبو داود الطيالسي في مسنده عن يزيد الرقاشي، عن أنس يرفعه إلى النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار**»[1]، وروي عن كعب الأحبار أنه قال: يجاء بالشمس والقمر كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار.

فصل: قلت: كذا الرواية: «ثوران» بالثاء المثلثة، وإنما يجمعان في جهنم، لأنهما قد عبدا من دون الله، ولا تكون النار عذابًا لهما؛ لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم، هكذا قال بعض أهل العلم.

وقال ابن قسي صاحب خلع النعلين: اعلم أن الشمس والقمر ثوران مكوران في نار جهنم على شبه هذا التكوير، فنهار سعير وليل زمهرير، والدار دار قائمة لا فرق بينهما وبين هذين في حركة التسيار والتدوار، ومدار فلكي الليل والنهار إلا أن تلك خالية من رحمة الله، ومع هذه رحمة واحدة من رحمة الله، وعن الشمس والقمر يكون سواد الدار ولهيب ظاهر النار، وهما من أشد الغضب لله تعالى بما عايناه من العصيان وفسق الفاسقين، إذ لا يكاد يغيب عنهما أين ولا تخفى عنها خائنة عين، فإنه لا يبصر أحد إلا بنورهما ولا يدرك إلا بضوءيهما، ولو كان خلف حجاب من الغيب الليلي أو وراء ستر من الغيم اليومي، فإن الضوء الباقي على البسيطة في ظل الأرض ضوؤهما والنور نورهما، ومع ما هما عليه من الغضب لله، فإنه لم يشتد غضبهما إلا من حيث نزع لجام الرحمة عنهما وقبض ضياء اللين والرأفة منهما، وكذلك عن كل ظاهر من الحياة الدنيا في قبض الرحمة المستردة من هذه الدار إلى دار الحيوان والأنوار.

قال ﷺ: «**إن لله مائة رحمة نزل منها واحدة إلى الأرض، فبها تتعاطف البهائم ويتراحم الخلق وتتواصل الأرحام، فإذا كان يوم القيامة قبض الله هذه**

---

(١) انظر طرف الحديث في: ابي داود الطيالسي (٢١٠٣)، مجمع الزوائد للهيثمي (١٠/٣٩٠).

الرحمة، وردها إلى التسعة والتسعين وأكملها مائة كما كانت، ثم جعل المائة كلها رحمة للمؤمنين»(١) خلت دار العذاب ومن فيها من الفاسقين من رحمة رب العالمين، فبزوال هذه الرحمة زال ما كان فيه القمر من رطوبة وأنوار، ولم يبق إلا الظلمة وزمهرير، وبزوالها زال ما كان بالشمس من وضح وإشراق ولم يبق إلا فرط سواد واحتراق، وبما كانا به قبل من هذه الصفة الرحمانية كان إمهالهما للعاصين وإبقاؤهما على القوم الفاسقين، وهي زمام الإمساك ولجام المنع عن التدمير والإهلاك وهي سنة الله تعالى في الإبقاء إلى الأوقات، والإمهال إلى الآجال إلا أن يشاء غير ذلك، فلا راد لأمره، ولا معقب لحكمه لا إله إلا هو سبحانه».

قال المؤلف رحمه الله: وقد روى عكرمة، عن ابن عباس تكذيب كعب الأحبار في قوله: وقال: هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام؟ والله أكرم وأجل من أن يعذب على طاعته ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، يعني: دأبهما في طاعته، فكيف يعذب عبدين أثنى الله عليهما، أنهما دائبان في خدمته وطاعته، ثم حدث عن رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى لما أبرم خلقه إحكامًا ولم يبق غير آدم، خلق شمسًا وقمرًا من نور عرشه**»، الحديث، وفي آخره: «**فإذا قامت الساعة وقضى الله في أهل الدارين، وميز أهل الجنة والنار ولم يدخلوها إلا بعد أن يدعو الله بالشمس والقمر يجاء بهما أسودين مكورين قد وقفا في الزلازل؛ لأن فرائصهما ترعد من أهوال ذلك اليوم من مخافة الرحمن تبارك وتعالى، فإذا كان حيال العرش خرا ساجدين لله تعالى، فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودؤوبنا في طاعتك**

---

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب التوبة (١٩، ٢٠)، سنن ابن ماجه (٤٢٩٣)، مسند الإمام أحمد (٥٢٦)، مستدرك الحاكم (٥٦/١، ٢٤٨/٤)، مجمع الزوائد للهيثمي (١٠/ ٢١٤، ٣٨٥)، تفسير ابن كثير (٤٨٠/٣)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٢٣٦٥، ٢٣٦٦)، الزهد لابن المبارك (٣١٢)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٨٣/٩، ٥٥٧/١٠)، الدر المنثور (١٣٠/٣)، كنز العمال للمتقي الهندي (١٠٣٨٣، ١٠٤٠٣، ١٠٤٠٤، ١٠٤٠٥).

وسرعتنا للمضي في أمرك في أيام الدنيا، فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيانا، فيقول الله تعالى: صدقتما، إني قد قضيت على نفسي أني أبدي، وأعيد إني معيدكم إلى ما بدأتكما منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه، فيقولان: ربنا مم خلقتنا؟ فيقول خلقتكما من نور عرشي فارجعا إليه، فيلتمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نورًا، فيختلطان بنور العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣]»[١].

ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها

الترمذي، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة**»[٢].

قال أبو عيسى: وحديث أبي هريرة في هذا الباب موقوف أصح، ولا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى بن أبي بكير، عن أبي شريك.

ابن المبارك، عن أبي هريرة قال: «إن النار أوقدت ألف سنة فابيضت، ثم أوقدت ألف سنة فاحمرت، ثم أوقدت ألف سنة فاسودت، فهي مظلمة كسواد الليل»[٣].

مالك، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة أنه قال: «ترونها كناركم؟! لهي أشد سوادًا من القار». والقار هو الزفت[٤].

ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان، عن سليمان قال: «النار سوداء لا يضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾

---

(١) انظر طرف الحديث في: العظمة لأبي الشيخ (٦٤٧).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٩١)، والترغيب والترهيب للمنذري (٤/٤٦٤)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٧٣)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٤٨٣)، اللآلئ المصنوعة للسيوطي (١/٢٢٣).

(٣) انظر طرف الحديث في: شرح السنة للبغوي (١٥/٢٣٩)، زوائد الزهد لابن المبارك (٣٠٩).

(٤) انظر طرف الحديث في: موطأ مالك ٢/٧٥٩.

[الحج: ٢٢]»[1].

مالك، وعن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: «**ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**»، قالوا: يا رسول الله، وإن كانت لكافية، قال: «**فإنها فضلت بتسعة وستين جزءًا**»[2]. أخرجه مسلم، وزاد: «**لها مثل حرها**»[3].

ابن ماجه، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة**»[4].

وفي خبر آخر، عن ابن عباس: وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات، ولولا ذلك ما انتفع بها، ذكره أبو عمر، رحمه الله[5].

وقال عبد الله بن مسعود ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، ولولا أنه ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم منها بشيء.

وسئل ابن عباس عن نار الدنيا مم خلقت. قال: من نار جهنم، غير أنها أطفئت بالماء سبعين مرة، ولولا ذلك ما قربت؛ لأنها من نار جهنم.

مسلم: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة من أهل النار، فيصبغ ثم يقال: هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة فيقال له: هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة**

---

(١) انظر طرف الحديث في: زوائد الزهد لابن المبارك (٣١٠).

(٢) انظر طرف الحديث في سنن الترمذي (٢٥٨٩)، موطأ مالك (٧٥٩٩/٢).

(٣) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم (٢١٨٤).

(٤) انظر طرف الحديث في سنن ابن ماجه (٤٣١٨)، مسند الإمام أحمد (٣١٣/٢)، المستدرك للحاكم (٥٩٣/٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٥١٣/١٠)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٤٧٧، ٣٩٤٩٧)، الدر المنثور (٣٦/١)، كشف الخفاء للعجلوني (٤٥٠/٢).

(٥) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٦٣/١٨).

قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[(١)].

أخرجه ابن ماجه أيضًا من حديث محمد بن إسحاق، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار، فيقول: اغمسوه في النار غمسة، فيغمس فيها ثم يخرج، فيقال له: أي فلان، هل أصابك نعيم قط؟ فيقول لا، ما أصابني نعيم قط، ويؤتي** بأشد **المؤمنين** ضرًا وبلاء، فيقال: **اغمسوه في الجنة، فيغمس غمسة ثم يخرج، فيقال له: أي فلان، هل أصابك ضر قط أو بلاء؟ فيقول: ما أصابني ضر قط ولا بلاء»**[(٢)].

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة، قال: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أن جهنميًا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا حتى يبصروها لأحرقت الدنيا من حرها، ولو** أن **خازنًا من خزنة جهنم أخرج إلى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى»**[(٣)].

وقال كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده، لو كنت بالمشرق والنار بالمغرب، ثم كشف عنها خرج دماغك من منخريك من شدة حرها، يا قوم هل لكم بهذا قرار؟ أم لكم على هذا صبر؟ يا قوم، طاعة الله أهون عليكم من هذا العذاب فأطيعوه؟

وخرج البزار في مسنده، عن أبي هريرة قال في مسنده قال: قال رسول الله ﷺ **«لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيد ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم»**[(٤)].

---

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم (٢٨٠٧)، مسند الإمام أحمد (٢٠٣/٣).

(٢) أنظر طرف الحديث في: سنن ابن ماجه (٤٣٢١).

(٣) لم اقف على تخريجه فيما بين يدي من مراجع.

(٤) انظر طرف الحديث في: الترغيب والترهيب للمنذري (٤٦٢/٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٥١٤/١٠)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٠٧/٤)، مجمع الزوائد للهيثمي (٣٩١/١٠).

فصل: قوله: «**ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**»، يعني أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها ابن آدم، لكانت جزءًا من سبعين جزءًا من أجزاء جهنم المذكور بيانه، وأنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار نارًا، لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذي هو من سبعين جزءًا أشد من حر نار الدنيا، كما بينه في آخر الحديث.

وقولهم: «وإن كانت لكافية»، إن هنا مخففة من الثقيلة عند البصريين، نظيره: ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي أنها كانت كافية، فأجابهم النبي ﷺ: «**أنها كما فضلت عليها في المقدار والعدد بتسعة وستين، فضلت عليها أيضًا في شدة الحر بتسعة وستين ضعفًا**».

ما جاء في شكوى النار وكلامها

وبعد قعرها وأهوالها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها

روى الأئمة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا، فجعل لنا نفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف بأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها وأشد ما تجدون من الحر من سمومها**»[1]. أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة قال: قال: كنا مع رسول الله ﷺ ، إذ سمع وجبة، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوى في النار إلى الآن حتى انتهى إلى قعرها**»[2]. أخرجه مسلم.

---

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح البخاري (١٤٢/١)، صحيح مسلم كتاب المساجد، سنن الترمذي (٢٥٩٢)، مسند الإمام أحمد (٢٣٨/٢، ٢٧٧، ٥٠٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٤٣٧/١)، والدر المنثور (٣٠٠/٦)، سنن ابن ماجه (٤٣١٩)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٤٨١)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٥١٤/١٠)، تفسير ابن كثير (٤٩١/٨)، مجمع الزوائد للهيثمي (٣٨٨/١٠)، موطأ الإمام مالك (١٥).

(٢) انظر: طرف الحديث في: صحيح مسلم (٢٨٤٤)، مسند الإمام أحمد (٣٧١/٢).

الوجبة: الهدة، وهي صوت وقع الشيء الثقيل.

الترمذي، عن الحسن قال: قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا، يعني منبر البصرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عامًا وما تفضي إلى قرارها**»[١]، أخرجه مسلم.

قال: فكان ابن عمر يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد. قال أبو عيسى: لا نعرف للحسن سماعًا من عتبة بن غزوان، وإنما قدم عتبة بن غزوان البصرة في زمن عمر وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر.

ابن المبارك قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن الزهري قال: بلغنا أن معاذ ابن جبل كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده، إن ما بين شفة النار وقعرها لصخرة زنة سبع خلفات بشحومهن ولحومهن وأولادهن، تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفًا**»[٢].

حدثنا هشام بن بشير قال: أخبرني زفر، حدثنا ابن أبي مريم الخزاعي قال: سمعت أبا أمامة يقول: إن ما بين شفير جهنم وقعرها مسيرة سبعين خريفًا من حجر يهوي، أو قال: صخرة تهوى عظمها كعشر عشراء عظام سمان، فقال لي مولى لعبد الله بن خالد: هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة؟ قال: نعم، غي وآثام[٣].

مسلم عن خالد بن عمير العدوي: قال: خطبنا عتبة بن غزوان، وكان أميرًا على البصرة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم لتنتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه ذكر

---

(١) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٧٥)، جمع الجوامع للسيوطي (٥٦٥٨)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٤٧١).

(٢) انظر طرف الحديث في الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠، ٣٩٠)، ابن المبارك في زوائد الزهد (٣٠١).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٩/١٠).

لنا أن الحجر ليلقى من شفير جهنم، فيهوي فيها سبعين عامًا لا يدرك لها قعرًا، والله لتملأن. الحديث، وسيأتي بتمامه في أبواب الجنة إن شاء الله تعالى.

وقال كعب: لو فتح من نار جهنم قدر منخر ثور بالمشرق، ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها، وإن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى مقرب ولا نبي مرسل إلا خر جاثيًا على ركبته، ويقول: نفسي نفسي[1].

فصل: قوله: «اشتكت النار شكواها»[2]، إلى ربها بأن أكل بعضها بعضًا»، محمول على الحقيقة لا على المجاز، إذ لا إحالة في ذلك، وليس من شرط الكلام عند أهل السنة في القيام بالجسم إلا الحياة وأما البنية واللسان والبلة، فليس من شرطه وليس يحتاج في الشكوى إلى أكثر من وجود الكلام، وأما الاحتجاج في قوله عليه السلام: «**احتجت النار والجنة**»، فلا بد فيه من العلم والتفطن للحجة، وقيل: إن ذلك مجاز عبر عنه بلسان الحال، كما قال عنترة:

فازور من وقع القنا بلبانه ... وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

وقال آخر:

شكا إليّ جملي طول السرى ... صبرا جميلاً فكلانا مبتلى

والأول أصح، إذ لا استحالة في ذلك، وقد قال تعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنعام: ٥٧] الآية، وقد تقدم من كلامها: «لا إله إلا الله وعزتك وجلالك»، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۞ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦] الآية، ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ﴾ [المعارج: ١٧]، أي عن الإيمان، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أي أعرض عن اتباع الحق، ﴿وَجَمَعَ﴾ يعني المال، ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ أي جعله في الوعاء أي كنزه، ولم ينفقه في طاعة الله تعالى. قال ابن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

عباس: تدعو المنافق والكافر بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطائر الحب.

قلت: قول ابن عباس هذا قد جاء معناه مرفوعًا، وهو يدل على أن المراد بالشكوى والحجة الحقيقة.

ذكر رزين أن رسول الله ﷺ قال: «**من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدًا**»، قيل: يا رسول الله، ولها عينان؟ قال: «**أما سمعتم الله يقول:** ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [الفرقان: ١٢] الآية، **يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان فيقول: وكلت بمن جعل مع الله إلهًا آخر، فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه**»، وفي رواية أخرى: «**فيخرج عنق من النار، فيلقط الكفار لقط الطائر حب السمسم**»، صححه أبو محمد ابن العربي في قبسه، وقال: «يفصلهم عن الخلق بالمعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة»[1].

وخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين**»[2]. وفي الباب عن أبي سعيد، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب صحيح.

وذكر ابن وهب قال: حدثني العطاف بن خالد في قول الله تعالى: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر: ٢٣] قال: يؤتى بجهنم يوم القيامة يأكل بعضها بعضًا، يقودها سبعون ألف ملك، فإذا رأت الناس، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [الفرقان: ١٢] الآية، فإذا رأتهم زفرت زفرة فلا

---

(١) انظر طرف الحديث في: المعجم الكبير للطبراني (٧٥٩٩)، تفسير ابن كثير (١/٢١١)، تفسير القرطبي (٧/١٣)، الموضوعات لابن الجوزي (١/٩٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/٦٤).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٧٤)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٤٦)، الدر المنثور للسيوطي (٤/٧٣)، السلسلة الصحيحة للألباني (٥١٢).

يبقى نبي ولا صديق إلا برك لركبتيه يقول: يا رب نفسي نفسي، ويقول رسول الله ﷺ: «أمتي أمتي»(١)، وكان بعض الوعاظ يقول: أيها المجترئ على النار ألك طاقة بسطوة الجبار ومالك خازن النار، ومالك إذا غضب على النار زجرها زجرة كادت تأكل بعضها بعضًا.

ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم وأنكالهم

قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج: ٢١]، وقال: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢] الآية، وقال: ﴿ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ [الحاقة: ٣٢]، وقال: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾، [المزمل: ١٢] الآية. وروي عن الحسن أنه قال: «ما في جهنم واد ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبها مكتوب عليه». وروي عن ابن مسعود وسيأتي.

الترمذي: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رضاضة مثل هذه، وأشار إلى مثل الجمجمة، أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا، الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها**»(٢). قال: هذا حديث إسناده صحيح.

وفي الخبر: إن شاء الله تعالى ينشئ لأهل النار سحابة، فإذا رأوها ذكروا سحاب الدنيا، فتناديهم: يا أهل النار، ما تشتهون؟ فيقولون: نشتهي الماء البارد فتمطرهم أغلالاً تزاد في أغلالهم وسلاسل تزاد في سلاسلهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٨٨)، مسند الإمام أحمد (٢/١٩٧)، المستدرك للحاكم (٢/٤٣٨)، والترغيب والترهيب (٤/٤٧٣)، الزهد لابن المبارك (٢/٧٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٠/٥١٩)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٨٨)، الدر المنثور (٥/ ٣٩٧).

وقال محمد بن المنكدر: لو جمع حديد الدنيا كله ما خلي منها، وما بقي ما عدل حلقة من حلق السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه، فقال: ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ الآية[١]، ذكره أبو نعيم.

وقال ابن المبارك: أخبرنا سفيان، عن نسير بن ذعلوق أنه سمع نوفًا يقول في قوله تعالى: ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ قال: كل ذراع سبعون باعًا، كل باع أبعد ما بينك وبين مكة، وهو يومئذ في مسجد الكوفة[٢].

أخبرنا بكار بن عبد الله أنه سمع ابن أبي مليكة يحدث عن أبي بن كعب قال: إن حلقة من السلسلة التي قال الله: ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ إن حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا[٣].

سمعت سفيان يقول في قوله: ﴿ فَٱسْلُكُوهُ ﴾ قال: بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه[٤]. وقال ابن زيد ويقال: ما يأتي يوم القيامة على أهل النار إلا ورحمة من الله تطلع طائفة منهم فيخرجون، ويقال: إن الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل في الدنيا لهدته.

وروي عن طاوس، أن الله تعالى خلق ملكًا وخلق له أصابع على عدد أهل النار، فما من أحد من أهل النار معذب إلا وملك يعذبه بإصبع من أصابعه، ولو وضع الملك إصبعًا من أصابعه على السماء لأذابها، وذكره القتبي في كتاب عيون الأخبار له.

ما جاء في كيفية دخول أهل النار النار

ذكر ابن وهب قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة بشرر كالنجوم فيولون هاربين، فيقول الجبار تبارك وتعالى: ردوهم عليها

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية (٣/١٥٣).

(٢) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٢٨٨).

(٣) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٢٨٩).

(٤) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٣٩٠).

فيردونهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ [غافر: ٣٣]، أي: مانع يمنعكم، ويلقاهم وهجها قبل أن يدخلوها فتندر أعينهم فيدخلونها عميًا مغلولين في الأغلال، أيديهم وأرجلهم ورقابهم قال: قال رسول ﷺ: «**وخزنة جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب**»(١).

قال ابن زيد: ولهم مقامع من حديد يقمعون بها هؤلاء، فإذا قال: خذوه فيأخذه، كذا وكذا ألف ملك، فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صار تحت أيديهم رفاتا، العظام واللحم يصير رفاتًا. قال: فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الأغلال، وقال: فيلقون في النار مصفودين، فليس لهم شيء يتقون به إلا الوجوه فهم عمي قد ذهبت أبصارهم، ثم قرأ: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٢٤] الآية.

فإذا ألقوا فيها يكادون يبلغون قعرها يلقاهم لهبها فيردهم إلى أعلاها، حتى إذا كادوا يخرجون تلقتهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربونهم بها، فجاء أمر غلب اللهب فهووا كما هم أسفل السافلين، هكذا دأبهم وقرأ: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [السجدة: ٢٠]، فهم كما قال الله تعالى: ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية: ٣، ٤](٢).

والأنكال: القيود، عن الحسن ومجاهد واحدها: نكل وسميت القيود أنكالاً؛ لأنه ينكل بها، أي: يمنع. قال الهروي: الأصفاد: هي الأغلال، ويقال: القيود، أعاذنا الله منها بكرمه.

في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة

يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب، فينادي أصحاب الجنة أصحاب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (٢٩/٨٥)، السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٤٢).

النار: ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ [الأعراف: ٤٤] الآية، وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ [الأعراف: ٥٠] الآية، فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر النار.

قال بعض المفسرين: هو معنى قول الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة: ٢٠]. ذكره أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له. قال: ولعلك تقول: كيف يرى أهل الجنة أهل النار، وأهل النار أهل الجنة؟ وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من المسافة وغلظ الحجاب؟ فيقال لك: لا تقل هذا، فإن الله تعالى يقوي أسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضًا، ويسمع بعضهم كلام بعض، وهذا قريب في القدرة.

ما جاء أن في جهنم جبالاً وخنادق وأودية وبحارًا وصهاريج وآبارًا وجبابًا وتنانير وسجونًا وبيوتًا وجسورًا وقصورًا وأرحاء ونواعير وعقارب وحيات أجارنا الله منها وفي وعيد من شرب الخمر والمسكر وغيره

الترمذي: عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «**الصعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفًا، ويهوى فيه كذلك أبدًا**»(١). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

وقد تقدم من حديث أنس: «**أن من مات سكران، فإنه يبعث يوم القيامة سكران إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران**»(٢).

---

(١) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٧٦، ٢٣٢٦)، مسند الإمام أحمد (٧٥/٣)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٧٧)، زاد المسير (٤٠٦/٨)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤٦٧/٤)، كنز العمال للمتقي الهندي (٢٩٣٥).

(٢) لم أقف على تخريجه في ما بين يدي من مراجع.

واختلف العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ ﴾، فذكر ابن المبارك أخبرنا رشدين بن سعد، عن عمر بن الحارث أنه حدثه، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره**»[١].

والصعود: جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفًا ثم يهوي فيه كذلك.

قال: وأخبرنا سعيد بن أبي أيوب، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار قال: الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر، لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره. قال: وأخبرنا سفيان، عن زيد بن فياض، عن أبي عياض أنه قال: الويل: مسيل في أصل جهنم.

وذكر ابن عطية في تفسيره أن الويل: صهريج في جهنم من صديد أهل النار، قال: وحكى الزهراوي عن آخرين: أنه باب من أبواب جهنم.

وقال أبو سعيد الخدري: إنه واد بين جبلين يهوى فيه الهاوي أربعين خريفًا، ذكر ابن عطية، وقد تقدم رفعه.

وخرجه الترمذي أيضًا مرفوعًا عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**الويل: واد في وسط جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره**»[٢]. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة.

وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ [الواقعة: ٤٣] اليحموم: جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار ﴿ لَّا بَارِدٍ ﴾ [الواقعة: ٤٤]

---

(١) انظر طرف الحديث في: الزهد لابن المبارك (٩٦/٢).

(٢) انظر طرف الحديث في سنن الترمذي (٣١٦٤)، مسند الإمام أحمد (٧٥/٣)، مجمع الزوائد للهيثمي (١٣٥/٨)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤٦٥/٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٣٢٧/٣)، الدر المنثور (٨٢/١)، فتح الباري لابن حجر (٢٢٦/١)، كنز العمال للمتقي الهندي (٢٩٣٧)، المستدرك للحاكم (٥٩٦/٤)، كشف الخفاء للعجلوني (٤٧١/٢).

بل حار، لأنه من دخان شفير جهنم ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤٤] أي: لا عذب، عن الضحاك. وقال سعيد بن المسيب: ولا حسن منظره.

وذكر ابن وهب، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ مَّوْبِقًا ﴾ قال: واد في جهنم يقال له موبق. وقال عكرمة: هو نهر في جهنم يسيل نارًا، على حافتيه حيات مثل البغال الدهم، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار، وقال أنس بن مالك: هو واد في جهنم من قيح ودم.

وقال نوف البكالي في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [الكهف: ٥٢]، قال: واد في جهنم بين أهل الضلالة وبين أهل الإيمان.

وعن عائشة، رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سئلت عن قوله عز وجل ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]، قالت: نهر في جهنم، واختلفوا في الفلق في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١]، فروى ابن عباس أنه سجن في جهنم، وقال كعب: هو بيت في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره، ذكره أبو نعيم.

وذكر أبو نعيم عن حميد بن هلال قال: حدثت أن في جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض، تضيق على قوم بأعمالهم[1].

ابن المبارك، أخبرنا إسماعيل بن عياش، حدثنا ثعلبة بن مسلم، عن أيوب بن بشير، عن شفي الأصبحي قال: إن في جهنم جبلاً يدعى صعودًا، يطلع فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يرقاه، قال الله تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾، وإن في جهنم قصرًا يقال له: هواء، يرمى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفًا قبل أن يبلغ أصله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه: ٨١]، وإن في جهنم واديًا يدعى أثامًا، فيه حيات وعقارب، في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من سم، والعقرب منهن مثل البغلة المؤلفة، تلدغ الرجل فلا

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية (٢/٢٥٣).

تنهيه عما يجد من حر جهنم حمة لدغتها، فهو لما خلق له، وأن في جهنم سبعين داء لأهلها،، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم وأن في جهنم واديًا يدعى غيًا، يسيل قيحًا ودمًا، فهو لما خلق له، قال الله تعالى:.﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩][١].

.وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة، قال: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في جهنم بحرًا أسود مظلمًا منتن الريح، يغرق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره**»[٢].

وذكر أبو نعيم، عن محمد بن واسع قال: دخلت يومًا على بلال بن أبي بردة، فقلت يا بلال، إن أباك حدثني عن جدك عن رسول الله ﷺ قال: «**إن في جهنم واديًا يقال له: لملم، ولذلك الوادي بئر يقال له: هبهب، حق على الله تعالى أن يسكنها كل جبار، فإياك أن تكون منهم**»[٣].

ابن المبارك قال: حدثنا يحيى بن عبد الله قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن في جهنم واديًا يقال له لملم، وإن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره**»[٤].

مالك، عن أنس عن ابن شهاب، عن علي بن حسين، عن الحسين بن علي، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل مسكر خمر، وثلاثة غضب الله عليهم ولا ينظر إليهم ولا يكلمهم، هم في المنسا، والمنسا بئر في جهنم للمكذب بالقدر، والمبتدع في دين الله، ومدمن الخمر**»، ذكره الخطيب أبو بكر من حديث أحمد بن سليمان الخفاني القرشي الأسدي، عن مالك.

وذكر ابن وهب من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال:

---

(١) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٣٣٦).

(٢) انظر طرف الحديث في: مصنف ابن أبي شيبة (١٦٥/١٣)، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٢٠٨/١).

(٣) انظر طرف الحديث في: حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٥٦/٢)، سنن الدارمي (٢٨١٦).

(٤) انظر طرف الحديث في زوائد الزهد لابن المبارك (٣٣١).

قال رسول الله ﷺ: «**إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر على صورة الناس، يعلوهم كال شيء من الصغار، يساقون حتى يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له: بولس، يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال**»(١). أخرجه ابن المبارك.

أخبرنا محمد بن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**»(٢). أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن، قلت: طينة الخبال عرق أهل النار أو عصارتهم شراب أيضًا لمن شرب المسكر، جاء ذلك في صحيح البخاري.

وعن جابر: **أن رجلاً قدم من جيشان، وجيشان من اليمن، فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة، يقال له المزر، فقال رسول الله ﷺ «أمسكر هو؟»**. قال: نعم، قال: «**إن على الله عهدًا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**»، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عرق أهل النار أو عصارة أهل النار**»(٣).

وروي عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المدينة مهاجري، وفيها مضجعي ومنها مخرجي، وحق على أمتي حفظ جيراني فيها، ومن حفظ وصيتي كنت له شهيدًا يوم القيامة، ومن ضيعها أورده الله حوض الخبال**»،

---

(١) انظر طرف الحديث في: زوائد الزهد لابن المبارك (١٩١)، تفسير القرطبي (٩٥/١٠)، تفسير ابن كثير (١٠٢/٧).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٤٩٢)، مسند الإمام أحمد (١٧٨/٢)، الترغيب والترهيب (٣٨٨/٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٣٠٩/١، ٣٤٣/٨، ٤٥٣/١٠)، الدر المنثور (٣٣٣/٥).

(٣) انظر طرف الحديث في: سنن النسائي (المجتبى ٤٧)، مسند الإمام أحمد (٣٦١/٣).

قيل: وما حوض الخبال؟ قال: «**حوض من صديد أهل النار**»[١]، غريب من حديث خارجة بن زيد، عن أبيه، لم يروه عنه غير أبي الزناد، تفرد به عنه ابنه عبد الرحمن.

وروى الترمذي وأسد بن موسى عن علي بن أبي طالب، أن النبي ﷺ قال: «**تعوذوا بالله من جب الحزن**»، فقيل: يا رسول الله، وما جب الحزن؟ قال: «**واد في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة، أعده الله للقراء المرائين**»، وفي رواية «**أعده الله للذين يراءون الناس بأعمالهم**»[٢].

وقال الترمذي في حديث أبي هريرة: «**مائة مرة**»، قلنا: يا رسول الله، ومن يدخله؟ قال: «**القراء المراءون بأعمالهم**»، قال: حديث غريب، خرجه ابن ماجه أيضًا، عن أبي هريرة، ولفظه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعوذوا بالله من جب الحزن**»، قالوا: يا رسول الله، وما جب الحزن؟ قال: «**واد في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم أربعمائة مرة**». قيل: يا رسول الله، من يدخله؟ قال: «**أعد للقراء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء**»[٣]. قال المحاربي: الجورة.

وفي حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه عليه السلام قال: «**إن في جهنم لواديًا، إن جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادي في كل يوم سبع مرات، وإن في ذلك الوادي لجبًا، إن جهنم وذلك الوادي ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب، وإن في الجب لحية، إن جهنم والوادي وذلك الجب ليتعوذون**

---

(١) انظر طرف الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمي (٣/٣١٠).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٣٨٣)، سنن ابن ماجه (٢٥٦)، مجمع الزوائد (١٠/٣٨٨)، الدر المنثور (٤/٢٥٧)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٨/٢٦٣)، مشكاة المصابيح (٢٧٢٧٥)، تفسير القرطبي (١/١٨)، اللآلئ المصنوعة للسيوطي (٢/٢٤٥)، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٥/١٧٢٧).

(٣) انظر التخريج السابق.

بالله من شر الحية، أعدها الله للأشقياء من حملة القرآن»[1].

وقال أبو هريرة: إن في جهنم أرحاء تدور بعلماء السوء، فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا، فيقول: ما صيركم إلى هذا، وإنما كنا نتعلم منكم؟ قالوا: إنا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم إلى غيره.

قلت: وهذا مرفوع معناه في صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد، ﷺ، وسيأتي في من أمر بالمعروف ولم يأته.

وقال أبو المثنى الأملوكي: إن في النار أقوامًا يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير، ما لهم فيها راحة ولا فترة، قال محمد بن كعب القرظي: إن لمالك مجلسًا في وسط جهنم، وجسورًا تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها الحديث وسيأتي.

في بيان قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾

وفي ساحل جهنم ووعيد من يؤذي المؤمنين

ابن المبارك قال: أخبرنا رجل، عن منصور، عن مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: وكان معاوية بعثه على الجيوش، فلقي عدوًا، فرأى أصحابه فشلاً، فجمعهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، اذكروا نعمة الله عليكم، وذكر الحديث، وفيه: فإنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان، ها نورك يا فلان، لا نور لك، إن لجهنم ساحلاً كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبخت، وعقارب كالبغال الدهم، فإذا استغاث أهل النار قالوا: الساحل! فإذا ألقوا فيه، سلطت عليهم تلك الهوام، فتأخذ شفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم، تكشطها كشطًا، فيقولون: النار النار! فإذا ألقوا فيها سلط الله عليهم الجرب، فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه، وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعًا، قال: يقال: يا فلان، هل تجد هذا يؤذيك؟ فيقول:

---

(١) انظر طرف الحديث في: شعب الإيمان للبيهقي (١٩٩٠).

وأي شيء أشد من هذا؟ فيقال: هذا بما كنت تؤذي المؤمنين(١).

قال ابن المبارك: وأخبرنا سفيان بن عيينة، عن عمار الدهمني أنه حدثه، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: إن صعودًا صخرة في جهنم؟ إذا وضعوا أيديهم عليها ذابت، فإذا رفعوها عادت، اقتحامها: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾ [البلد: ١٣، ١٤](٢)، قال ابن عمرو وابن عباس: هذه العقبة جبل في جهنم.

وقال محمد بن كعب، وكعب الأحبار: هي سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن وقتادة: هي عقبة شديدة صعبة في النار دون الجسر، فاقتحموها بطاعة الله عز وجل، وقال مجاهد والضحاك والكلبي: هي الصراط، وقيل: النار نفسها.

وقال الكلبي أيضًا: هي جبل بين الجنة والنار، يقول: فلأجاوز هذه العقبة بعمل صالح، ثم بين اقتحامها بما يكون، فقال: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [البلد: ١٣] الآية.

وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين: معنى الكلام الاستفهام، تقديره، أفلا اقتحم العقبة، يقول: هلا أنفق ماله في فك الرقاب، وإطعام السغبان ليجاوز به العقبة، فيكون خيراً له من إنفاقه في المعاصي؟

وقيل: معنى الكلام التمثيل والتشبيه، فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وعمل صالحًا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة، وهي الذنوب التي تضره وتؤذيه وتثقله، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوبة الخالصة، كان كمن اقتحم عقبة يستوي عليها ويجوزها.

قلت: هذا حديث حسن، قال الحسن: هي والله عقبة شديدة، مجاهدة الإنسان نفسه وهواه، وعدوه الشيطان، وأنشد بعضهم:

إني بليت بأربع يرمينني ... بالنبل قد نصبوا عليّ شراكا
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... من أين أرجو بينهن فكاكا

(١) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٣٣٠).
(٢) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٣٣٤).

يـــا رب ســـاعدني بعفـــو إنني أصـــبحت لا أرجو لهن سواكا

وأنشد غيره أيضًا في معنى ذلك:

إني بلـــيت بأربـــع يـــرمينني بالنـــبل عـــن قوس لها توتير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى يا رب أنت على الخلاص قدير

وقال آخر:

إني بلـــيت بأربـــع ما سلطوا إلا لعظـــم بلـــيتي وشـــقائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

قلت: قال: فمن أطاع مولاه وجاهد نفسه وهواه، وخالف شيطانه ودنياه كانت الجنة نزله مأواه، ومن تمادى في غيه وطغيانه وأرخى في الدنيا زمام عصيانه، ووافق نفسه وهواه في مناه ولذاته، وأطاع شيطانه في جمع شهواته، كانت النار أولى به، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

ومعنى فلا اقتحم العقبة: أي لم يقتحم العقبة، وهذا خبر، أي أنه لم يفعل والعرب تقول: لا فعل بمعنى لم يفعل. قال زهير:

وكان طوى كشحا على سكينة فـــلا هـــو أبـــداها ولم يتقدم

أي: فلم يبدها.

ثم قال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ يقول للنبي ﷺ أي لم تكن تدريها حتى أعلمتك ما العقبة. ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أي عتق رقبة من الرق، ﴿ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾ مجاعة. ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أي قرابة، ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ يعني به اللاصق بالتراب من الحاجة. في تفسير الحسن.

وقال سفيان بن عيينة: كل شيء قال فيه: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾، فإنه أخبره به، وكل شيء قال فيه: وما يدريك، فإنه لم يخبره به.

وخرج الطبراني أبو القاسم سلمان بن أحمد في كتاب مكارم الأخلاق، عن علي بن أبي طالب، ﷺ قال: لأن أجمع أناسًا من أصحابي على صاع من طعام، أحب إلي أن أخرج إلى السوق فأشتري نسمة فأعتقها[١].

ما جاء في قوله تعالى

﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾

الوقود بفتح الواو على وزن الفعول بفتح الفاء: الحطب، وكذلك الطهور: اسم للماء، والسحور: اسم للطعام، وبضم الفاء: اسم للفعل وهو المصدر، والناس عموم، ومعناه: الخصوص ممن سبق عليه القضاء أنه يكون حطبًا لها، أجارنا الله منها. قال: حطب النار: شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات، قد طال منهن العويل.

ابن المبارك، عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ «**يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار، وحتى يخاض البحار بالخيل في سبيل الله تبارك وتعالى، ثم أتى أقوام يقرءون القرآن، فإذا قرءوه قالوا: من أقرأ منا؟ من أعلم منا؟**» ثم التفت إلى أصحابه فقال: «**هل ترون في أولئك من خير؟**» قالوا: لا! قال: «**أولئك منكم، وأولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار**»[٢].

خرجه عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن ابن الهادي، عن العباس بن عبد المطلب فذكره، والحجارة هي حجارة الكبريت، خلقها الله تعالى عنده كيف شاء، أو كما شاء، عن ابن مسعود وغيره، ذكره ابن المبارك عن عبد الله بن مسعود وخصت بذلك؛ لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب، سرعة الإيقاد ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت.

---

(١) ذكره البخاري في الأدب المفرد (٢٤٦).

(٢) انظر طرف الحديث في: الزهد لابن المبارك (١٩٢)، أمالي الشجري (١/٧٣، ٨٣)، كنز العمال للمتقي الهندي (٢٩١٢١)، تفسير القرطبي (١/١٨، ٤/٢٢).

وقيل: المراد بالحجارة: الأصنام، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، أي حطب، وهو ما يلقى في النار بما تذكى به، وعليه فيكون الناس والحجارة وقودًا للنار على التأويل الأول، وعلى التأويل الثاني يكونون معذبين بالنار والحجارة. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل مؤذ في النار**»، وفي تأويله وجهان:

أحدهما: أن كل من آذى الناس في الدنيا، عذبه الله في الآخرة بالنار.

الثاني: أن كل ما يؤذي الناس في الدنيا من السباع والهوام وغيرهما في النار معد لعقوبة أهل النار، وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة، والله أعلم.

ما جاء في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب أعمال الأعضاء

مسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث أيام للراكب المسرع**»[1].

الترمذي عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة**»[2]. قال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش، وفي رواية: «**وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة**»[3]،

---

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب الجنة (٤٤)، السنة لابن أبي عاصم (١/٢٧١)، السلسلة الصحيحة (٣/٩٦).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٧٧)، مستدرك الحاكم (٤/٥٩٥)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٤٨٤)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٧٥)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٠/٥١٧)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٥١٩).

(٣) انظر طرف الحديث في: مسند الإمام أحمد (٢/٣٣٤).

أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث غريب، وقال: مثل الربذة، يعني به كما بين مكة والمدينة، البيضاء جبل.

ابن المبارك، أنبأنا يونس، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: «ضرس الكافر يوم القيامة اعظم من أحد يعظمون لتمتلئ منهم وليذوقوا العذاب»[١].

أخبرنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: «ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، وجبينه مثل الورقان، ومجلسه من النار كما بيني وبين الربذة، وكثف بصره سبعون ذراعًا، وبطنه مثل إضم»[٢]. إضم بالكسر: جبل قال الجوهري.

قلت: والورقان: جبل بالمدينة كما روي عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «**فلما تجلى ربه للجبل صار ستة أجبال، فوقعت ثلاثة بمكة: ثور، وثبير، وحراء، وبالمدينة: أحد وورقان، ورضوى**»[٣].

وذكر ابن المبارك قال: أنبأنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ: «**بصر الكافر، يعنى غلظ جلده، سبعون ذراعًا، وضرسه مثل أحد في سائر خلقه**»[٤]. وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر وجسده دوي كدوي الوحش.

الترمذي، عن أبي المخارق، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس**»[٥].

---

(١) انظر طرف الحديث في: زوائد الزهد لابن المبارك (٣٠٣).

(٢) انظر طرف الحديث في: زوائد الزهد لابن المبارك (٣٠٤).

(٣) انظر طرف الحديث في: حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/٣١٤)، اللآلئ المصنوعة للسيوطي (١/ ١٤).

(٤) انظر طرف الحديث في: زوائد الزهد لابن المبارك (٣٠٥)؟

(٥) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٨٠)، جمع الجوامع للسيوطي (٥٧٨٥) مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٧٦)، الترغيب والترهيب (٤/٤٨٤)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٥١٤، ٣٩٥٣٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٠/٥١٧)، ميزان الاعتدال (٨٦٩٦).

مسلم، عن سمرة بن جندب، أن نبي الله ﷺ قال: **«منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته»**[1]. وفي رواية: حقويه مكان حجزته.

فصل: هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرد وعصى، ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وكفر، مساويًا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه، وذبه عنه وإحسانه إليه؟ وحديث مسلم، عن سمرة يصح أن يكون في الكفار، بدليل حديث أبي طالب، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين، إلا أن الله تعالى يميتهم إماتة حسب ما تقدم بيانه.

وفي خبر كعب الأحبار: يا مالك، مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرءون القرآن، يا مالك، قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم، فالنار أعرف بهم وبمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته، ومنهم من تأخذه إلى صدره، وذكر الحديث وسيأتي بكماله إن شاء الله تعالى.

وذكر القتبي في عيون الأخبار له، مرفوعًا عن أبي هريرة أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى إذا قضى بين خلقه وزادت حسنات العبد دخل الجنة، وإن استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة، ثم بعد ذلك يدخل الجنة، وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد، فيعذبون في النار على قدر أعمالهم، فمنهم من تنتهي له النار إلى**

---

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب الجنة (٣٣)، الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٨٢)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٤٨٨)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٧١)، السنة لابن أبي عاصم (٢/٤١١).

كعبه. **ومنهم من تنتهي إلى ركبتيه، ومنهم من تنتهي النار إلى وسطه**»(١)، وذكر الحديث.

وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان، أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩]، قال: أرى، والله أعلم أن هؤلاء الموصوفين في هذه الآية والحديث أهل التوحيد، فإن الكافر لا تعاف النار منه شيئًا، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر، شملته النار في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، أي أن ما فوقهم ظل لهم، وما تحتهم ظلل لمن تحتهم.

وروى ابن ماجه، عن الحارث بن أقيش، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعتي أكثر من مضر، وإن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها**»(٢).

ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذايتهم أهل النار بذلك

مسلم، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**»(٣).

وذكره قاسم بن أصبغ من حديث عبد الله بن مسعود أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيًا أو قتله نبي، أو مصور يصور التماثيل**»(٤).

---

(١) انظر طرف الحديث في: تنزيه الشريعة (٢/٣١٨).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن ابن ماجه (٤٣٢٣)، مستدرك الحاكم (١/٧١)، الترغيب والترهيب للمنذري (٣/٧٨)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٤٠٦٩).

(٣) انظر طرف الحديث في: صحيح البخاري (٧:٢١٥)، صحيح مسلم كتاب اللباس (٩١، ٩٨)، مسند تاريخ بغداد للخطيب (١٠/١٠٨)، الترغيب والترهيب (٤/٤٣)، جمع الجوامع (٦١٩٠)، البداية والنهاية لابن كثير (٦/١٥٤)، المعجم الكبير للطبراني (٤/١٢٩، ٢٣٣، ١٧/٣٦٧).

(٤) انظر طرف الحديث في: إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١/٣٠٣)، جمع الجوامع للسيوطي

وذكر أبو عمر بن عبد البر وابن ماجه وابن وهب من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالمًا لم ينفعه الله بعلمه**»[١]، إسناده فيه عثمان بن مقسم البزي، لم يرفعه غيره، وهو ضعيف عند أهل الحديث، معتزلي المذهب، ليس حديثه بشيء، قاله أبو عمر.

وذكر ابن وهب قال: حدثنا ابن زيد قال: يقال: إنه ليؤذي أهل النار نتن فروج الزناة يوم القيامة.

ابن المبارك قال: أخبرنا موسى بن علي بن رباح قال: سمعت أبي يذكر عن بعض من حدث، قال: ثلاثة قد آذوا أهل النار، وكل أهل النار في أذى: رجال مغلقة عليهم توابيت من نار وهم في أصل الجحيم، فيضجون حتى تعلو أصواتهم أهل النار، فيقول لهم أهل النار: ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ فقالوا: كنا متكبرين، ورجال قد شقت بطونهم يسحبون أمعاءهم في النار، فقال لهم أهل النار: ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ قالوا: كنا نقطتع حقوق الناس بأيماننا وأماناتنا، ورجال يسعون بين الجحيم والحميم لا يقرون، قيل لهم: ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ قالوا: كنا نسعى بين الناس بالنميمة[٢].

أخبرنا إسماعيل بن عياش، حدثني تغلب بن مسلم، عن أيوب بن بشير العلجي، عن شفي بن ماتع الأصبحي، عن رسول الله ﷺ قال: «**أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون بين الجحيم والحميم يدعون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من**

=

(٦١٩٣، ٦١٩٩)، الدر المنثور للسيوطي (١٧٤/٤)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٤٥٠٩)، الترغيب والترهيب للمنذري (١٦٩/٣).

(١) انظر طرف الحديث في: جامع العلم وفضله لابن عبد البر (١٦٢/١)، إتحاف السادة المتقين (١/ ٣٤٨)، كنز العمال للمتقي الهندي (٢٩٠٩٩)، ميزان الاعتدال (٥٥٦٨)، لسان الميزان لابن حجر (٣٦٤/٤)، الكامل في الضعفاء لابن عدي (١٨٠٧/٥).

(٢) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٣٢٧).

الأذى؟ قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحًا ودمًا، ورجل يأكل لحمه. قال: فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها قضاء، أو قال: وفاء. ثم يقال للذي يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه ثم لا يغسله، ثم يقال للذي يسيل فوه دمًا وقيحًا: ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان ينظر في كل كلمة قذيعة خبيثة فيذيعها ويستلذها ويستلذ الرفث بها، ثم يقال للذي أكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة»[1]. خرجه أبو نعيم الحافظ، وقال: تفرد به إسماعيل بن عياش، (وشفي) مختلف فيه فقيل: له صحبة.

قلت: وقد تقدم حديث البخاري الطويل عن سمرة بن جندب، وحديث ابن عباس وأبي هريرة وابن مسعود في باب ما يكون منه في عذاب القبر، وحديث أبي هريرة في اللذين تسعر بهم جهنم، وغير ذلك مما تقدم في معنى هذا الباب فتأمل ذلك.

وقد تقدم أن من أدان أموال الناس في غير سفه ولا إسراف، ولم يجد قضاء ونيته الأداء ومات، أن الله لا يحبسه عن الجنة ولا يعذبه، بل يرضى عنه خصماؤه إن شاء الله تعالى، ويكون الجميع في رحمته بكرمه وفضله، فأما من ادانها لينفقها في المعاصي، ثم لا يقدر على الأداء، فلعله الذي يعذب.

وفي عذاب من عذب الناس في الدنيا

أبو داود الطاليسي قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن

---

(١) انظر طرف الحديث في: أبي نعيم في الحلية (١٦٧/٥، ١٦٨)، معجم الطبراني الكبير (٧/ ٣٧٢)، الزهد لابن المبارك (٩٤/٢)، الترغيب والترهيب للمنذري (٦٠٥/٢)، مجمع الزوائد للهيثمي (٢٠٨/١)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٤٧٩/٧، ٥٣٨)، كنز العمال للمتقي الهندي (٤٣٩/٩).

ابن أبي نجيح، عن خالد بن حكيم، عن خالد بن الوليد، رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة، أشدهم عذابًا للناس في الدنيا**»(١).

وخرجه البخاري في التاريخ، فقال: حدثنا علي، حدثنا سفيان بن عمرو بن دينار، عن ابن أبي نجيح، عن خالد بن حكيم بن حزام، أن أبا عبيدة تناول رجلاً من أهل الأرمن، فكلمه خالد بن الوليد، فقالوا: أغضب الأمير؟ فقال: لم أرد غضبه. سمعت النبي ﷺ يقول: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة أشدهم عذابًا للناس في الدنيا**»(٢).

وخرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام، أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا على الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**»(٣).

ما جاء في شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه، وذكر الخطباء، وفيمن خالف قوله فعله وفي أعوان الظلمة كلاب النار

البخاري، عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيطوف به أهل النار، فيقولون: أي فلان! ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله**»(٤).

---

(١) انظر طرف الحديث في: أبي داود الطيالسي (١١٥٧).

(٢) انظر طرف الحديث في: البخاري في التاريخ الكبير (١٤٣/٣).

(٣) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب البر والصلة (١١٧، ١١٨، ١١٩)، سنن أبي داود (٣٠٤٥)، مسند الإمام أحمد (٤٠٤/٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٥/٩)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٣٥٢٢)، الترغيب والترهيب (٢١٧/٣).

(٤) انظر طرف الحديث في: صحيح البخاري (١٤٧/٤)، مسند الإمام أحمد (٢٠٥/٥، ٢٠٩)، البيهقي في السنن الكبرى (٩٥/١٠)، الترغيب والترهيب للمنذري (١٢٤/١)، إتحاف

وخرجه مسلم أيضًا بمعناه، عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه في النار، فيدور كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ابن فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى! كنت أمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»(١).

وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت ردت، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون**»(٢).

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد قال: سمعت أنسًا بن مالك، يقول قال: رسول الله ﷺ: «**رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قال: فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: خطباء، أي من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب**»(٣).

قال: وأخبرنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبي قال: «يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم في النار، فيقولون: ما أدخلكم النار، وإنما دخلنا الجنة بفضل

=

السادة المتقين للزبيدي (٣٩٧/٨، ٤٤٧، ٥٤٩)، كنز العمال للمتقي الهندي (٢٩٠٢٣)، تفسير ابن كثير (١٢٣/١)، الدر المنثور للسيوطي (٦٥/١)، السلسلة الصحيحة (٢٩٢).

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم (٢٩٨٩).

(٢) انظر طرف الحديث في: حلية الأولياء لأبي نعيم (٤٣/٨، ٤٤).

(٣) انظر طرف الحديث في: الزهد لابن المبارك (٨١٩)، مسند الإمام أحمد (٢٣٩/٣، ١٠/٥)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥١٤٩)، الدر المنثور للسيوطي (٦٤/١)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢٣٤/٣)، السلسلة الصحيحة للألباني (٢٩١)، شرح السنة للبغوي (٣٥٣/١٤)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٣٦٩/١).

تأديبكم وتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله»[١].

وذكر أبو نعيم الحافظ قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي قال: حدثنا سيار بن حاتم قال: حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يعافي الأميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء**»[٢]، هذا حديث غريب تفرد به سيار، عن جعفر، لم نكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل ﷺ.

قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن حمزة، حدثنا محمد بن علوش بن الحسين الجرجاني قال: حدثنا على بن المثني قال: حدثنا يعقوب بن خليفة أبو يوسف الأعشى قال: حدثني محمد بن مسلم الطائفي قال: حدثني إبراهيم بن ميسرة عن طاوس، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة كلاب النار**»[٣].

غريب من حديث طاوس، تفرد به محمد بن مسلم الطائفي، عن إبراهيم ابن ميسرة عن طاوس، الجلاوزة: جمع جلواز، قال الجوهري: والجلواز: الشرطي، والجمع: الجلاوزة.

فصل: قال بعض السادة: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل ملك عبدًا فعلمه شرائع الإسلام، فأطاع وأحسن وعصى السيد، فإذا كان يوم القيامة أمر بالعبد إلى الجنة، وأمر بسيده إلى النار، فيقول عند ذلك: واحسرتاه! واغبناه! أما هذا عبدي؟ أما كنت مالكًا لمهجته وماله؟ قادرًا على جميع ماله؟ فما له سعد، وما لي شقيت؟ فيناديه الملك الموكل به: لأنه تأدب وما تأدبت، وأحسن وأسأت، ورجل كسب مالاً فعصى الله تعالى في جمعه ومنعه، ولم يقدمه بين

---

(١) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٦٤).

(٢) انظر طرف الحديث في: حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٣١/٢)، جمع الجوامع للسيوطي (٥٢٦٨)، كنز العمال للمتقي الهندي (٢٨٩٨٤، ٢٩٠٩٨)، العلل المتناهية (١٣٣/١)، اللآلئ المصنوعة للسيوطي (١١٧/١)، ميزان الاعتدال (١٥٠٥).

(٣) انظر طرف الحديث في: الحلية لأبي نعيم (٢١/٤)، مجمع الزوائد للهيثمي (١٦٤/٨)، البداية والنهاية لابن كثير (٢٤٣/٩)، اللآلئ المصنوعة للسيوطي (١٠١/٢).

يديه حتى صار إلى وراثه، فأحسن في إنفاقه، وأطاع الله سبحانه في إخراجه، وقدمه بين يديه، فإذا كان يوم القيامة أمر بالوارث إلى الجنة، وأمر بصاحب المال إلى النار، فيقول: واحسرتاه! واغبناه! أما هذا مالي فما أحسنت به أحوالي وأعمالي، فيناديه الملك الموكل به، لأنه أطاع الله وما أطعت، وأنفق لوجهه وما أنفقت، فسعد وشقيت، ورجل علم قومًا ووعظهم، فعملوا بقوله ولم يعمل، فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة، وأمر به إلى النار، فيقول: واحسرتاه! واغبناه! أما هذا علمي؟ فما لهم فازوا به وما فزت؟ وسلموا به وما سلمت؟ فيناديه الملك الموكل به: لأنهم عملوا بما قلت وما عملت، فسعدوا وشقيت، ذكره أبو الفرج بن الجوزي.

فصل: قال إبراهيم النخعي، ﷺ : إني لأكره القصص لثلاث آيات، قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨].

قلت: وألفاظ هذه الآيات تدل على ما ذكرناه من الأحاديث، على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر، وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد مهما، أشد ممن لم يعلمه، وإنما كان كذلك، لأنه كالمستهين بحرمات الله، ومستحق لأحكامه، وهو كمن لم ينتفع بعلمه.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالمًا لم ينفعه الله بعلمه**»[1]، وقد تقدم.

وروى أبو أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، يجرون قصبهم في نار جهنم، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا**».

---

(١) سبق تخريجه.

وقوله: تندلق، أي تخرج، والاندلاق الخروج بسرعة، ويقال: اندلق السيف، خرج من غمده. وروى: فتنفلق، بدل فتندلق، والأقتاب: الأمعاء، واحدها قتب بكسر القاف، وقال الأصمعي: واحدها قتبة، ويقال لها أيضًا: الأقصاب، واحدها قصبة، قاله أبو عبيد.

وقد قال ﷺ: «**رأيت: عمرو بن لُحَي يجر قصبه في النار، وهو أول من سيب السوائب**»[1].

قلت: إن قال قائل: قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري أن من ليس من أهل النار إذا دخلوها أحرقوا فيها وماتوا، على ما ذكرتموه في أصح القولين، وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلاف، فكيف الجمع بينهما؟

قيل له: الجمع ممكن، وذلك، والله أعلم، أن أهل النار الذين هم أهلها كما قال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦]. قال الحسن: تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة، والعصاة بخلاف هؤلاء، فيعذبون وبعد ذلك يموتون.

وقد تختلف أيضًا أحوالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم، وقد قيل: إنه يجوز أن يكونوا متألمين، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف من آلام الكفار؛ لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء، دليله قوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]، فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى.

ومثله ما جاء في حديث البراء من قول الكافر: رب لا تقم الساعة، رب، لا تقم الساعة، رب، لا تقم الساعة، يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه، وقد يكون ما جاء في الخطباء هو عذابهم في القبور، في أعضاء

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح البخاري (٢٢٤/٤، ٦٩/٦)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٤٠٩٥)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٧٣/٥).

مخصوصة كغيرهم، كما جاء في حديث سمرة الطويل على ما تقدم. إلا أن قوله في حديث أسامة بن زيد: يوم القيامة، يدل على غير ذلك، والله أعلم، وقد يحتمل أن يجمعهم لهم الأمران لعظم ما ارتكبوه من مخالفة قولهم فعلهم، ونعوذ بالله من ذلك.

ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

قال الله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ [الحج: ١٩] وقال: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وقال: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ [الدخان ٤٣-٤٥]، وقال: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا ﴾ أي نومًا، ﴿ وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ: ٢٤-٢٦]،وقال: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال عز من قائل: ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ [الغاشية: ٥، ٦]، وقال: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦]. قال الهروي: معناه: من صديد أهل النار، وما ينغسل ويسيل من أبدانهم.

قلت: وهو الغساق أيضًا، وذكر ابن المبارك: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم وأبي رزين في قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص: ٥٧]، قالا: ما يسيل من صديدهم، وقيل: الغساق، القيح الغليظ المنتن[1].

وذكره ابن وهب، عن عبد الله بن عمر قال: الغساق: القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق في المغرب، أنتنت أهل المشرق، ولو أنها تهراق في المشرق، أنتنت أهل المغرب، وقيل: الغساق الذي لا يستطاع من شدة برده، وهو

(١) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٢٩٧).

الزمهرير.

وقال كعب: الغساق: عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فتستنقع، ويؤتى بالأدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام، فيجر لحمه في كعبيه كما يجر الرجل ثوبه. وقوله: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ: ٢٦]، أي وافق أعمالهم الخبيثة.

واختلف في الضريع، فقيل: هو النبت ينبت في الربيع، فإذا كان في الصيف يبس، واسمه إذا كان عليه ورقه: شبرق، وإذا تساقط ورقه فهو الضريع، فالإبل تأكله أخضر، فإذا يبس لم تذقه، وقيل: هو حجارة، وقيل: الزقوم واد في جهنم[1].

وقال المفسرون: إن شجرة الزقوم أصلها في الباب السادس، وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء، لابد لأهل النار من أن يتحدر إليها من كان فوقها فيأكلوا منها.

وقال أبو عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٥]، قال: بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها، والمهل: ما كان ذائبًا من الفضة والنحاس، وقيل: المهل عكر الزيت الشديد السواد، قوله تعالى: ﴿ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٥، ٤٦]، يعني الماء الشديد الحر.

ما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعائهم وإجابتهم

قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٠] الآية.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٣/١٠٣).

البيهقي، عن محمد بن كعب القرظي قال: لأهل النار خمس دعوات، يجيبهم الله في أربع، فإذا كان في الخامسة لا يتكلمون بعدها أبدًا، يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر: ١١]، قال فيجيبهم الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ﴾ [غافر: ١٢].

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٤].

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: ٣٧]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧].

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فلا يتكلمون بعدها أبدًا[(١)].

وخرجه ابن المبارك بأطول من هذا، فقال: أخبرنا الحكم بن عمر بن أبي ليلى، حدثني عامر قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: بلغني، أو ذكر

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره (١٨/٤٤).

لي، أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، فقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٩]، فسألوا يومًا واحدًا يخفف عنهم فيه العذاب، فردت عليهم الخزنة: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [غافر: ٥٠].

فيقولون: بلى، فردت عليهم الخزنة: ﴿ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر: ٥٠].

قال: فلما يئسوا مما عند الخزنة، نادوا مالكًا، وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

قال: اسألوا الموت، فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة.

قال: والسنة: ستون وثلاثمائة يوم، والشهر ثلاثون يومًا، واليوم: ﴿ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧].

ثم لحظ إليهم بعد الثمانين، فقال: ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

فلما سمعوا منه ما سمعوا وأيسوا مما قبله، قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، إنه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون، فهلم فلنصبر، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم، ثم جزعوا، فنادوا: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١]، أي من منجي.

قال: فقام إبليس عند ذلك، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ يقول: بمغن عنكم شيئًا، ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

قال: فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم، قال: فنودوا: ﴿ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر: ١٠، ١١].

قال: فرد عليهم: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

قال: فهذه واحدة، فنادوا الثانية: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢].

قال: فيرد عليهم: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة: ١٣].

يقول: لو شئت لهديت الناس جميعًا، فلم يختلف منهم أحد، ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٣، ١٤].

قال: فهذه اثنتان، فنادوا الثالثة: ﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

فيرد عليهم: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم: ٤٤ - ٤٦].

قال: فهذه الثلاثة، قال: ثم نادوا الرابعة: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: ٣٧].

قال: فيجيبهم: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧].

ثم مكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٥].

قال: فلما سمعوا صوته قالوا: الآن يرضى ربنا، فقالوا عند ذلك: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ ، أي الكتاب الذي كتب علينا، ﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ فقال عند ذلك: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦- ١٠٨]، فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء، ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الطور: ٢٥] ينبح بعضهم في وجه بعض وأطبقت عليهم.

قال: فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه لما ذكر له أن ذلك قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

قال ابن المبارك: وحدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، فذكره بن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، إن أهل جهنم يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يرد عليهم: ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

قال: هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك، قال: ثم يدعون ربهم، قال: فيقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧].

قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، قال: ثم يرد عليهم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨][1].

قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بصوت الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق، ومعنى ما نبس، ما تكلم.

---

(١) ذكره ابن المبارك في زوائد الزهد (٣١٩).

قال الجوهري: يقال: ما نبس بكلمة، أي ما تكلم، وما نبسَّ بالتشديد أيضًا، وقال الزاجر: إن كنت غير هالك فنبس

الترمذي، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**يلقى على أهل النار الجوع مع ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون، فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب، فيرفع إليهم الحميم بكلاليب من حديد، فإذا دنت من وجوههم، شوت وجوههم، فإذا دخلت على بطونهم قطعت ما في بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيقولون:** ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر: ٥٠]»، قال: «يقولون: ادعوا مالكًا، فيقولون: ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾»، قال «فيجيبهم: ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧]».

قال الأعمش: ثبت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام، قال: فيقولون ادعوا ربكم، فلا أحد خير من ربكم، قال: فيقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ قال: فيجيبهم: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾.

قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل[1]، رفعه قطبة بن عبد العزيز، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر، وهو ثقة عند أهل الحديث، والناس يوقفونه على أبي الدرداء.

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، عن قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، قال: «**تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى**

(١) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٨٦).

تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته»[(١)]، **«ولسرادق النار أربعة جدر، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة، ولو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا، لأنتن أهل الدنيا»**[(٢)]، قال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وعنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾، قال: **«كعكر الزيت، وإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه»**[(٣)]. قال أبو عيسى: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ورشدين قد تكلم فيه من جهة حفظه.

قلت: وقع هذا الحديث: «**فروة وجهه**»، وهو شاذ إنما يقال: فروة رأسه، أي جلدته، هذا هو المشهور عند أهل اللغة، وكذا جاء في حديث أبي إمامة.

وعن أبي حجيرة، عن أبي هريرة، ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: **«إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان»**[(٤)]. قال: هذا

---

(١) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٨٧، ٣١٧٦)، مسند الإمام أحمد (٣/٨٨)، شرح السنة للبغوي (١٥/٢٥٢)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/١٨٢)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٤٨٦)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٨٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/٤٩١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/١٦)، تفسير ابن كثير (٥/٤٩١)، تفسير القرطبي (١٢/١٥٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر طرف الحديث: سنن الترمذي (٢٥٨١، ٢٥٨٤، ٣٣٢٢)، المستدرك للحاكم (٢/٥٠١، ٤/٦٠٤)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٥٠٠)، تفسير الطبري (١٥/١٥٧، ٢٥/٧٩)، الدر المنثور للسيوطي (٤/٢٢٠)، تفسير ابن كثير (٥/١٥١)، تفسير القرطبي (١٠/٣٩٤)، مسند الإمام أحمد (٣/٧١).

(٤) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٣٥٨٢)، مسند الإمام أحمد (٢/٣٧٤)، مستدرك الحاكم (٢/٣٨٧)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٧٩)، الزهد لابن المبارك (٢/٨٧)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/١٨٢)، شرح السنة للبغوي (١٥/٢٤٤)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٤٧٧)، تفسير القرطبي (١٢/٢٧)، جمع الجوامع للسيوطي (٥٤٥٢)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٥١٥)، تفسير الطبري (١٧/١٠٠)، تفسير ابن كثير (٥/٤٠٢).

حديث حسن صحيح غريب.

وعن أبي أمامة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]، قال: «**يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره**، يقول الله تعالى: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩]، قال: هذا حديث غريب»[1].

وعن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

قال: قال رسول الله ﷺ «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه**». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، خرجه ابن ماجه أيضًا.

ما جاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذابًا فيها

ابن المبارك قال: أخبرنا عمران بن زيد الثعلبي، حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس، ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون، فلو أن سفنًا**

---

(١) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٨٣)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٨٠)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٠٠٢)، مسند الإمام أحمد (٥/٢٦٥)، سنن الدارمي (٢/٨٩)، المستدرك للحاكم (٢/٣٥١، ٤٥٧)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٤٧٨)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٠/٥١٦) الدر المنثور للسيوطي (٤/٧٤)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/١٨٢)، تفسير الطبري (١٥/١٥٨، ٢٦، ٣٢)، تفسير ابن كثير (٤/١٠٤، ٥/١٥١، ٧/١٧).

أجريت فيها لجرت»[(١)].

خرجه ابن ماجه أيضًا من حديث الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يرسل البكاء على أهل النار، فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم، حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود، ولو أرسلت فيها السفن لجرت**»[(٢)].

مسلم، عن النعمان بن بشير، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة، رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه**»[(٣)].

وروي عن أبي موسى الأشعري موقوفًا أنه قال: «**إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أجريت فيها السفن لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع، ولمثل ما هم فيه فليبك**».

قال المؤلف، رحمه الله وهو يستند من معنى ما تقدم: وفي التنزيل ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢].

وفي الترمذي من حديث أبي ذر، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**والله، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، فمن كثر بكاؤه خوفًا من الله تعالى وخشية منه، ضحك كثيرًا في الآخرة، قال الله تعالى مخبرًا عن أهل الجنة:** ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور: ٢٦]، ووصف أهل النار **فقال:** ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ [المطففين: ٣١]»، قال:

---

(١) انظر طرف الحديث في: زوائد الزهد لابن المبارك (٢٩٥)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ٤٩٣)، تفسير ابن كثير (١٣١/٤)، الدر المنثور للسيوطي (٢٦٥/٣)، مجمع الزوائد للهيثمي (٣٩١/١٠).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن ابن ماجه (٢٣٢٤)، الترغيب والترهيب للمنذري (٤٩٢/٤)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٥٢٦)، السلسلة الصحيحة (١٦٧٩).

(٣) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب الإيمان (٣٦٣)، سنن ابن ماجه (٢٦٠٤)، مسند الإمام أحمد (٢٧١/٤)، تفسير ابن كثير (٤٤٣/٨)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٨٠٠)، إتحاف السادة المتقين (٥١٢/١٠)، الدر المنثور (٣٢٥/٤، ٢٢/٦).

«**وكنتم منه تضحكون**»[١]، وسيأتي بيانه.

ما جاء أن لكل مسلم فداء من النار من الكفار

ابن ماجه قال: أخبرنا جبارة بن المغلس، حدثنا عبد الأعلى بن أبي المساور، عن أبي بردة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد ﷺ في السجود فسجدوا طويلاً، ثم يقال: ارفعوا رءوسكم، فقد جعلنا عدتكم فداءكم من النار**»[٢].

حدثنا جبارة بن المغلس، حدثنا كثير بن سليمان، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه الأمة أمة مرحومة، عذابها بأيديها، إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجلاً من المشركين، فيقال: هذا فداؤك من النار**»[٣].

قلت: هذان الحديثان، وإن كان إسنادها ليس بالقوي، قال الدارقطني: جبارة بن المغلس، متروك الحديث، فإن معناهما صحيح، بدليل حديث مسلم.

وعن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة، دفع الله لكل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقول: هذا فكاكك من النار**»[٤].

وفي رواية أخرى: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهوديًا أو نصرانيًا**»، قال: فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو

---

(١) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٣١٢)، دلائل النبوة لأبي نعيم (١٥٨)، البيهقي في السنن الكبرى (٢٦/١٠).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن ابن ماجه (٤٢٩١).

(٣) انظر طرف الحديث في: سنن ابن ماجه (٤٢٩٢).

(٤) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب التوبة (٤٩)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٥٥٢)، إتحاف السادة المتقين للمنذري (١٧٦/٩، ٥٥٨/١٠)، اللآلئ المصنوعة (٢/ ٤٤)، أمالي الشجري (١٧٥/٢)، تفسير ابن كثير (٤٥٩/٥).

ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ ، قال: فحلف له[١].

فصل: قال علماؤنا، رحمة الله عليهم: هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك، وإنما هي في ناس مذنبين تفضل الله تعالى عليهم برحمته ومغفرته، فأعطى كل إنسان منهم فكاكا من النار من الكفار، واستدلوا بحديث أبي بردة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى**»[٢].

وخرجه مسلم، عن محمد بن عمرو بن عياد بن جبلة بن أبي رواد، قال: حدثنا حرمي بن عمارة قال: حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي، عن عباس، عن غيلان بن جرير، عن أبي بردة، عن النبي ﷺ ، قالوا: وما معنى فيغفرها لهم؟ أي يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا.

ومعنى قوله: ويضعها على اليهود والنصارى، أنه يضاعف عليهم عذاب ذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبي المسلمين، لو أخذ بذلك؛ لأنه تعالى لا يأخذ أحدًا بذنب أحد، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الزمر: ٧]، وله سبحانه أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفف عمن يشاء بحكم إرادته ومشيئته، إذ لا نسأل عن فعله.

قالوا: وقوله في الرواية الأخرى: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه يهوديًا أو نصرانيًا**»، فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكانًا من النار بسبب ذنوبه، وعفا الله عنه، وبقي مكانه خاليًا منه، أضاف الله تعالى ذلك المكان إلى يهودي أو نصراني ليعذب فيه، زيادة على تعذيب مكانه الذي يستحقه بحسب كفره، ويشهد لهذا قوله عليه السلام في حديث أنس للمؤمن الذي يثبت عند السؤال في القبر، فيقال له: «**انظر إلى مقعدك من النار**

---

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب التوبة (٥١)، تفسير ابن كثير (٤٥٩/٥)، كنز العمال للمتقي الهندي (٢٠٣٤١).

قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة»[١].

قلت: قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنبًا كان أو غير مذنب منزلين منزلاً من الجنة، ومنزلاً من النار، وذلك هو معنى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠]، أي يرث المؤمنون منازل الكفار، ويجعل الكفار في منازلهم في النار على ما يأتي بيانه، وهو مقتضى حديث أنس، عن النبي ﷺ: «**إن العبد إذا وضع في قبره**»[٢] الحديث، وقد تقدم، إلا أن هذه الوراثة تختلف، فمنهم من يرث ولا حساب، ومنهم من يرث بحسابه وبمناقشته، وبعد الخروج من النار، حسب ما تقدم من أحوال الناس.

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ [الزمر: ٧٤].

في قوله تعالى: ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾

مسلم، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا، فيسكنهم فضل الجنة**»[٣].

وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة: «**فأما النار، فلا تمتلئ حتى**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر طرف الحديث في: صحيح البخاري (١٦٨/٨)، صحيح مسلم كتاب الجنة باب (١٣) حديث رقم (٣٧، ٣٨)، سنن الترمذي (٣٢٧٢)، مسند الإمام أحمد (٢٣٤/٣)، كنز العمال للمتقي الهندي (١١٧١، ١١٧٣، ٣٩٤٧٩)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٦٩٥)، الدر المنثور للسيوطي (١٠٧/٦)، فتح الباري لابن حجر (٥٩٥/٨)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢٧/٥).

يضع الله عليها رجله، فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا»[1].

فصل: للعلماء في قول النار: ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ تأويلان، أحدهما: وعدها ليملأنها، فقال: أوفيتك؟ فقالت: وهل من مسلك؟ أي: قد امتلأت، كما قال: امتلأ الحوض، وقال: قطني مهلاً رويدًا قد ملأت بطني، وهذا تفسير مجاهد وغيره، وهو ظاهر الحديث الثاني: زدني، تقول ذلك غيظًا على أهلها وحنقًا عليهم، كما قال: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [الملك: ٨]، أي تنشق، ويبين بعضها من بعض.

وقوله: «**حتى يضع قدمه**»، وفي رواية أخرى: «**حتى يضع عليها قدمه**»، وفي أخرى، «**رجله**»، ولم يذكر: «**فيها**»، ولا: «**عليها**»، فمعناه عبارة عمن تأخر دخوله في النار من أهلها، وهم جماعات كثيرة، لأن أهل النار يلقون فيها فوجًا فوجًا، كما قال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك: ٨].

ويؤيده أيضًا قوله في الحديث: «**لا يزال يلقى فيها**»، فالخزنة تنظر أولئك المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم و أوصافهم، كما روي عن ابن مسعود أنه قال: ما في النار، بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه، فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته، فإذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره، ولم يبق منهم أحد، قالت الخزنة: قط قط، أي حسبنا حسبنا، اكتفينا اكتفينا، وحينئذ تنزوي جهنم على من فيها وتنطبق، إذ لم يبق أحد ينتظر، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم، لا إن الله جسم من الأجسام، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل، فتقول: جاءنا رجل من جراد ورجل من الناس، أي جماعة منهم، والجمع: أرجل.

---

(١) انظر التخريج السابق.

ويشهد لهذا التأويل قوله في نفس الحديث: «**ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقًا فيسكنهم فضل الجنة**»، وفي الحديث تأويلات أتينا عليها في الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرناه، وفي التنزيل: ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢]، قال ابن عباس: المعنى منزل صدق، وقال الطبري: معنى ﴿ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ عمل صالح، قيل: هو السابقة الحسنة، فدل على أن القدم ليس حقيقة في الجارحة، والله الموفق.

قال ابن فورك: وقال بعضهم: القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدمًا ويضيفه إليه من طريق الفعل يضعه في النار، فتمتلئ النار منه، والله أعلم.

قلت: وهذا نحو ما قلناه في الرجل، قال الشاعر:

فمر بنا رجل من الناس وانزوى ... إليهم من الحي اليماني أرجل

قبائل من لخم وعك وحمير على ... ابني نزار بالعداوة أحفل

وقال آخر:

يرى الناس أفواجًا إلى باب داره ... كأنهم رجلا دبا وجراد

فيوم لإلحاق الفقير بذي الغنى ... ويوم رقاب بوركت بحصاد

الدبا: الجراد قبل أن يطير، والله أعلم.

ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

مسلم، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل النار دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبوًا، فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يارب، وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي؟ أو أتضحك بي وأنت الملك؟** قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى

بدت نواجذه، قال: فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»[١].

وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أي رب، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله تعالى: يا ابن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب! ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، لعلي إذا أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه، فإذا أدناه منها ترفع شجرة عند باب الجنة أحسن من الأوليين، فيقول مثله، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أي رب، أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟**»، فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مما أضحك؟ فقالوا: مما تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: **من ضحك رب العالمين، فيقول: «إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قدير»**[٢].

---

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم (١٧٣، ١٧٤)، سنن ابن ماجه (٤٣٣٩)، فتح الباري (٤١٨/١١)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٥٨٦)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٤٢٢).

(٢) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب الإيمان (٣١٠)، مسند الإمام أحمد (٤١٠/١)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٥٥٧/٨، ٤٨٤/١٠)، مع الجوامع (١٢،١٦)، كشف الخفاء للعجلوني (١٤/١، ٩٥/٢)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٥٨٢)، السلسلة الضعيفة للألباني (٢٧٧)، شرح السنة للبغوي (١٨٦/١٥)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٤/٨،

وقال ابن عمر، عن النبي ﷺ: «**آخر من يدخل الجنة من رجل من جهينة، يقال له جهينة، تقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين**»، ذكره الميانشي أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي في كتاب الاختيار له في الملح من الأخبار والآثار.

ورواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم قال: حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين، سلوه: هل بقي من الخلائق أحد؟**»، ورواه الدارقطني أيضًا في كتاب رواه مالك، ذكره السهيلي، وقد قيل: إن اسمه هناد، والله أعلم.

فصل قوله: أتستهزئ مني؟ وفي رواية: أتسخر؟ والهزوء والسخرية بمعنى واحد وفيه تأويلان:

أحدهما: أنه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه واستخفافه إياه، كما غلط الذي قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**»[1] خرجه مسلم.

الثاني: أن يكون معناه: أتجازيني على ما كان مني في الدنيا من قلة احتفالي بأعمالي، وعدم مبالاتي بها؟ فيكون هذا على وجه المقابلة، كما قال الله تعالى مخبرًا عن المنافقين: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]، أي ينتقم منهم ويجازيهم على استهزائهم، والاستهزاء في اللغة: الانتقام. قال الشاعر:

قد استهزءوا منهم بألفي مدجج ... سراتهم وسط الضحاضح جثم

ومثله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤] الآية، وهو كثير، وسيأتي لبيان الاستهزاء من الله مزيد بيان، والضحك من الله تعالى راجع إلى معنى الرضا عن العبد، فاعلم ذلك.

=

٣٩٤٣٠، ٣٩٤٣٣).

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم (٢٧٤٧).

ما جاء في خروج الموحدين من النار
وذكر الرجل الذي ينادي: يا حنان يا منان
وبيان قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾
وفي أحوال أهل النار

خرج الطبراني أبو القاسم قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا محمد بن عباد المكي، حدثنا حاتم بن إسماعيل بن بسام الصيرفي عن يزيد الفقير، عن رجل، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «**إن ناسًا من أمتي يدخلون النار بذنوبهم، فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك، فيقولون: ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار**»[1]، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢].

وروي أبو ظلال، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن عبدًا في جهنم ينادي ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله تعالى لجبريل: ائت عبدي فلانًا، فينطلق جبريل عليه السلام، فيرى أهل النار منكبين على وجوههم، قال: فيرجع فيقول: يا رب، لم أره، فيقول الله تعالى: إنه في مكان كذا وكذا، قال: فيأتيه فيجيء به، فيقول له: يا عبدي، كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: فيقول: شر مكان، وشر مقيل، قال: فيقول ردوا عبدي، قال: فيقول: يا رب، ما كنت أرجو أن تردني إذ أخرجتني منها، فيقول الله تعالى: دعوا عبدي**»[2].

وأبو ظلال هذا اسمه هلال بن أبي مالك القسملي، يعد في البصريين.

وعن سعيد بن جبير قال: «إن في النار لرجلاً، أظنه في شعب من شعابها،

---

(١) انظر طرف الحديث في: مجمع الزوائد للهيثمي (٧/٤٥).

(٢) انظر طرف الحديث في: حسن الظن لابن أبي الدنيا (١٠٨).

ينادي مقدار ألف عام: يا حنان يا منان، فيقول رب العزة لجبريل: أخرج عبدي من النار، فيأتيها فيجدها مطبقة، فيرجع: فيقول يا رب، إنها عليهم مؤصدة، فيقول: يا جبريل، ارجع ففكها فأخرج عبدي من النار، فيفكها فيخرج مثل الخيال، فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعرًا ولحمًا ودمًا»[(١)]. ذكره أبو نعيم.

وروى ليث: عن مجاهد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي**»[(٢)]، الحديث وقد تقدم، وفيه بعده.

وقوله: وأطولهم مكثًا من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت، وذلك سبعة آلاف سنة.

ثم إن الله إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان فقالوا لهم: كنا وأنتم وآباؤنا جميعًا في الدنيا، فآمنتم وكفرنا، وصدقتم وكذبنا وأقررتم وجحدنا، فما أغني ذلك عنكم، نحن وأنتم اليوم فيها سواء، تعذبون كما نعذب، وتخلدون فيها كما نخلد، فيغضب الله عند ذلك غضبًا شديدًا لم يغضب مثله من شيء فيما مضى، ولا يغضب من شيء فيما بقي، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والنار والصراط، يقال لها: نهر الحياة، فيرش عليهم من الماء، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فما يلي الظل منها أخيضر، وما يلي الشمس منها أصيفر، ثم يدخلون، فيكتب على جباههم: هؤلاء عتقاء الله من النار، إلا رجلاً واحدًا يمكث فيها ألف سنة، ثم ينادي يا حنان يا منان فيبعث الله إليه ملكًا فيخوض في النار في طلبه سبعين عامًا لا يقدر عليه، ثم يرجع فيقول: إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانًا من النار منذ سبعين عامًا فلم أقدر عليه، فيقول الله تعالى: انطلق فهو في وادي تحت صخرة فأخرجه فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة.

---

(١) انظر طرف الحديث في: حلية الأولياء لأبي نعيم (٤/٢٨٥).

(٢) سبق تخريجه.

ثم إن الجهنميين يطلبون من الله تعالى أن يمحو عنهم ذلك الاسم، فيبعث الله ملكًا فيمحوه عن جباههم.

ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين: اطلعوا إلى أهل النار، فيطلعون إليهم، فيرى الرجل أباه ويرى جاره وصديقه، ويرى العبد مولاه، ثم إن الله تعالى يبعث إليهم الملائكة بأطباق من نار، ومسامير من نار، وعمد من نار، فتطبق عليهم بتلك الأطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم، ولا يستغيثون بعدها أبدًا وينقطع، فيكون كلامهم زفيرًا وشهيقًا، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة: ٨، ٩]، وقال ابن مسعود: في عمد، أي بعمد، وكذا في مصحفه: إنها عليهم مؤصدة بعمد.

وخرج أبو نعيم الحافظ، عن زاذان قال: سمعت كعب الأحبار يقول: إذا كان يوم القيامة، جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فنزلت الملائكة، فصاروا صفوفًا، فيقول الله لجبريل: ائت بجهنم، فيجيء بها تقاد بسبعين ألف زمام، حتى إذا كانت في الخلائق على قدر مائة عام، زفرت زفرة طارت أفئدة الخلائق، ثم زفرت زفرة ثانية، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه، ثم تزفر الثالثة، فتبلغ القلوب الحناجر، وتذهب العقول، فيفزع كل امرئ إلى عمله، حتى إن إبراهيم الخليل يقول: بخلتي لا أسألك إلا نفسي، ويقول موسى: بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي، ويقول عيسى: بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني، ومحمد ﷺ يقول: «**أمتي أمتي، لا أسألك اليوم نفسي، وإنما أسألك أمتي**»[1].

قال: فيجيبه الجليل جل جلاله: إن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فوعزتي وجلالي لأقرن عينك في أمتك، ثم يقف الملائكة بين يدي الله تعالى ينظرون ما يؤمرون به، فيقول لهم تعالى وتقدس: معاشر الزبانية،

(١) سبق تخريجه.

انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ إلى النار، فقد اشتد غضبي عليهم بتهاونهم بأمري في دار الدنيا، واستخفافهم بحقي، وانتهاكهم حرمتي، ويستخفون من الناس ويبارزونني مع كرامتي لهم وتفضيلي إياهم على الأمم، ولم يعرفوا فضلي وعظيم نعمتي، فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء، فينطلق بهم إلى النار، وما من عبد يساق إلى النار، من غير الأمة، إلا مسود وجهه، وقد وضعت الأنكال في رجليه والأغلال في عنقه، إلا من كان من هذه الأمة، فإنهم يساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال لهم: معاشر الأشقياء، من أي أمة أنتم؟ فما ورد عليّ أحسن وجوهًا منكم! فيقولون: يا مالك، نحن من أمة القرآن، فيقول لهم: يا معشر الأشقياء، أو ليس القرآن أنزل على محمد ﷺ؟ قال: فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء، فيقولون: وامحمداه! وامحمداه! وامحمداه! اشفع لمن أمر به إلى النار من أمتك.

قال: فينادي مالك بتهدد وانتهار: يا مالك، من أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ومحادثتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب؟ يا مالك، لا تسود وجوههم، فقد كانوا يسجدون لي في دار الدنيا، يا مالك، لا تغلهم بالأغلال، فقد كانوا يغتسلون من الجنابة، يا مالك، لا تعذبهم بالأنكال، فقد طافوا ببيتي الحرام، يا مالك، لا تلبسهم القطران، فقد خلعوا ثيابهم للإحرام، يا مالك، مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرءون القرآن، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم، فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره، ومنهم دون ذلك، فإذا انتقم الله عز وجل منهم على قدر كبائرهم وعتوهم وإصرارهم، فتح بينهم وبين المشركين بابًا، فرأوهم في الطبق الأعلى من النار، لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا، يبكون ويقولون: يا محمداه، ارحم من أمتك الأشقياء واشفع لهم، فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم، ثم ينادون: يا رباه، يا سيداه، ارحم من لم يشرك بك في دار الدنيا، وإن كان قد أساء وأخطأ وتعدى، فعندها يقول المشركون: ما أغنى عنكم إيمانكم بالله وبمحمد شيئًا، فيغضب الله تعالى لذلك،

عندها يقول: يا جبريل، انطلق فأخرج من في النار من أمة محمد، فيخرجهم ضبائر قد امتحشوا، فيلقيهم على نهر على باب جهنم يقال له: نهر الحياة، فيمكثون حتى يعودوا أنضر ما كانوا، ثم يأمر بإدخالهم الجنة مكتوبًا على جباههم: هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد ﷺ فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك، فيتضرعون إلى الله عز وجل أن يمحو عنهم تلك السمة، فيمحوها الله تعالى عنهم، فلا يعرفون بها بعد ذلك أبدًا[1].

وذكر أبو نعيم الحافظ، عن أبي عمران الجوني قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة، أمر الله بكل جبار وكل شيطان، كل من يخاف الناس شره في الدنيا، فيوثقون بالحديد، ثم أمر بهم إلى النار، ثم أوصدها عليهم، أي أطبقها، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبدًا، لا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبدًا، ولا والله لا تلتقي جفونهم على غمض نوم، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدًا.

قال: ثم يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب، فلا تخافوا شيطانًا ولا جبارًا، وكلوا واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية، قال أبو عمران: إن هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه.

فصل: قوله: فيرش عليهم من الماء، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل وجاء في حديث أبي سعيد الخدري المتقدم، ثم يقال: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم من الماء والمعنى واحد. والنبات معروف، وهو خروج الشيء، والحبة بكسر الحاء، بذور البقول، وحميل السيل: ما احتمله من طين وغثاء، فإذا اتفق أن يكون فيه حبة، فإنها تنبت في يوم وليلة، وهي أسرع نابتة نباتًا، فشبه النبي ﷺ سرعة نبات أجسادهم بسرعة نبات تلك الحبة، وفي التنزيل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج: ٦٣]، وتقدم الكلام في نحو ذلك الاسم.

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية (٣١٢/٢).

وقوله: وأطولهم مكثًا من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت، وذلك سبعة آلاف سنة.

واختلف في انقضاء هذا العالم، وفي مدة الدنيا، وأكثر المنجمون في ذلك، فقال بعضهم: عمر الدنيا سبعة آلاف بعدد النجوم السيارة، لكل واحد ألف سنة، وقال بعضهم: بأنها اثنتا عشرة ألفا بعدد البروج، لكل برج ألف سنة، وقال بعضهم : ثلاثمائة وستون ألف سنة بعدد درجات الفلك لكل درجة ألف سنة.

وقوله: إلا رجلاً واحدًا يمكث فيها ألف سنة ثم ينادي: يا حنان يا منان. الحنان: الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنان: الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو: روي ذلك عن علي، ﷺ ، وقد ذكرنا ذلك في كتاب الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا مستوفى والحمد لله، وقد تقدم الكلام في نحو ذلك الاسم عنهم، فلا معنى لإعادته.

وقوله: وينساهم على عرشه، أي يتركهم في العذاب، كما قال: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي تركوا عبادته وتوحيده فتركهم، والعرش في كلام العرب له محامل كثيرة قد أتينا عليها في كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، منها الملك كما قال زهير:

تداركـــتما عبسا وقد ثل عرشها ... وذبـــيان إذ زلت بأقدامها النعل

وقال آخر:

بعد ابن جفنة وابن هاتك عرشه ... والحـــارثين يؤملـــون فلاحـــا

وتقول العرب: ثل عرش فلان، إذا ذهب عزه وسلطانه وملكه، فالمعنى: وينساهم الرحمن على عرشه، أي بما هو عليه من الملك والسلطان والعظمة والجلال، لا يعبأ بهم ولا يلتفت إليهم لما حكم به في الأزل عليهم من خلودهم في النار، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

وأجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها، كإبليس وفرعون وهامان وقارون، وكل من كفر وتكبر وطغى، فإن له جهنم لا

يموت فيها ولا يحيا، وقد وعدهم الله عذابًا أليمًا، فقال عز وجل: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦]، وأجمع أهل السنة أيضًا على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد إلا كافر جاحد فاعلم.

قلت: وقد زل هنا بعض من ينتمي إلى العلم والعلماء، فقال: إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة، فإنه جائز في العقل أن تنقطع صفة الغضب فيعكس عليه، فيقال: وكذلك جائز في العقل أن تنقطع صفة الرحمة، فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها، وهذا فاسد مردود بوعده الحق، وقوله: الصدق، قال الله تعالى في حق أهل الجنان: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨]، أي غير مقطوع، وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال: ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [الانشقاق: ٢٥]، وقال: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٢١، ٢٢]، وقال في حق الكافرين: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وقال: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الجاثية: ٣٥]، وهذا واضح، وبالجملة فلا مدخل للمعقول فيما اقتطع أصله الإجماع والرسول، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

ذكر الرجل الذي ينادي: يا حنان يا منان، وبيان قوله تعالى

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾

ذكر ابن المبارك قال: أخبرنا الكلبي، عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥]، قال: يقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا،

فتفتح لهم أبواب النار، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [المطففين ٣٤-٣٦].

قال ابن المبارك: وأخبرنا محمد بن بشار، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ قال: ذكر أن كعبًا كان يقول: إن بين الجنة والنار كوىً، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له في الدنيا اطلع من بعض الكوى، قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٥٥]، قال: ذكر لنا أنه يطلع فيرى جماجم القوم تغلي.

أخبرنا معمر، عن قتادة قال: قال بعض العلماء: لولا أن الله عز وجل عرفه إياه ما عرفه، ولقد تغير حبره وسبره، فعند ذلك يقول: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥٦، ٥٧] في النار.

والحبر والسبر: اللون والهيئة. من قولهم: جاءت الإبل حسنة الأحبار والأسبار، قاله الفراء. وقال الأصمعي: وهو البهاء والجمال وأثر النعمة،ويقال: فلان حسن الحبر والسبر، إذا كان جميلاً حسن الهيئة. قال ابن أحمد:

لبسنا حبرة حتى اقتضينا لأجال وأعمار قضينا

ويقال أيضًا: فلان حسن الحبر والسبر، بالفتح وهذا كله مصدر قولك: حبرته تحبيرًا، والأول اسم، وتحبير الخط والشعر وغيرهما، تحسينه وتزيينه.

المستهزئون بعباد الله تعالى

روى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المستهزئين بعباد الله في الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم، وتفتح**

الثانية، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم، وتفتح لهم الثالثة، فيدعون فلا يجيبون، قال: فيقول لهم الرب: أنتم المستهزئون بعبادي؟ أنتم آخر الناس حسابًا، فيقومون حتى يغرقوا في عرقهم، فينادون: يا ربنا، إما صرفتنا إلى جهنم، وإما إلى رضوانك»[1].

وقال رسول الله ﷺ : «**يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها، ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، نودوا أن: اصرفوهم عنها، لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: يا ربنا، لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، وقال: ذلك أردت بكم، وكنتم إذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب**»[2]. ذكره أبو حامد رحمه الله.

ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

جاء في الخبر عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنة ومسكنًا في النار، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار، ويجعل الكفار في منازلهم من النار**»[3].

وخرجه ابن ماجه بمعناه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما**

---

(١) انظر طرف الحديث في: المغني عن حمل الأسفار للعراقي (١٢٨/٣)، الترغيب والترهيب للمنذري (٦١١/٣)، جمع الجوامع للسيوطي (٥٨٨٩).

(٢) انظر طرف الحديث في: المعجم الكبير للطبراني (٨٦/١٧)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ١٢٥)، الموضوعات لابن الجوزي (١٦٢/٣)، تذكرة الموضوعات لابن القيسراني (١٠٤٣).

(٣) ذكره القرطبي، المصنف، في تفسيره (١٩٨/١٢)، ولم أقف على تخريجه فيما بين يديه من مراجع.

منكم من أحد إلا له منزلان، منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله»[١]، فذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠]، إسناده صحيح.

قلت: وهذا بين في أن لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار كما تقدم. وقد قال ههنا: ما منكم، فخاطب الكرام المنزهين عن الذنوب العظام الموجبة للنيران، ﷺ، وسيأتي لهذا مزيد بيان في أبواب الجنان إن شاء الله تعالى.

ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه

البخاري، عن ابن عمر، ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»**[٢].

مسلم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: نعم! هذا الموت، قال: ثم يقال: يا أهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون، فيقولون: نعم! هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت فيها، ثم قرأ رسول الله ﷺ:** ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ

---

(١) انظر طرف الحديث في: سنن ابن ماجه (٤٣٤١).

(٢) انظر طرف الحديث في: صحيح البخاري (١٤٢/٨)، مسند الإمام أحمد (١١٨/٢)، مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٥٩١)، كنز العمال للمتقى الهندي (٣٩٤٥٠)، حلية الأولياء لأبي نعيم (١٣٨/٨)، الترغيب والترهيب (٥٦٥/٤)، الزهد لابن المبارك (٧٩/٢)، فتح الباري لابن حجر (٤١٥/١١)، الكامل في الضعفاء لابن عدى (١٦٨٠/٥).

وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا»[١].

وأخرجه أبو عيسى الترمذي، عن أبي سعيد الخدري يرفعه قال: «**إذا كان يوم القيامة، أتي بالموت كالكبش الأملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيذبح وهم ينظرون، فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة، ولو أن أحدًا مات حزنًا لمات أهل النار**»[٢]. قال: هذا حديث حسن صحيح.

وذكر ابن ماجه في حديث فيه طول عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالموت يوم القيامة، فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم! هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبدًا**»[٣].

خرجه الترمذي بمعناه مطولاً، عن أبي هريرة أيضًا، وفيه: «**فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، أتي بالموت ملبًا، فيوقف على السور الذي بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: عرفناه، هو الموت الذي وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحًا على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت**»[٤]. قال: هذا حديث حسن صحيح.

فصل: قلت: هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال في كتابه الكريم وأوضح فيه عن عذاب الكافرين:

---

(١) انظر طرف الحديث في: صحيح مسلم كتاب الجنة (٤٣).

(٢) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٥٨)، كنز العمال للمتقي الهندي (٣٩٤٥١).

(٣) انظر طرف الحديث في: سنن ابن ماجه (٤٣٢٧).

(٤) انظر طرف الحديث في: سنن الترمذي (٢٥٥٧).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]، وقال: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء: ٥٦]، وقال: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [الحج: ١٩-٢٢]، وقد تقدمت هذه المعاني كلها.

فمن قال: إنهم يخرجون منها، وأن النار تبقى خالية، بجملتها خاوية على عروشها، وأنها تفنى وتزول، فهو خارج من مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول، ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، وإنما نخلي جهنم وهي الطبقة العليا التي فيه العصاة من أهل التوحيد، وهي التي ينبت على شفيرها فيما يقال الجر جير، قال فضل بن صالح المعافري: كنا عند مالك بن أنس ذات يوم، فقال لنا: انصرفوا، فلما كان العشية رجعنا إليه، فقال: إنما قلت لكم انصرفوا؛ لأنه جاءني على رغم أنه قدم من الشام في مسألة، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في أكل الجر جير، فإنه يتحدث عنه أن ينبت على شفير جهنم؟ فقلت له: لا بأس به فقال: أستودعك الله وأقرأ عليك السلام. ذكره الخطيب أبو بكر أحمد، رحمه الله.

وذكر أبو بكر البزار، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «يأتي على النار زمان تنفق الرياح أبوابها، ليس فيها أحد يعني من الموحدين»، هكذا رواه من قول عبد الله بن عمرو، وليس فيه ذكر النبي ﷺ، ومثله لا يقال من جهة الرأي، فهو مرفوع.

فصل: قد تقدم أن الموت معني، والكلام في ذلك وفي الأعمال، وأنها لا

تنقلب جوهرًا، بل يخلق الله أشخاصًا من ثواب الأعمال، وكذلك يخلق الله كبشًا يسميه الموت، ويلقي في قلوب الفريقين أن هذا هو الموت، ويكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين.

قال الترمذي: والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة، ﷺ، مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء، وقالوا: ونروي هذه الأحاديث، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء، ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم؟ ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه.

قال المؤلف رحمه الله وإنما يؤتى بالموت كالكبش، والله أعلم، لما جاء أن ملك الموت أتى آدم عليه السلام في صورة كبش أملح، قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح على ما تقدم أول الكتاب في باب ما جاء في صفة ذلك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر.

وفي التفسير من سورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ [الملك: ٢]، أن الموت والحياة جسمان، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء، ولا يجد ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء، وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها، خطوط مد البصر، فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء يجد ريحها إلا حيي، ولا تطأ على شيء إلا حيي، وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاه على العجل فحيي، حكاه الثعلبي والقشيري، عن ابن عباس والماوردي، عن مقاتل والكلبي(1).

ومعنى يشرئبون: يرفعون رءوسهم، والأملح من الكباش، الذي يكون فيه بياض وسواد، والبياض أكثر. قاله الكسائي. وقال ابن الأعرابي وهو النقي البياض.

وذكر صاحب خلع النعلين: أن هذا الكبش المذبوح بين الجنة والنار، أن

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٤٧).

الذي يتولى ذبحه يحيى بن زكريا، عليهما السلام، بين يدي النبي ﷺ وبأمره الأكرم، وذكر في ذبحه كلامًا مناسبًا لحياة أهل الجنة وحياة أهل النار، وذكر صاحب كتاب العروس: أن الذي يذبحه جبريل، عليه السلام، فالله أعلم.

تم كتاب النار بحمد الله العزيز الغفار، أجارنا الله منها بمنه وبفضله وكرمه لا رب غيره.

الفصل الرابع

الإخلاص من أسباب فوز المرأة بالجنة ونجاتها من النار

أخذناه من كتاب تحقيق

كلمة الإخلاص للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

خرج البخاري[١] ومسلم في «الصحيحين» عن أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: **يا معاذ!** قال: لبيك يا رسول الله وسعديك! قال: **يا معاذ!** قال: لبيك يا رسول الله وسعديك! قال: **يا معاذ!** قال: لبيك يا رسول الله وسعديك! قال: **ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله إلى حرمه الله على النار.** قال: يا رسول الله، ألا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: **إذًا يتكلوا.** فأخبر بها معاذ[٢] عند موته أثمًا[٣].

وفي «الصحيحين» عن عتبان بن مالك[٤] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله**

---

(١) هو الإمام العظيم محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري أبو عبد الله حافظ الإسلام، ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ ورحل في طلب العلم حتى بلغ الغاية وألف كتابه «الجامع الصحيح» الذي لا يوجد بعد كتاب الله كتاب أصح منه. وله كتاب «خلق أفعال العباد» و «التاريخ» الكبير والصغير وغير ذلك. وقد حسده المرتزقة باسم العلم، فأوغروا عليه صدر أمير بخارى فنفاه إلى قرية (خرتنك) من قرى سمرقند فكانت: وفاته فيها عليه رحمة الله ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ.

(٢) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، صاحب رسول الله ﷺ، ومن أعلم المسلمين بالحلال والحرام. وأحد الستة الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله ﷺ. ولد سنة ٢٠ للهجرة وتوفي سنة ١٨ في غور الأردن ودفن في الغور. وقبره معروف على الجانب الشرقي.

(٣) تخلصًا من إثم كتمان العلم.

(٤) عتبان بن مالك بن عمرو الخزرجي بدري عند الجمهور وحديثه في «الصحيحين» من طريق

حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[١]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة[٢] أو أبي سعيد بالشك[٣] أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك[٤] فأصابتهم مجاعة، فدعا النبي ﷺ بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله عليه بالبركة، ثم قال: «**خذوا في أوعيتكم**»؛ فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه، فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة**».

وفي الصحيحين عن أبي ذر[٥] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟!. قال: «**وإن زنى، وإن سرق**». قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق ثلاثًا**»[٦]. ثم قال في الرابعة: «**على رغم أنف أبي ذر**»، قال: فخرج أبو

=

أنس وابن الربيع وغيرهما، كان إمام قومه. توفي ﷺ في خلافة معاوية وقد كبر.

(١) وهذا اللفظ للبخاري في كتاب الصلاة.

(٢) هو أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صاحب رسول الله ﷺ، وأكثر الناس رواية عنه. ولد سنة ٢١ قبل الهجرة وتوفي ٥٩ في المدينة المنورة.

(٣) قلت: والشك من الأعمش، وقد تابعه طلحة بن مصرف فقال: «عن أبي هريرة» بدون شك رواه مسلم أيضًا.

(٤) تبوك: أرض بين الشام والمدينة؛ سميت الغزوة باسمها. وتسمى أيضًا غزوة العُسرة، كانت في زمان أحدبت فيه البلاد، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا ورى بغيرها إلا في تبوك فإنه جلاها للناس لبعد المشقة والشدة.

(٥) هو أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ وأحد السابقين الأولين للإسلام. توفي ﷺ في الربذة إحدى قرى المدينة سنة ٣٢هـ في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان ﷺ.

(٦) الأصل «وإن زنى ..» مرة واحدة وبعدها «قالها ثلاثًا» والتصحيح من مسلم.

ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر.

وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت[١] أنه قال عند موته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حرمه الله على النار**»[٢].

وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت أنه قال عند موته: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة، على ما كان من العمل**». وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة يطول ذكرها.

وأحاديث هذا الباب نوعان:

أحدهما: ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها، وهذا ظاهر؛ فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص، وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار.

وحديث أبي ذر معناه: أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد وهذا حق لا مرية فيه، ليس فيه أنه لا يعذب عليهما مع التوحيد.

وفي مسند البزار[٣] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**من قال: لا إله إلا الله نفعته يومًا من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه**».

الثاني: ما فيه أنه يحرم على النار، وهذا قد حمله بعضهم على الخلود فيها،

---

(١) هو الصحابي الجليل أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري. أحد النقباء بالعقبة، شهد المشاهد كلها وفيه نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ ﴾ . أرسله سيدنا عمر مع يزيد بن أبي سفيان ليفقه أهل الشام. ووقف سيدنا معاوية عند المنبر وقال للناس: اقتبسوا من عبادة فهو أفقه مني، كانت وفاته ﷺ سنة ٣٤ هـ. وقيل: عاش بعد ولاية معاوية للخلافة.

(٢) هذه الجملة الأخيرة كررت في الأصل مرتين والتصحيح من مسلم (٤٣/١).

(٣) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار البصري صاحب «المسند» الكبير كانت وفاته سنة ٢٩٢.

أو على نار يخلد فيها أهلها، وهي ماعدا الدرك الأعلى فأما الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين، بذنوبهم، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، وبرحمة أرحم الراحمين.

وفي «الصحيحين»: «**إن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله**».

وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن «لا إله إلا الله» سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتض لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع؛ وهذا قول الحسن[١] ووهب بن منبه[٢] وهو الأظهر.

وقال الحسن للفرزدق[٣] وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟. قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة. لكن لـ (لا إله إلا الله) شروطًا، فإياك وقذف المحصنة!.

وقيل للحسن: إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يفتح لك.

---

(١) هو التابعي الجليل، أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، الإمام الزاهد الشجاع البليغ. ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ. وقد حفظت لنا الكتب كثيرًا من أخباره، وكلماته السائرة.

(٢) هو وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني، أصله من أبناء الفرس يعد في التابعين، مؤرخ يكثر من نقل الإسرائيليات، ولد في اليمن سنة ٢٠ وبها توفي سنة ١١٠ هـ.

(٣) هو همام بن غالب التميمي الدارمي الشاعر البليغ من الطبقة الأولى في الإسلاميين، وكان من أشراف قومه، كانت وفاته، في بادية البصرة سنة ١١٠ هـ. وكلمة الحسن له تعريض بما كان الفرزدق يقوله في شعره من هجر القول.

وفي هذا الحديث: (إن مفتاح الجنة لا إله إلا الله) خرجه الإمام أحمد بإسناد منقطع.

وعن معاذ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا سألك أهل اليمن عن مفتاح الجنة، فقل: شهادة أن لا إله إلا الله**». ويدل على صحة هذا القول، أن النبي ﷺ رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص.

كما في «الصحيحين» عن أبي أيوب[1] أن رجلاً قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة. فقال:

«تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**»، فقال الرجل: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا شيئًا، ولا أنقص منه، فقال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**».

وفي المسند عن بشير ابن الخصاصية[2] قال: أتيت النبي ﷺ لأبايعه فاشترط عليّ، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتين فوالله لا أطيقهما: الجهاد والصدقة فإنهم زعموا أنه من ولىَّ الدبر فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرت تلك جشمت نفسي وكرهت الموت والصدقة فوالله مالي إلا غنمية

---

(١) هو الصحابي الجليل خالد بن زيد النجاري الأنصاري، شهد العقبة وبدرًا وما بعدهما، ونزل عنده ﷺ لما قدم المدينة، وشهد مع سيدنا علي قتال الخوارج. وغزا مع جيش يزيد بن معاوية، وتوفي ﷺ على أبواب القسطنطينية عاصمة الكفر يومئذ سنة خمسين.

(٢) هو بشير بن معبد بن شراحيل الدوسي المعروف بابن الخصاصية صحابي جليل، وحديثه في «الأدب المفرد» للبخاري «والسنن» وكان اسمه زحمًا بالزاي. فغيره النبي ﷺ وله أحاديث غير هذا. روى عنه بشير بن نهيك وامرأته ليلى.

وعشر ذود[١] هن رسل أهلي حمولتهن، قال: فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها، ثم قال: «**فلا جهاد ولا صدقة، فيم تدخل الجنة إذًا؟**». قلت: يا رسول الله أبايعك، فبايعته عليهنَّ كلهن.

ففي هذا الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج.

ونظير هذا أن النبي ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، ففهم عمر[٢] وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانع الزكاة، وفهم الصديق أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها، لقوله ﷺ: «**فإذا فعلوا ذلك منعوا منى دماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»، وقال: الزكاة حق المال.

وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي ﷺ صريحًا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر[٣] وأنس وغيرهما وأنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**»، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟

---

(١) في «المسند» (٥/٢٢٤) طبع المكتب الإسلامي وصححه الحاكم (٢/٨٠) ووافقه الذهبي وفيه أبو المثنى العبدي الكوفي وهو مجهول كما قال الحسيني، واسمه مؤثر بن عفارة. غنيمة مصغر غنم. والذود: من ثلاثة إلى عشرة من الإبل.

(٢) هو أمير المؤمنين، أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، صاحب رسول الله ﷺ، وثاني الخلفاء الراشدين، ومضرب المثل في العدل. أسلم قبل الهجرة فأعز الله به الإسلام وتولى الخلافة بعد أبي بكر ﷺ سنة ١١هـ ففتح الله به الفتوح ووطد به الملك، وقد توفي ﷺ مقتولاً بيد أبي لؤلؤة غلام المغيرة سنة ٢٣هـ.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي وهاجر إلى المدينة وهو ابن عشر سنين، استصغر في غزوة بدر. ثم أجازه رسول الله ﷺ في غزوة الخندق. كان إمامًا متينًا واسع العلم كثير الرواية، له ألف وستمائة حديث، ومما رواه الإمام أحمد منها وليس بينه وبين الرسول ﷺ سوى ثلاثة نفر، حديثًا انظر الجزء الأول من «نفثات صدر المكمد في شرح ثلاثيات الإمام أحمد» للسفاريني وكان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ عاش سبعًا وثمانين سنة، توفي ﷺ سنة ٧٤ هـ.

ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة : ٥]، كما دل قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة: ١١] على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد. فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد.

فلما قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله، ورأوه صوابًا، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترفع عمن أدى الشهادتين مطلقًا، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة.

وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولاً وما في معناها، كانت قبل نزول الفرائض والحدود، منهم الزهري[(١)] والثوري[(٢)] وغيرهما، وهذا بعيد جدًا، فإن كثيرًا منها كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك، وهي في آخر حياة النبي ﷺ.

وهؤلاء منهم من يقول في هذه الأحاديث: إنها منسوخة[(٣)].

ومنهم من يقول: هي محكمة، ولكن ضم إليها شرائط ويلتفت هذا إلى أن الزيادة على النص: هل هي نسخ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور، وقد صرح الثوري وغيره بأنها منسوخة، وأنه نسخها الفرائض والحدود، وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيرًا، ويكون مقصودهم، أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبيد الله الزهري المدني، أحد الفقهاء الأعلام المشهورين، قال ابن تيمية: حفظ الزهري الإسلام نحوًا من سبعين سنة. مات رحمه الله سنة ١٢٤ هـ وعمره ٧٤ سنة.

(٢) هو سفيان بن سعيد الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، وأحد السادات علمًا وعملاً. قال ابن رجب: وجد في القرن الرابع سفيانيون أي مقلدون له في الفقه وهذه الجملة تشير إلى أن المسلمين لم يقتصروا في أي زمان على المذاهب الأربعة وكانت وفاته سنة ١٦٠هـ.

(٣) وهذا كالذي قبله في البعد، لما تقرر في علم الأصول من أن الأخبار لا تنسخ. والأحاديث المذكورة أخبار، فلا يجوز القول بنسخها.

واجتناب المحارم، فصارت تلك النصوص منسوخة، أي: مبينة مفسرة، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أي: مفسرة لمعنى تلك، موضحة لها.

وقالت طائفة: تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة أحاديث أخر، ففي بعضها:

من قال: «لا إله إلا الله مخلصًا»، وفي بعضها: «مستيقنًا»، في بعضها: «يصدق لسانه». وفي بعضها: «يقولها حقًا من قلبه»، وفي بعضها: «قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه».

وهذا كله إشارة إلى عمل القلب، وتحقيقه بمعنى الشهادتين، فتحقيقه بقول: لا إله إلا الله أن لا يأله القلب غير الله حبًا ورجاء، وخوفًا، وتوكلاً واستعانة، وخضوعًا، وطلبًا. وتحقيقه بأن محمدًا رسول الله، ألا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد ﷺ[1]، وقد جاء هذا المعنى مرفوعًا إلى النبي ﷺ

---

(١) ولا يكون ذلك إلا بسد باب الابتداع في العبادات والاستحسان في الدين باسم البدعة الحسنة، لأن هذه التسمية بذاتها من البدع أيضًا، ورسول الله ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»، ولا يمكن ان يكون هذا الحديث من العام المخصوص كما يقول بعض المتأخرين، لأسباب كثيرة، منها: أنه لا يوجد ما يخصه من النصوص، وما يتوهمونه منها مخصصًا، فليس كذلك، بل ما صح منها مما يورده بهذا الخصوص، فإنما يدل على استحسان بعض الوسائل المحدثة، لأنها قد توصل إلى أمور مشروعة بالنص، فهذه الوسائل هي التي تقبل التقسيم إلى خمسة أقسام، لا البدعة الدينية، وهذا كما يقال: «ما لا يكون الواجب إلا به فهو واجب» ومن ذلك جمع القرآن، وتصنيف الكتب وغير ذلك، فكلها من الوسائل المشروعة لأنها تؤدي إلى ما هو مشروع بالنصوص كما لا يخفى، فليست هي من البدعة في شيء، خلافًا لما يظنون، وهذه الوسائل هي من التي يمكن حمل الحديث الصحيح عليها: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة**» وسبب وروده يدل على ذلك دلالة قاطعة، لأن النبي ﷺ إنما قاله بمناسبة قيام رجل من الصحابة – بعد أن حضهم النبي ﷺ على الصدقة، فذهب الرجل إلى داره ثم عاد ومعه شيء من الصدقة، فوضعها أمام النبي ﷺ، فلما رأى سائر الصحابة ما فعل الرجل، استنوا به، وجاء كل واحد منهم بما تيسر من الصدقة، فاجتمع أمام النبي ﷺ ما شاء الله منها، فقال هذا الحديث، أفترون ذلك الصحابي أتى ببدعة حسنة، حين جاء بالصدقة؟ ولذلك فإننا نقطع بأن باب التقرب إلى الله تعالى ليس

صريحًا أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة**» قيل: ما إخلاصها يا رسول الله؟ قال: **أن تحجزك عما حرم الله عليك**. وهذا يروى من حديث أنس بن مالك، وزيد[1] بن أرقم، ولكن إسنادهما لا يصح[2]. وجاء أيضًا من مراسيل الحسن بنحوه.

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إله إلا الله، يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفًا ورجاًء، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء، وعلى الحلف بغير الله، وعلى التوكل على غير الله، والاعتماد عليه، وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان[3]، وكذا قوله: ما لي إلا الله وأنت؛ وكذلك ما

=

يمكن دخوله إلا من طريق اتباع محمد ﷺ ، كيف لا وهو القائل «**ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به**»، وقد فهم هذه الحقيقة سلفنا الصالح ﷺ، ولذلك أمرونا باتباعها فقالوا: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، عليكم بالأمر العتيق».

(١) هو الصحابي الجليل زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري، له تسعون حديثًا. وهو الذي سمع رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول يقول: «**ليخرجن الأعز منها الأذل**» فأخبر الرسول ﷺ فأنكر عبد الله فأنزل الله الوحي تصديقًا لزيد، غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة. وشهد صفين مع سيدنا علي، وكانت وفاته ﷺ بالكوفة، سنة ٦٦ وقيل ٦٨ هـ.

(٢) قلت حديث زيد أشار المنذري في «الترغيب» إلى تضعيفه وآفته محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو وضاع، كما قال الهيثمي (١٨/١).

(٣) كما في حديث حذيفة مرفوعًا: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**» أخرجه أبو داود وغيره بسند صحيح. كما بينته في «الصحيحة» (١٣٧).

يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة، والرقى المكروهة؛ وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه، قادح في تمام التوحيد وكماله، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من هوى النفس أنها كفر وشرك؛ كقتال المسلم، ومن أتى حائضًا أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمرة في المرة الرابعة[1]، وإن كان هذا لا يخرجه عن الملة بالكلية، ولهذا قال السلف: كفر دون كفر وشرك دون شرك.

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية: ٢٣]. قال: هو الذي لا يهوى شيئًا إلا ركبه. وقال قتادة[2]: هو الذي كلما هوى شيئًا ركبه، وكلما اشتهى شيئًا أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى.

فإن الذين حققوا قول: لا إله إلا الله، وأخلصوا في قولها، وصدقوا قولهم بفعلهم، فلم يلتفتوا إلى غير الله تعالى حمية ورجاء وخشية وطاعة وتوكلاً، وهم الذين صدقوا في قول: لا إله إلا الله، وهم عباد الله حقًا، فأما من قال: «لا إله إلا الله» بلسانه، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠] ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦] .

---

(١) لا أعلم حديثًا في إطلاق الكفر أو الشرك على من شرب الخمر بقيد المرة الرابعة، وإنما روى الطبراني عن ابن عباس: «لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض، وقالوا: حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك». وقال المنذري في «الترغيب» (١٨٥/٣): ورجاله رجال الصحيح. والذي ورد بقيد المرة إنما هو القتل بعد جلده في المرات الثلاثة وهو حديث صحيح متواتر، رواه الحاكم (٣٧١/٤) وحده عن سبعة من الصحابة. وصححه ابن حبان عن اثنين منهم، وعن ثامن أيضًا (١٥١٧ - ١٥١٩).

(٢) هو أبو الخطاب، قتادة بن دعامة الدوسي البصري، الحافظ المفسر العالم بالعربية والنسب وأيام العرب، ولد سنة ٦١ هـ وتوفي سنة ١١٨ هـ. بمدينة واسط جنوبي العراق.

فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى، فإن الهوى يهوى بصاحبه في النار: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

تعس عبد الدرهم! تعس عبد الدينار! والله لا ينجو غدًا من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده، ولم يلتفت إلى شيء من الأغيار، من علم أن معبوده الله فرد، فليفرده بالعبودية، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][1].

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه، على رأس جبل، فقال في كلامه: لا ينال أحد مراده حتى ينفرد فردًا بفرد؛ فانزعج واضطرب، حتى رأي أصحابه أن الصخور قد تدكدكت، وبقي على ذلك ساعة، فلما أفاق فكأنه نُشر من قبره.

قول: «لا إله إلا الله» تقتضي أن لا يُحب سواه، فإن الإله هو الذي يطاع، فلا يعصى محبة وخوفًا ورجاء، ومن تمام محبته محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فمن أحب شيئًا مما يكرهه الله، أو كره شيئًا مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه الله قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

قال الليث[2] عن مجاهد[3] في ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥] قال: لا يحبون غيري.

---

(١) انظر رسالة «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية فالمؤلف أورد هنا الكثير من كلامه.

(٢) هو الإمام الجليل الليث بن سعد، إمام أهل مصر في عصره، حديثًا وفقهًا، أصله من خراسان ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة، وكان من الكرماء الأجواد، كانت وفاته رحمه الله سنة ١٧٥هـ.

(٣) هو أبو الحجاج، مجاهد بن جبر، تابعي، من شيوخ القراء والمفسرين ولد سنة ٢١ هـ، وتوفي سنة ١٠٤.

وفي صحيح الحاكم[(١)] عن عائشة[(٢)] رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور، أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟**».

قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وتمامها ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١][(٣)].

وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوى، والموالاة على ذلك والمعاداة فيه من الشرك الخفي.

وقال الحسن: اعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته!.

وسئل ذو النون[(٤)]: متى أحب ربي؟، قال: إذا كان ما يبغضه عندك أمر من الصبر!.

وقال بشر بن السري[(٥)]: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري الحافظ المعروف بالحاكم، صاحب التصانيف، إمام صدوق. قال الحافظ الذهبي في الميزان: لكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة ويكثر من ذلك، وكان فيه تشيع من غير تعرض للشيخين، مات رحمه الله سنة ٤٠٥ هـ.

(٢) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كناها أم عبد الله، كانت أفقه نسائه ﷺ روت عنه الكثير، لها ألفان ومائتان وعشرة أحاديث، ماتت رضي الله عنها سنة ٥٨هـ ودفنت بالبقيع. وانظر «الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة» للإمام الزركشي طبع المكتب الإسلامي بتحقيق الأستاذ الكبير سعيد الأفغاني، فإن فيها من علمها ما يدهش.

(٣) والحديث ضعيف الإسناد كما بينته في «الضعيفة» رقم (٣٧٥٥).

(٤) هو ذو النون المصري الزاهد، واسمه ثوبان بن إبراهيم. ويقال: الفيض بن إبراهيم، أحد الزهاد المشهورين، قال الحافظ الذهبي في الميزان: له أحاديث فيها النظر. أصله من النوبة مات رحمه الله سنة ٢٤٥ هـ.

(٥) هو بشر بن السري الأفوه، أبو عمرو البصري ثم المكي الواعظ رمي بالتجهم، واعتذر وتاب،

حبيبك!.

وقال أبو يعقوب النهرجوري[١]: كل من ادعي محبة الله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة.

وقال يحيى بن معاذ[٢]: ليس بصادق من ادعي محبة الله ولم يحفظ حدوده.

وقال رويم[٣] المحبة الموافقة في جميع الأحوال، وأنشد:

ولو قلت لي مت قلت سمعًا، وطاعة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبا

ويشهد لهذا المعنى أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الحسن: قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نحب ربنا حبًا شديدًا؛ فأحب الله أن يجعل لحبه علمًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومن ههنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمدًا رسول الله، فإنه إذا علم أنه لا تتم محبة الله إلى بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلى من جهة محمد المبلغ عن الله ما يحبه وما يكرهه باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله ﷺ وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله

=

صاحب مواعظ، متكلم، وحديثه في الكتب الستة. مات رحمه الله سنة ١٩٥ هـ عن ثلاث وستين سنة.

(١) هو إسحاق بن محمد أبو يعقوب النهرجوري نسبة إلى نهر جور بين الأهواز وميسان، من علماء الصوفية، صحب الجنيد، وعمر وابن عثمان المكي، وأبا يعقوب السوسي وغيرهم، أقام بالحرم سنين كثيرة مجاورًا. مات رحمه الله سنة ٣٣٠ هـ.

(٢) هو الواعظ الزاهد، أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة، ثم رجع إلى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٠ هـ.

(٣) هو أبو محمد رويم بن أحمد البغدادي، من أهل بغداد كان فقيهًا ظاهريًا على مذهب داود الأصبهاني، وكان مقرئًا، قرأ على إدريس بن عبد الكريم، مات رحمه الله سنة ٣٠٣ هـ.

في قوله تعالى﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ والآية بتمامها: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]. كما قرن طاعته وطاعة رسوله ﷺ في مواضع كثيرة.

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب الرجل لا يحبه إلى لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار**»[١].

هذه حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم سمحوا ببذل النفوس وقالوا لفرعون: اقض ما أنت قاض!. ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب، وهذا هو معنى الحديث الإلهي الذي خرجه البخاري في «صحيحه» وفيه: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يبطش به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»[٢]. وقد قيل: إن في بعض الروايات: «**فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي**». والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب، وصارت النفس حينئذ مطمئنة بإرادة مولاها عن مرادها وهواها.

يا هذا: اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه، فمن عبده بإرادة منه فهو ممن يعبد الله على حرف، إن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يرد صاحبُها إلا ما يريد مولاه.

---

(١) متفق عليه من حديث انس بن مالك ﷺ.

(٢) حديث صحيح كما حققته في «الصحيحة» (١٦٤٠).

وفي بعض الكتب السالفة: من أحب الله لم يكن شيء عنده آثر من رضاه، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه.

وروى ابن أبي الدنيا[١] بإسناده عن الحسن قال: ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر على طاعة الله أو على معصيته، فإن كانت طاعةً تقدمتُ، وإن كانت معصيةً تأخرتُ.

هذا حال خواص المحبين الصادقين، فافهموا رحمكم الله هذا، فإنه من دقائق أسرار التوحيد الغامضة. وإلى هذا المقام أشار النبي ﷺ في خطبته لما قدم المدينة حيث قال: «**أحبوا من كل قلوبكم**»[٢]، وقد ذكرها ابن إسحاق[٣] وغيره. فإن من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه شيء أفرغ من إرادات النفس والهوى، وإلى ذلك أشار القائل[٤] بقوله:

أروح وقد ختمت على فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت غضضت طرفي ... فلم أنظر به حتى أراكا!
أحبك لا ببعضي بل بكلي ... وإن لم يبق حبك لي حراكا
وفي الأحباب مخصوص بوجد ... وآخر يدعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى!
فأما من بكى فيذوب وجدًا ... وينطق بالهوى من قد تشاكا

---

(١) هو الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن سفيان البغدادي الحافظ المعروف بابن أبي الدنيا. صدوق صاحب التصانيف. مات رحمه الله سنة ٢٠٨ هـ.

(٢) رواه ابن إسحاق بدون سند كما في سيرة ابن هشام (٢/١٤٦، ١٤٧).

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني أحد الأئمة الأعلام، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة له السيرة النبوية رواها عنه ابن هشام وكتاب الخلفاء، وكان قدريًا ومن حفاظ الحديث حجة إذا صرح بالتحدث، سكن بغداد ومات سنة ١٥١ فيها.

(٤) هو أحمد بن حسين المتنبي في قصيدته التي مطلعها:

فدا لك من يقصر من مداكا ... فلا ملك إذن إلا فاكا

متى بقي للمحب حظ من نفسه فيما بيده من المحبة إلا الدعوى، إنما المحب من يفنى عن كله، ويبقى بحبيبه، فبي يسمع وبي يبصر.

القلب بيت الرب:

وفي الإسرائيليات يقول الله: «ما وسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1]. فمتى كان القلب فيه غير الله فالله أغنى الأغنياء عن الشرك، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى .. الحق غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه، أو يكن فيه شيء ما يرضاه.

أردناكم صرفًا فلما مزجتم بعدتم بمقدار التفاتكم عنا

وقلنا لكم لا تسكنوا القلب فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا!

لا ينجو غدًا إلا من لقي الله بقلب سليم ليس فيه سواه، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. القلب السليم: هو الطاهر من أدناس المخالفات، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدوس إلا بعد أن يطهر في كير العذاب، فإذا زال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة.

«**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»[2]، فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤]. ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]. ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [النحل: ٣٢].

ومن لم يحرق اليوم قلبه بنار الأسف على ما سلف، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب، فنار جهنم له أشد حرًا، ما يحتاج إلى التطهر بنار جهنم إلا من لم

---

(١) لقد أحسن المؤلف صنعاً بعزوه هذا الكلام إلى الإسرائيليات، وقد جاء في كتب بعض المتصوفة وغيرهم مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ واشتهر كذلك على الألسنة، ولا أصل له مرفوعاً كما نص عليه الأئمة.

(٢) هذا طرف من حديث لأبي هريرة رواه مسلم في «صحيحه» مرفوعًا.

يكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه.

أول من تسعر به النار من الموحدين العباد المراؤون بأعمالهم، وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء، لأن يسير الرياء شرك[١].

ما نظر المرائي إلى الخلق بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق، المرائي يزوّر التوقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل[٢] لنفسه، ويوهم أنه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالكلية.

نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج، والبهرج[٣] لا يجوز إلا على غير الناقد.

وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوة، وعبيد الهوى الذين أطاعوا هواهم، وعصوا مولاهم؛ فأما عبيد الله حقًّا فيقال لهم: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

جهنم تنطفئ بنور إيمان الموحدين، وفي الحديث: «**تقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي**»[٤].

وفي «المسند»[٥] عن جابر[٦] عن النبي ﷺ: «**لا يبقى بر ولا فاجر إلا**

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة في صحيح مسلم (٤٧/٦).

(٢) البرطيل بكسر الباء: الرشوة، جمعه: براطيل.

(٣) البهرج: الباطل، والردي، وهذا هو المناسب هنا، والبهرجة أن يُعدل بالشيء عن الجادة القاصدة إلى غيرها، والمبهرج من المياه: المهمل الذي لا يُمنع عنه، بل يرده كل من هب دب، والمبهرج من الدماء: المهدر، وقول أبي محجن لسعد بن أبي وقاص: بهرجتني؛ أي: أهدرتني بإسقاط الحد عني.

(٤) رواه الطبراني وابن عدي وغيرها بسند ضعيف ومنقطع. وقد خرجته في «الضعيفة» (٣٤١٣).

(٥) (ج٣ ص ٣٢٨ - ٣٢٩) عن أبي سمية عنه، وأبو سمية مجهول كما قال الذهبي، وقد صححه هو والحاكم، وفيه نظر ليس هذا موضع بيانه.

(٦) هو الصحابي الجليل أبو عبد الله، أو أبو عبد الرحمن، أو أبو محمد، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي المدني، أحد المكثرين عن رسول الله ﷺ وممن شهد العقبة، غزا

دخلها، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم»[(١)]. حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم، هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام، نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم.

قال الجنيد[(٢)]: قالت النار: يا رب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء أشد مني؟. قال: أسلط عليك ناري الكبرى. قالت: وهل نار أعظم مني وأشد؟ قال: نعم، نار محبتي أسكنتها قلوب أوليائي المؤمنين.

قفا قليلا بها عليّ فلا ... أقل من نظرة أزودها

ففي فؤاد المحب نار جوى ... أحر نار الجحيم أبردها

فلولا دموع المحبين تطفئ بعض حرارة الوجد لاحترقوا كمدًا.

دعوه يطفئ بالدموع حرارة ... على كبد حرى دعوه دعوه

لوا عاذليه يعذروه هنيهة ... فبالعدل دون الشوق قد قتلوه!

كان بعض العارفين، يقول: أليس عجبًا أن أكون بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل الشعل التي لا تنطفئ؟!.

ولم أر مثل نار الحب نارًا ... تزيد ببعد موقدها اتقادًا

ما للعارفين شغل بغير مولاهم، ولا هم في غيره، وفي الحديث: **«من**

=

مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة. توفي ﷺ سنة ٧٨هـ، عن ٧٤ سنة.

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾.

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد، أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، وعرف بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. عده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونًا من العقائد الذميمة. ومن كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. وليس كل من ادعى الانتساب إليه على طريقته. توفي رحمه الله ٢٩٧ هـ.

أصبح وهمه غير الله فليس من الله»(١).

قال بعضهم: من أخبرك أن وليه له هم في غيره فلا تصدقه.

وكان داود الطائي(٢) يقول: همك عطل علي الهموم، وحالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوبق(٣) مني اللذات، وحال بيني وبين الشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب ...

مــا لي شغل سواه ما لي شغل ... ما يصرف عن هواه قلبي عذل

مــا أصنع إن جفا وخاب الأمل ... مــني بــدل ومنه ما لي بدل!

إخواني: إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله ﷺ: **«من شهد أن لا إله إلا الله صادقًا من قلبه حرمه الله على النار»**(٤). فأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها، فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله، فمن قلة الصدق في قولها.

من صدق في قول: لا إله إلا الله، لم يحب سواه، ولم يرج سواه، ولم يخش أحدًا إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يُبق له بقية من آثار نفسه وهواه، ومع هذا فلا تظنوا أن المحب مطالب بالعصمة، وإنما هو مطالب كلما زلّ أن يتلافى تلك الوصمة.

---

(١) ضعيف جدًا، وقد خرجته في الأحاديث الضعيف، (٣٠٨ – ٣١٠).

(٢) هو ابو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي، كان في أيام المهدي العباسي، اصله من خراسان، ومولده الكوفة، رحل إلى بغداد فاخذ عن ابي حنيفة وغيره وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس ولزم العبادة إلى أن مات فيها رحمه الله سنة ١٦٥ هـ. وله أخبار مع أمراء عصره وعلمائه.

(٣) أوبق مني اللذات: أي حبسها أو اهلكها.

(٤) أخرجه مسلم (٤٣/١) وأبو عوانة (١٦/١) وأحمد (٣١٨/٥) عن عبادة بن الصامت مرفوعًا، وزادوا عليه: «وأن محمدًا رسول الله» لكن ليس عندهم: «صادقًا من قلبه» وإنما هو عند احمد (٢٢٩/٥) من حديث معاذ نحوه. وسنده صحيح.

قال زيد بن أسلم[(١)]: إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك[(٢)].

وقال الشعبي[(٣)]: إذا أحب الله عبدًا لم يضره ذنب.

وتفسير هذا الكلام أن الله عز وجل له عناية بمن يحبه، فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده إلى نجوة النجاة، ييسر له التوبة، وينبهه على قبح الزلة، فيفزع إلى الاعتذار، ويبتليه بمصائب مكفرة لما جنى.

وفي بعض الآثار[(٤)]: يقول الله تعالى: أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم[(٥)] من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب.

وفي «صحيح مسلم»[(٦)] عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحمى تُذهب الخطايا كما يذهب الكير الخبث**».

---

(١) هو أحد الأعلام الإمام الفقيه العابد أبو عبد الرحمن زيد بن أسلم العدوي، يروي عن أبيه وعن ابن عمر وجابر وعائشة، سئل عنه عبيد الله بن عمر فقال: ما أعلم به بأسًا إلا أنه يفسر القرآن برأيه، توفي رحمه الله سنة ١٣٦ هـ.

(٢) إنما أحب الله عبده هذا الحب لإقبال العبد عليه بكليته وفنائه في عبوديته، فلو أطلق له السراح وتُرك والمباح، لما فعل إلا ما يحبه الله، وهذا يذكرنا بصفوة الصحابة من أهل بدر الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**لعل الله أطلع على أهل بدر، فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**». رواه البخاري.

(٣) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الكوفي؛ الإمام العلم من التابعين، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بالكوفة وبها نشأ ومات، وهو من رجال الحديث الثقات، كان فقيهًا وشاعرًا، يضرب المثل بحفظه. قال: ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. مات رحمه الله سنه ١٠٣ هـ.

(٤) يعني الموقوفة، وكأنه من الإسرائيليات.

(٥) أي: لا اقنطهم.

(٦) في «باب البر» (١٦/٨) أن رسول الله ﷺ قال لأم السائب أو أم المسيب: «**ولا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد**».

وفي «المسند»[(١)] و«صحيح ابن حبان»[(٢)] عن عبد الله بن مغفل[(٣)] أن رجلاً لقي امرأة كانت بغيًا في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها، فقالت، مه[(٤)] فإن الله قد أذهب الشرك وجاء بالإسلام، فتركها وولى، فجعل يلتفت خلفه ينظر إليها حتى أصاب الحائط وجهه[(٥)] فأخبر النبي ﷺ بالأمر فقال: «**أنت عبد أراد الله بك خيرًا**»، ثم قال: «**إن الله إذا أراد بعبده شرًا أمسك ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**».

يا قوم! قلوبكم على أصل الطهارة، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فرشوا عليها قليلاً من دموع العيون وقد طهرت.

اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى، فالحمية[(٦)] رأس الدواء، متى طالبتكم بمألوفاتها فقولوا مقالة: تلك المرأة لذلك الرجل الذي دمي وجهه: أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام، والإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة.

ذكروها مدحة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ وتمامها: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]

تحن إلى الاستقامة، عرفوها اطلاع من هو أقرب إليها من حبل الوريد[(٧)]

---

(١) (ج/٨٧) ورجاله ثقات، لكن فيه عنعنة الحسن البصري. ومن طريقه ابن حبان (٢٤٥٥).

(٢) هو الإمام أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي الحافظ المعروف بابن حبان من فقهاء الإسلام وحفاظ الآثار، صنف كتبًا كثيرة، منها «الضعفاء والمجرحين» و«المسند الصحيح» و«الثقات» وغير ذلك، تولى قضاء سمرقند مدة، مات رحمه الله سنة ٣٠٤ هـ.

(٣) في الأصل: ابن معقل، وكذا في المطبوعة.

(٤) مه: أي: اكفف.

(٥) لعله اصيب بما شوهه او جرحه او أسال دمه انتقامًا من الله وتعجيلاً له بالتأديب.

(٦) الحمية (بكسر فسكون ففتح): الامتناع عن الشيء.

(٧) الوريد: عرق في العنق.

لعلها تستحي من قربه ونظره: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤]، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤].

راود رجل امرأة في فلاة ليلاً فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب. قالت: فأين مكوكبها![١].

أكره رجل امرأة على نفسها، وأمرها بغلق الأبواب، فقال لها: هل بقي باب لم يغلق؟. قالت: نعم، الباب الذي بيننا وبين الله تعالى، فلم يتعرض لها.

رأى بعض العارفين رجلاً يكلم امرأة فقال: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما!.

سئل الجنيد[٢]: بم يستعان على غض البصر؟. قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إليه.

قال المحاسبي[٣]: المراقبة: علم القلب بقرب الرب، كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره.

وصى النبي ﷺ رجلاً أن يستحي من الله كما يستحي من رجل صالح من عشيرته لا يفارقه[٤].

قال بعضهم: استح من الله على قدر قربه منك، وخف الله على قدر قدرته عليك.

كان بعضهم يقول لي: منذ أربعين سنة ما خطوت لغير الله، ولا نظرت إلي شيء أستحسنه حياء من الله عز وجل:

---

(١) مكوكبها: أي خالقها وصانعها.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي، الزاهد المشهور صاحب التصانيف والرد على المعتزلة والرافضة وغيرهم، وله كلام في التصوف يدل على غزارة علمه، روى عن الجنيد، مات سنة ٢٤٣ هـ.

(٤) رواه ابن عدي (٢/٥٣، ٣/٢٠٣) والسلمي في «آداب الصحبة» الصفحة (١٢) عن سعيد بن زيد بإسنادين واهيين عن أبي أمامة، ثم خرجته في «الضعيفة» (١٥٠٠، ١٦٤٢).

كأن رقيبًا منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناي بعدك منظرًا لغيرك إلا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من في بعدك لفظة لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة على القلب إلا عرجًا بعناني

فضائل لا إله إلا الله

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ههنا استقصاؤها؛ فلنذكر بعض ما ورد فيها؛ فهي كلمة التقوى كما قال عمر ﷺ من الصحابة، وهي كلمة الإخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر، ولأجلها خلق الخلق.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ ونحو هذه الآيات.

وما عدد الله علي عباده من النعم في سورة آية النعم التي تسمى «النحل»، ولهذا قال ابن عيينة[1]: ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله. وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن أباها فماله ودمه هدر، وهي مفتاح الجنة، ومفتاح

---

(١) هو الإمام سفيان بن عيينة الهلالي، أحد الثقات الأعلام، اجمعت الأمة على الاحتجاج به، كان قوي الحفظ. قال وهب بن منبه: ما رأيت اعلم بكتاب الله من ابن عيينة. وقال الشافعي: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز، مات رحمه الله سنة ١٩٨ هـ.

دعوة الرسل، وبها كلم الله موسى كفاحًا[١].

وفي «مسند»[٢] البزار وغيره عن عياض الأنصاري[٣] عن النبي ﷺ قال: **«إن لا إله إلا الله كلمة حق على الله كريمة، ولها من الله مكان، وهي كلمة من قالها صادقًا أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذبًا: حقنت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله غدًا فحاسبه»**[٤]، وهي مفتاح الجنة كما تقدم.

وهي: ثمن الجنة.

قاله الحسن، وجاء مرفوعًا من وجوه ضعيفة: **«ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة»**[٥].

وهي، نجاة من النار: وسمع النبي ﷺ مؤذنًا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله؛ فقال: **«خرج من النار»**. خرجه مسلم.

وهي: توجب المغفرة: في «المسند» عن شداد بن أوس[٦] وعبادة بن الصامت[٧] أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومًا: **«ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله»**. فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: **«الحمد لله، اللهم بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني بها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد»**؛ ثم قال: **«أبشروا فإن الله قد غفر لكم»**[٨].

---

(١) كفاحًا: أي مواجهة.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة (٣/٥١) وذكر له حديثين، هذا أحدهما.

(٤) وفي سنده ضعف، وكان في المتن نقص وتقديم وتأخير صححناه من «مجمع الزوائد» و «الجامع الكبير».

(٥) قلت: بل هو حديث صحيح جاء من وجوه بعضها حسن، وهو مخرج في «المشكاة» (١٦٢١) و «أحكام الجنائز» (٣٤) و«إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل» (٦٧٩).

(٦) هو الصحابي الجليل أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي كان رضي الله عنه عابدًا مجتهدًا، مات سنة ٥٨ هـ.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) «المسند» (٤/١٢٤) وفي سنده ضعف، وحسنه المنذري.

وهي أحسن الحسنات: قال أبو ذر: قلت يا رسول الله! كلمني بعمل يقربني من الجنة، ويباعدني من النار. قال: «**إذا عملت سيئة فاعمل حسنة، فأنها عشر أمثالها**». قلت يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: «**هي أحسن الحسنات**»[١].

وهي: تمحو الذنوب والخطايا: وفي «سنن ابن ماجه»[٢] عن أم هانئ[٣] عن النبي ﷺ قال: «**لا إله إلا الله لا تترك ذنبًا، ولا يسبقها عمل**»[٤]، رؤي بعض السلف بعد موته في المنام فسئل عن حاله فقال: ما أبقت لا إله إلا الله شيئًا.

وهي: تجدد ما درس من الإيمان في القلب: وفي «المسند»[٥] أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «**جددوا إيمانكم**». قالوا: كيف نجدد إيماننا؟. قال: «**قولوا: لا إله إلا الله، وهي لا يعدلها شيء في الوزن، فلو وزنت بالسموات والأرض رجحت بهن**».

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩/٥) عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني قال: «إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها»، قال: قلت ... الحديث. وسنده حسن، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٨٢) ولفظه أقرب.

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن يزيد، أحد الأئمة في علم الحديث. من أهل قزوين، ولد سنة ٢٠٩ وصنف كتبه «السنن» و «التفسير» و «التاريخ» توفي سنة ٢٧٣ هـ. وماجه بالهاء الساكنة لا بالتاء المربوطة.

(٣) هي أم هانئ فاخته بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية، ابنة عم رسول الله ﷺ روت أحاديث عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها. أسلمت يوم الفتح رضي الله عنها. قال الترمذي: عاشت بعد أخيها علي.

(٤) في سند ابن ماجه (٣٧٩٧) زكريا بن منظور: ضعيف.

(٥) «٣٥٩/٢» وصححه الحاكم وضعفه الذهبي فأصاب. وقد خرجته في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٩٠٠).

كما في «المسند»[(١)] عن عبد الله بن عمرو[(٢)] عن النبي ﷺ **«أن نوحًا قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت[(٣)] بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن في حلقة مبهمة فصمتهن[(٤)] لا إله إلا الله»**.

وفيه[(٥)] أيضًا عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: **«أن موسى عليه السلام قال: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله، قال: يا رب! كل عبادك يقولون هذا. قال: قل: لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا أنت يا رب، إنما أريد شيئًا تخصني به. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن[(٦)] غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله»**.

وكذلك ترجح بصحائف الذنوب، كما في حديث السجلات والبطاقة،

---

(١) (ج ٢/١٧٠/٣٣٥) بسند صحيح.

(٢) هو أبو محمد ويقال: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو بن العاص، القرشي، صحابي عالم عابد. ولد سنة ٧ ق هـ وتوفي سنة ٦٥ هـ. وقد كان يكتب ما يسمع من حديث الرسول ﷺ بإذنه.

(٣) أي: زادت عليهن.

(٤) وكذا في المخطوطة. وفي «المسند» (قصمتهن) وفي الموضع الآخر منه «لفصمتها أو صمتها» على الشك.

(٥) يعني «المسند»، وعزوه إليه خطأ، كما أن عزوه إلى حديث عبد الله بن عمرو خطأ، وإنما هو من حديث أبي سعيد الخدري كما في الحاكم (٥٢٨/١) وغيره بسند ضعيف. وانظر «الترغيب» (٢٣٨/٢) و «المجمع» (٨٢/١٠) و «الجامع الكبير» (١/٩١/٢).

(٦) وعامرهن غيري: أي والمدبر لهن المسيطر عليهن غيري.

وقد خرجه أحمد[١] والنسائي[٢] والترمذي[٣] أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ[٤].

وهي: التي تخرق الحجب حتى تصل إلى الله عز وجل: وفي الترمذي[٥] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه**»[٦].

وفيه[٧] أيضًا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «**ما قال عبد: لا إله إلا الله مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**».

ويروى عن ابن عباس[٨] مرفوعًا: «ما من شيء إلا بينه وبين الله حجاب،

---

(١) هو الإمام العظيم الحجة الفقيه المجتهد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الصابر المحتسب، ناصر السنة، شيخ البخاري ومسلم، أشهر مؤلفاته «المسند» ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ وكانت وفاته رحمه الله سنة ٢٤١هـ. طبعة المكتب الإسلامي كاملاً مع فهرس على أحرف الهجاء للصحابة.

(٢) هو الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي الخراساني النسائي القاضي صاحب «السنن». قال الدارقطني كان أفقه مشايخ مصر في عصره وأعلمهم بالحديث والرجال، ولد سنة ٢١٥هـ خرج من مصر في ذي القعدة سنة ٣٠٢هـ وتوفي بفلسطين ودفن ببيت المقدس سنة ٣٠٤هـ.

(٣) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، الحافظ الضرير، أحد الأئمة الأعلام، صاحب «الجامع» و«التفسير»، تلميذ البخاري وابن المديني، كان يضرب به المثل في الحفظ، مات رحمه الله سنة ٢٧٩هـ.

(٤) قلت: وحسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وفي مخطوطات المكتبة الظاهرية «جزء البطاقة» من رواية السلفي.

(٥) وقال: «ليس إسناده بالقوي».

(٦) وكذا في المخطوطة، وفي الترمذي «حتى تخلص».

(٧) أي: الترمذي (٢/٢٧٩) وقال: «حديث حسن». قلت: وإسناده حسن.

(٨) هو الصحابي الجليل أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وحبر الأمة وترجمان القرآن. ولد بمكة سنة ٣ قبل الهجرة وتوفي في الطائف سنة ٩٨ هـ.

إلا قول: لا إله إلا الله كما أن شفتيك لا تحجبها كذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل»[1].وقال أبو أمامة[2]: ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها شيء دون العرش.

وهي التي ينظر الله إلى قائلها، ويجيب دعاءه، خرج النسائي في كتاب «اليوم والليلة» من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ مخلصًا بها روحه مصدقًا بها لسانه، إلا فتق له السماء فتقًا، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر إليه أن يعطيه سؤله**»[3]. وهي: الكلمة التي يصدق الله قائلها.

كما أخرج النسائي والترمذي[4] وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، صدقه ربه، وقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر: وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، يقول الله: لا إله إلا الله وحدي لا شريك لي. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا، لي الملك، ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله: لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي**»، وكان يقول: «**من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار**».

وهي: أفضل ما قاله النبيون: كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة، وهي

---

(١) لم أجده حتى ولا في «الجامع الكبير».

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) عزاه في «الجامع الكبير» (١/٤٧٧/٢) للحكيم عن يعقوب بن عاصم قال: حدثني رجلان من الصحابة، ويعقوب هذا من رجال مسلم ووافقه ابن حبان، فإن كان السند إليه صحيحًا فالحديث ثابت.

(٤) وحسنه، وفيه أبو إسحاق وهو السبيعي وكان اختلط. ثم وجدت له متابعًا وغيره، فخرجته في «الصحيحة» (١٣٩٠).

أفضل الذكر، كما في حديث جابر المرفوع: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»[(١)].

وعن ابن عباس: أحب كلمة إلى الله لا إله إلا الله، لا يقبل الله عملاً إلا بها.

وهي: أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا[(٢)]، وتعدل عتق الرقاب وتكون حرزًا من الشيطان:

وكما في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحي عنه مائة سيئة، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك**».

وفيهما أيضًا عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ: «**من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**».

وفي الترمذي[(٣)] عن ابن عمر مرفوعًا: «**من قالها إذا دخل السوق، وزاد فيها: يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا الله عنه ألف ألف سيئة، ورفع الله له ألف ألف درجة. وفي رواية: ويبنى له بيت في الجنة**».

ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول الحشر.

كما في «المسند»[(٤)] وغيره عن النبي ﷺ قال: «**ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله قد قاموا**

---

(١) قلت: وكلاهما حسن كما بينته في «الصحيحة» (١٥٠٣-١٤٩٧) والثاني في «المشكاة» (٢٣٠٦).

(٢) تضعيفًا: أي تكثيرًا للثواب ومضاعفة له. وتعدل: تساوي.

(٣) وضعفه بقوله: «حديث غريب». وهو كما قال. لكن له طرق يرتقي بها إلى مرتبة الحسن كما بينته في «تخريج أحاديث الكلم الطيب» (٢٢٩) و«الترغيب» (٥/٣).

(٤) هذا وهم، فليس هو في مسند أحمد، وإنما رواه ابن أبي الدنيا وابن عدي وغيرهما بإسناد واه جدًا، واستنكره المنذري. ثم خرجته في «الضعيفة»(٣٨٥٣).

ينفضون التراب عن رءوسهم، ويقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾.

وفي حديث مرسل: «**من قال: لا إله إلا الله الملك الحق المبين. كل يوم مائة مرة كانت له أمانًا من الفقر، وأنسًا من وحشة القبر، واستجلبت له الغنى، واستفرغت له باب الجنة**»، وهي: شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم.

قال النضر بن عربي: بلغني أن الناس إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم: لا إله إلا الله.

وقد خرج الطبراني(١) حديثًا مرفوعاً: «**إن شعار هذه الأمة على الصراط: لا إله إلا أنت**»(٢).

ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء.

كما في حديث عمر عن النبي ﷺ فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء، وقد خرجه مسلم(٣).

وفي «الصحيحين» عن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**»(٤).

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة(٥) عن النبي ﷺ في قصة منامه الطويل،

---

(١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني نسبة إلى «طبرية» بالشام وليس إلى طبرستان؛ الحافظ الثبت المعمر أحد الأئمة المعروفين والحفاظ المكثرين، صاحب المعاجم الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير مات رحمه الله.

(٢) من حديث ابن عمرو باسناد ضعيف، ورواه العقيلي أيضًا في «الضعفاء».

(٣) هو الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صاحب «الصحيح» المعروف باسمه والذي يلي كتاب الإمام البخاري في الصحة ويمتاز عليه في التبويب والترتيب وله عدد من المؤلفات. ولد سنة ٢٠٤ هـ. وتوفي سنة ٢٦١ هـ.

(٤) في الأصل «فتحت ثمانية أبواب الجنة» وفي المطبوعة: «فتحت له أبواب الجنة الثمانية». والتصحيح من مسلم (٤٢/١) ولفظ البخاري «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء».

(٥) هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب العبشمي قال البخاري: له صحبة، وكان إسلامه يوم الفتح،

وفيه قال: «**ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فأغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، فتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة**»[(١)].

ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لا بد أن يخرجوا منها.

وفي «الصحيحين» عن أنس[(٢)] عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله**».

وأخرج الطبراني عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**إن ناسًا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم، فيقول لهم عبدة اللات والعزى[(٣)]: ما أغني عنكم قول: لا إله إلا الله، فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار، فيدخلون الجنة**»[(٤)] ومن كان في سخطه يُحسنُ فكيف يكون إذا ما رضي؟ لا يسوي بين من وحده وإن قصر في حقوق توحيده، وبين من أشرك به.

قال بعض السلف: كان إبراهيم عليه السلام يقول: اللهم لا تشرك من كان يشرك بك شيئًا بمن كان لا يشرك بك.

=

وشهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ ثم شهد فتوح العراق روى عن النبي ﷺ ومعاذ بن جبل، وروى عنه عبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين، والحسن البصري. مات رحمه الله سنة ٥٠.

(١) رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي، وكلاهما ضعيف كما في «المجمع» (١٨٠/٧).

(٢) هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر، الخزرجي الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ ... ولد بالمدينة سنة ١٠ ق. هـ. وتوفي في البصرة سنة ٩٣، وهو ﷺ، آخر من مات فيها من الصحابة.

(٣) اللات صنم كان بالطائف تعظمها جميع العرب وكان موضعها منارة مسجد الطائف اليسرى وقد أرسل رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة ﷺ فهدمها وحرقها. والعزى صنم اتخذه ظالم بن أسعد وكان موضعها بوادي نخلة الشامية على يمين المتجه إلى العراق من مكة، وكانت أعظم الأصنام عند قريش. وعام الفتح أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ فكسرها.

(٤) لم أعثر عليه ولا في «الجامع الكبير».

كان بعض السلف يقول في دعائه: اللهم إنك قلت عن أهل النار: إنهم ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل: ٣٨] والآية بتمامها: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت. اللهم لا تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة.

كان أبو سليمان[1] يقول: إن طالبني ببخلي طالبته بجوده، إن طالبني بذنوبي طالبته بعفوه. وإن أدخلني النار أخبرت أهل النار وأني أحبه.

ما أطيب وصله وما أعذبه! ... وما أثقل هجره وما أصعبه!

وفي السخط والرضى ما أهيبه! ... القلب يحبه وإن عذبه

وكان بعض العارفين يبكي طول ليله ويقول: إن تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإني لك محب!..

العارفون يخافون من الحجاب أكثر مما يخافون من العذاب.

قال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي.

كان بعضهم يقول: إلهي وسيدي ومولاي! لو أنك عذبتني بعذابك كله، كان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب. قيل لبعضهم: لو طردك ما كنت تفعل؟ فقال:

إذا أنا لم أجد من الحب وصلا ... رمت في النار منزلا ومقيلا

ثم أزعجت أهلها بندائي ... بكرة في عرصاتها وأصيلا

معشر المشركين ناحوا على من ... يدعي أنه يحب الجليلا

لم يكن في الذي ادعاه محقا ... فجزاه به العذاب الطويلا!

---

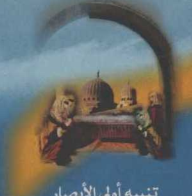
(١) لعله أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني العبسي، المتعبد المشهور. كان يقول: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة. توفي رحمه الله سنة ٢١٥هـ. ودفن في داريا جنوب غربي دمشق.

إخواني! اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد، فإنه لا ينجي من عذاب الله إلا إياه. ما نطق الناطقون إذ نطقوا أحسن من: لا إله إلا الله:

مـــا نطـــق الناطقون إذ نطقوا	أحســـن مـــن لا إلـــه إلا هو
تـــبارك الله ذو الجـــلال ومـــن	أشـــهد أن لا إلـــه إلا هـــو
مـــن لذنـــوبي ومـــن يمحصها	غـــيرك يـــا مـــن لا إله إلا هو
جـــنان خلـــد لمـــن يـــوحده	أشـــهد أن لا إلـــه إلا هـــو
نيرانـــه لا تحـــرق مـــن	يشـــهد أن لا إلـــه إلا هـــو
أقـــولها مخلصًـــا بـــلا بُخـــل	أشـــهد أن لا إلـــه إلا هـــو

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات



تنبيه أولي الأبصار

إلى

أسباب فوز المرأة المسلمة بالجنة ونجاتها من النار



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية®

هاتف +961 5 804810 / 11 / 12 ص.ب 11 - 9424 بيروت - لبنان

فاكس +961 5 804813 رياض الصلح - بيروت 2290 1107

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com